وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية التربية– ابن رشد للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

محاضرات في اللسانيات

سلسلة محاضرات على وفق مقررات اللسانيات في الجامعات العراقية

تأليف

الدكتور خالد خليل هويدي **الدكتور نعمة دهش الطائي**

١٤٣٦ هـ **بغداد** **٢٠١٥ م**

الطباعة والتنضيد
مكتب نـور الحسن – بغداد – باب المعظم
٠٧٧٠٥٣٨٦٧٧٧

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد٢٨٥٧ لسنة ٢٠١٤

الإهـــــداء

إلى روح الدكتور نعمة رحيم العزاويّ،
أستاذ الجيل الذي أثار في مريديه شهوة
السؤال، وعلَّمهم أنَّ السؤال حركةٌ وانبثاقٌ
وأنَّ الجواب سكونٌ وجمودٌ...إليك وحدك
لأنَّك (حكمت علينا بالأمل)...

المؤلفان

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين،

أمّا بعدُ؛

فلعل من نافلة القول التذكير بالأهمية المعرفية للدراسات اللسانية التي أصبحت المهيمن على أغلب – إنْ لم نقل كلَّ– ميادين المعرفة البشرية، عبر أنظمتها التحليلية التي أسهمت في تحليل كثير من أنظمة الخطاب، ومن ثم الكشف عن المهيمنات التي كانت تسيرها، وتتحكم في وجهتها.

وعلى الرغم من القيمة العلمية الكبيرة للدراسات نجد أنّ الجامعات العراقية كانت بمنأى، أو بالأحرى هي التي أقصت نفسها عن مجالات هذا العلم، فكليات الآداب التي كانت تتعاطى مفردات هذا العلم نجد مفرداتها وموضوعاتها حبيسة حقب زمنية محددة، إذ لم يكلف القائمون على تدريس هذه المادة والتأليف فيها أنفسهم في متابعة الخط البيانيّ للتطورات الكبيرة التي شهدها هذا العلم، إذ وقفوا في مناهجهم على مرحلة تطورية واحدة للمدارس اللسانية، ولم يتابعوا التطورات التي طرأت على البنية الفكرية والمنهجية للمدارس اللسانية، ناهيك عن الخلط الكبير بين مفردات اللسانيات ومقولاتها ومقررات الدراسات الفيلولوجية([١]) .

وبعد أن أقرت مادة اللسانيات منهجًا علميًا في كليات التربية في الجامعات العراقية، وتحديدًا في الموسم الدراسيّ ٢٠١١م/٢٠١٢م، قدر للمفردات والعنوانات التي قدَّمناها أن تأخذ طريقها وتقرها اللجنة القطاعية، التي اجتمعت في شتاء ٢٠١٢م، في مبنى قسم اللغة العربية في كلية التربية ابن رشد جامعة بغداد، وأصبحت هذه المادة والمفردات التي صغناها منهجًا دراسيًا يدرسه طلاب المرحلة الثالثة. وهو منهج جمعنا

---

[١] – ينظر على سبيل التمثيل كتاب(علم اللغة) للدكتور حاتم صالح الضامن.

فيه أغلب مفردات اللسانيات، التي يمكن ان يفيد منها دارس اللغة العربية، بغض النظر عن الكلية التي ينتمي اليها، سواء أكانت التربية أم الآداب.

لقد حاولنا في هذه المحاضرات أنْ نقدم الإطار النظريّ للسانيات، ونتجاوز نقاط الضعف التي طبعت الكتب المنهجية للسانيات، التي كانت معتمدة، والتي سبق أنْ أشرنا إليها في مقدمة حديثنا.

ومجمل أبحاث اللسانيات حاولنا صياغتها عبر فصول خمسة سعت إلى رسم خريطة تعريفية بمبادئ هذا العلم واتجاهاته، التي شهدت طفرات نوعية في القرن الماضي وما تلاه، فكان الفصل الأول تمهيديًا، عرضنا فيه لمفهوم اللسانيات وخصائص اللغة، في حين جاء الفصل الثاني ليقدم المبادئ النظرية لهذا العلم، عبر مبحثين: عُنِيَ الأول بالمصطلحات التأسيسية، والتفريق بين اللسانيات والفيلولوجيا وفقه اللغة، والثاني تحدثنا فيه عن فروع اللسانيات النظرية والتطبيقية.

وكان تاريخ الدرس اللسانيّ القديم منه والحديث ميدانًا للبحث في الفصل الثالث، الذي وقف في مبحثين على نشأة تاريخ الدرس اللسانيّ وتاريخة، وعرض في مبحثه الأول للدرس اللسانيّ القديم، وفي الثاني رصد التطورات التي شهدها الدرس اللسانيّ الحديث.

وفي الفصل الرابع تحدثنا عن مستويات التحليل في الدرس اللسانيّ، ووقفنا فيه على المستوى الصوتيّ والصرفيّ والتركيبيّ والدلاليّ والتداوليّ. وختمنا الكتاب في فصل خامس، قصرنا فيه كلامنا على اتجاهات البحث اللسانيّ، وهي الاتجاه التاريخيّ والمقارن، الاتجاه الوصفيّ، والاتجاه التوليديّ، والاتجاه الوظيفيّ، في محاولة منّا لتتبع آخر مناهج واتجاهات الدرس اللسانيّ الحديث واتجاهاته ، عبر مدارسه المختلفة.

وأخيرًا؛ نأمل أنْ يكون هذا الكتاب شاملًا لأغلب مفردات الدرس اللسانيّ الحديث، ويسهم في الكشف عن مبادئ هذا العلم وأبرز جوانبه التطورية، وندعو القراء الكرام أساتذةً وطلابًا في مختلف الجامعات العراقية إلى قراءة هذا المؤلَّف، وتسجيل كلِّ الملحوظات التي تعنُّ لهم في أثناء قراءته؛ ليتسنى لنا الأخذ بها في طبعات الكتاب اللاحقة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

المؤلفان

المحتويات

الفصل التمهيدي

اللسانيات وخصائص اللغة

الفصل التمهيدي
اللسانيات وخصائص اللغة

اللسانيات هي العلم الذي يهتم **بدراسة اللغات** الإنسانية، ودراسة خصائصها وتراكيبها، ودرجات التشابه والتباين فيما بينها، ويطلق (اللسانيّ) على الشخص الذي يقوم بهذه الدراسة، التي ظهرت في القرن التاسع عشر الميلاديّ، وهي متعلقة بدراسة اللغة بحسب فكرة العالم (دي سوسير) الذي تأثر بعلمنة الثورة الصناعية، فأراد علمنة اللغة أيضًا في كتابه: (محاضرات في اللسانيات) فاللغة عنده تحمل هويات من القيم، والدين، والمحيط، والثقافة، والفكر الفلسفيّ.

لقد وضع علماء اللسانيات عددًا من النظريات؛ لتحديد المرحلة التي بدأ فيها الإنسان التعبير عن نفسه بالكلام، ولكنّ أيًا من هذه النظريات لا تفسر تفسيرًا كاملًا تطور اللغات الإنسانية إلى ما وصلت إليه من تعقيد ودقة، إذ يرى اللسانيون أنَّ اللغات بمراحلها المختلفة تشكل أعظم إنجاز حققه الإنسان في تاريخه، وهي أكثر أهمية من كلِّ ما أبدعه الإنسان من أدوات في الأعوام الألفين الماضية؛ لما تؤديه من أهمية بالغة في حياة الإنسان، فبوساطتها يفكر، ويتصل بالآخرين، ويحقق التكيف مع نفسه ومع البيئة التي يعيش فيها، وما لغة الفرد إلّا انعكاس لطريقة عيشه، ومستوى تفكيره، وعمق أحاسيسه. **فما هي خصائص اللغة؟**

أولًا/ اللغة ظاهرة إنسانية:

اللغة هي القدرة على التعبير والتواصل بوساطة مجموعة من العلامات المتمايزة، فلا يمكن لفردٍ أنْ يتكلم لغة بني جنسه ما لم تكن له القدرة على استعمال العلامات من أجل التواصل معهم، وهذه القدرة بالذات هي ما يشير إليه مفهوم اللغة. ويدل مفهوم اللسان على نسق العلامات المتداولة، وتتحقق القدرة على استعمال نسق العلامات بوساطة الكلام، وعلى هذا الأساس أمكن التمييز بين اللغة واللسان والكلام. فاللغة هي القدرة على التعبير والتواصل، واللسان هو نسق العلامات المستعمل للتواصل، وأما الكلام فهو طريقة استعمال الفرد لذلك النسق.

وقديمًا قال الفلاسفة: **الإنسان حيوانٌ ناطق**، ويعنون بذلك أنَّه وحده القادر على وضع أفكاره في ألفاظ، وأنَّ اللغة والتفكير عنده لا ينفصلان، إذ لا يستطيع الإنسان تخيل فكرة بمعزل عن الألفاظ التي تصوّرها، فهل يعني هذا أنَّه حيثما وجد نسق العلامات وجد معه الكلام والقدرة اللغوية؟ هل يعدُّ توافر نظام للتواصل(اللسان) لدى بعض الكائنات دليلًا على أنَّها تتكلم، وعلى أنَّ لها القدرة على التعبير والتواصل؟ إذا كانت الحيوانات تتواصل فيما بينها فهل يعني ذلك أنَّها تتكلم، وأنَّها تمتلك القدرة اللغوية؟ هل للحيوان لغة خاصة به؟ وهل توجد فروق جوهرية بين لغة الإنسان ولغة الحيوان؟.

هل يمتلك الحيوان القدرة على الكلام، أم أنَّ الكلام خاصية إنسانية؟ لقد طُرِحَ هذا السؤال في الفلسفة الحديثة على عهد ديكارت، وبرزت على الساحة الفكرية آنذاك أطروحتان:

الأولى: الأطروحة التي ارتبطت باسم (مونتيتني – Montaigne): بلور مونتيني أطروحته انطلاقًا من ملاحظة سلوك الحيوان، حيث تبيّن له أنَّ الحيوانات تتواصل فيما بينها بوساطة الإشارات، وبعض الحيوانات الراقية يتصل بعضها ببعض، ويؤثر بعضها ببعض بالصياح، وتساءل عمّا إذا كان هناك فرقٌ بين الكلام وبين قدرة الحيوانات على التعبير عن الألم والمتعة والاستغاثة والتحذير من وجود خطر...، إلى غير ذلك من الأفعال التي تعبر عنها بأصواتها (الصياح).

وللإجابة عن هذا السؤال انطلق من فكرة مفادها: أنَّ اللغة معطىً طبيعيٌّ، ولما كانت معطىً من المعطيات الطبيعية لزم أن تكون موجودة لدى الكائنات الحيَّة جميعها، ومن ثم لا يمكن عدُّها خاصية إنسانية، ومن هنا لم يجد (مونتيني) مانعًا من القول: إنَّ الحيوانات تتكلم مثلما يتكلم

الإنسان، ولكي يدعم هذه الأطروحة كان عليه أن ينفي الرأي القائل بأنَّ التواصل اللفظيّ له خصوصية تميزه من التواصل غير اللفظيّ (التواصل بوساطة الحركات والإشارات) واستدل على بطلان هذا الرأي بكون الإشهار يولي أهمية أكبر للتواصل غير اللفظيّ بالموازنة مع التواصل اللفظيّ لتحقيق التواصل، وخلص إلى القول: إنَّ الحيوانات لها لغة خاصة بها، وبذلك جعل نظام التواصل لدى الحيوان في مرتبة اللغة الإنسانية نفسها.

والأخرى: الأطروحة التي دافع عنها الفيلسوف (ديكارت – Descartes)([1]): انطلق ديكارت من الفكرة نفسها التي انطلق منها مونتيني، ولكنه طرح سؤالًا مختلفًا، حيث تساءل: هل أنَّ التواصل بين الحيوانات مؤشرٌ يدلُّ على أنَّها تتكلم؟ دفعه هذا التساؤل إلى التفكير في خصائص اللغة الإنسانية بالموازنة مع نظم التواصل الموجودة في عالم الحيوان، وتوصل إلى أنَّ أبرز خاصية من خصائص اللغة الإنسانية هي قدرتها على التعبير عن الأفكار، وأنَّ الكلام الحقيقي – في نظره – هو الكلام الذي يحمل أفكارًا، ومن ثم استبعد الرأي الذي يحصر اللغة في القدرة على استعمال الأصوات. وأما حجته في ذلك فهي أنَّ (الصم– البكم) يفتقرون إلى القدرة على استعمال الأصوات من أجل التواصل، ونظرًا لكونهم أشخاصًا عقلاء، يمتلكون القدرة على التفكير، ابتكروا نظامًا من الرموز للتعبير عن أفكارهم.

ولما كان الحيوان قادرًا على التعبير عن أفعاله، وجد ديكارت نفسه مضطرًا للبحث في طبيعة هذه القدرة، حيث تساءل هل أنَّ الحيوان بحاجة إلى القدرات العقلية للتعبير عن أفعاله أو أنَّ الانفعال الغريزيّ كافٍ من أجل التعبير عن حاجاته، وكان جوابه هو أنَّ الحيوان لا يحتاج في ذلك

[1] – رينيه ديكارت (٣١ مارس ١٥٩٦ – ١١ فبراير ١٦٥٠)، فيلسوف، ورياضي، وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ"أبو الفلسفة الحديثة"، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، والتي ما زالت تدرس حتى اليوم، ولاسيما كتاب (تأملات في الفلسفة الأولى–١٦٤١ م) الذي ما زال يشكل النص القياسي لمعظم كليات الفلسفة. كما أن لديكارت تأثير واضح في علم الرياضيات، فقد اخترع نظاما رياضيا سمي باسمه وهو (نظام الإحداثيات الديكارتية)، الذي شكل النواة الأولى لـ(الهندسة التحليلية)، فكان بذلك من الشخصيات الرئيسة في تاريخ الثورة العلمية. وديكارت هو الشخصية الرئيسة لمذهب العقلانية في القرن١٧ م، كما كان ضليعا في علم الرياضيات، فضلا عن الفلسفة، وأسهم إسهاما كبيرا في هذه العلوم.(ينظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، شبكة الانترنيت.)

إلى أكثر من الانفعال، واستدلَّ على ذلك بأنَّ هدفه الوحيد في الحياة هو تلبية حاجاته الفيزيولوجية، ولذلك لا يتجاوز سلوكه حدود ردِّ الفعل المباشر تُجاه المنبهات الخارجية([1]).

وأما الإنسان فهو من حيث الجوهر كائنٌ عاقلٌ، وإنَّهُ ذاتٌ مفكرةٌ، لذلك فهو بحاجة إلى وسيلة للتعبير عن أفكاره، وهذه الوسيلة هي اللغة، ومن هذا المنطلق عدَّ اللغة خاصية إنسانية، ليس فقط لأنَّ الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتكلم، بل بوصفه الكائن الوحيد الذي يفكر.

إن ما يميز الإنسان في نظر ديكارت هو العقل، وهو الشرط الضروري لوجود اللغة. فإذا كان الإنسان يتكلم فلأنَّهُ يفكر، وهناك شرط آخر لوجود اللغة في نظره، وهو وجود الغير، ويُعدُّ الكلام دليلًا على وجود الغير بوصفه ذاتًا مفكرةً، فلولا الكلام لما كان من الممكن معرفة ما إذا كان الغير ذاتًا مفكرةً أم آلةً من الآلات، يقول ديكارت في ذلك: "على يقين بأنني موجود لأنني أفكر، فكيف يتسنى لي معرفة ما إذا كان الغير ذاتا مفكرة مثلي؟ إنَّ الكلام بوصفه أداة للتعبير عن الأفكار هو الدليل القاطع على أنَّه ذات واعية مثلي، فإذا كان يتكلم فلأنَّهُ حتمًا يفكر، وبذلك يمكنني أن أتواصل معه، وأتبادل معه الأفكار، في حين لا يمكنني أن أتواصل على ذلك النحو مع الحيوان، ولذلك أمكن القول: إنَّ الحيوان لا يتكلم؛ لأنَّه لا يفكر"([2]).

ولعل تبادل الأفكار هو الخاصية الأساسية التي تميز لغة الإنسان من لغة الحيوان. فالإنسان يعبر عن أفكاره، وينقلها إلى غيره، وفي المقابل يتلقى منه أفكارًا أخرى، وهكذا ينشأ الحوار، وتتطور الأفكار عن طريق الحوار. أما عملية التواصل لدى الحيوان فإنها تسير في اتجاه واحد ولا تسمح بالتبادل، ففي عالم الحيوان لا يتوقع المرسل جوابًا عن على رسالته من المرسل إليه؛ لأنَّ وظيفة الرسالة هنا تنحصر في إحداث ردِّ فعلٍ ميكانيكيّ لدى المرسل إليه، ومن ثمَّ لا تؤدي إلى حوار وتبادل بين الطرفين، وهو ما تؤكده نتائج البحوث العلمية المعاصرة التي تناولت سلوك الحيوان بالدراسة والتحليل.

وإلى عهدٍ قريب كان يُعْتَقدُ أنَّ اختصاص الإنسان باللغة يرجع إلى درجة ذكائه العالية، التي تفوق درجة ذكاء الحيوان، وظُنَّ أنَّ ذلك راجع إلى نسبة وزنِ دماغه إلى وزنِ جسمه، وإلى كبر المكان المخصص للتلافيف التي يُعْتَقدُ أنَّها مركز الكلام، وقد تقدمت البحوث في هذا المجال تقدمًا

---

[1] – ينظر: اللغة، أستاذ أحمد أغبال، بحث منشور على موقعه على شبكة الانترنيت.

[2] – مبادئ الفلسفة، ديكارت، / ٨٧.

باهرًا، حتى أكدت هذه البحوث أنَّ المنطقة اليسرى من دماغ الإنسان تضم مراكز معينة لإنتاج الكلام واستقباله وتفسيره، لا نظير لها عند الحيوانات، فضلًا عن ذلك أنَّ ما يطلق عليه (أعضاء النطق) عند الإنسان – وإنْ كانت لها وظائف ضرورية أكثر من النطق – مهيَّأةٌ لإنتاج أصوات الكلام، وليس كذلك الحال فيما يخصُّ نظائرها عند بعض الحيوانات([1]).

وقد عقد الباحثون في ميدان الأنثربولوجيا وعلم النفس وعلم اللغة موازنة شاملة بين ما تستعمله بعض الحيوانات من أشكالٍ للاتصال بأفراد نوعها واللغة الإنسانية، وانتهوا إلى ما يأتي([2]):

١- الأشكال التي تستعملها الحيوانات في الاتصال محدودة للغاية، كما أنَّها محصورة في إطارٍ ضيقٍ من الغرائز والرغبات، أما اللغة الإنسانية فتبلغ أشكالها حدًا لا يمكن حصره، وتتسع مضامينها حتى تشمل كلَّ تجارب الإنسان ومعارفه.

٢- الأصوات أو الإشارات عند الحيوان ردُّ فعلٍ مباشرٍ لما يحسه، أو يتعرض له في بيئته، أما العلامات (الرموز) التي يستعملها الإنسان فليس بينها وبين ما تدلُّ عليه علاقة مباشرة، لو كانت كذلك لكان للبشر جميعًا لغة واحدة، ويعني هذا أنَّ الرمز عند الإنسان ينفصل عن المرموز (أو ما يشير إليه)، أما الأصوات أو الإشارة عند الحيوان؛ فلا يمكن أن تفصل أبدًا عمّا تدلُّ عليه.

٣- أنَّ صيحات الحيوان لا تتضمن وحدات شبيهة بالوحدات التي تتألف منها لغة الإنسان، وتفتقر إلى التأليف أو التركيب الذي توصف به، والذي يجعل الإنسان قادرة على تقسيم أيِّ منطوقٍ إنسانيٍّ على أجزاء أو وحدات.

٤- لدى الإنسان مقدرة هائلة على الإبداع والابتكار، أي أبداع جملٍ جديدةٍ على وفق المواقف والمناسبات، أنَّه يستطيع مثلًا أنْ يُؤلف جملًا لم يستعملها من قبلُ، وأنْ يفهم جملًا لم يسمعها من قبلُ، أما الحيوان فعدد الأصوات التي يمكنه إنتاجها محدود، وليس لديه القدرة على تنويعها.

٥- يستعمل الإنسان لغته على وفق قواعد صوتية وصرفية ونحوية معقدة، متفقٌ عليها بين أفراد جماعته على وفق المواقف المتعددة، وليس له أنْ يخرج عليها بحالٍ من الأحوال، وبهذا النحو ترتبط لغة الفرد بالجماعة، وتتنوع تنوعًا كبيرًا بفعل عامل المكان والزمان، أما السلوك الحيوان الاتصاليّ فيكاد أنْ يكون ثابتًا، إذ لا يملك القدرة على تطويره.

[1] – ينظر: علم اللغة الحديث، د. محمد حسن عبد العزيز، ص/١٣.

[2] – ينظر: المصدر السابق، ص/١٣–١٥.

٦- لغة الإنسان مكتسبة يتلقاها الأبناء من الآباء، أما سلوك الحيوان الاتصاليّ فليس محصلةِ تعليمٍ أو اكتسابٍ، بل هو سلوك غريزيّ يتوارثه أفراد النوع كما يتوارثون أنواع السلوك الأخرى.

٧- يستطيع الإنسان أن يعمم اللفظ الذي يستعمله في الإشارة إلى أشياء متشابهة، فكلمة (حقيبة) مثلًا تشير إلى كلِّ أنواع الحقائب، فإذا ما أراد التخصيص أضاف إلى هذه الكلمة رموزًا لغوية أخرى تحدد المقصود، وتعزله عمّا سواه ممّا يشبهه، فيقال مثلًا: (حقيبتي – حقيبة المدرسة)، أما الحيوان فلم يتبيّن من سلوكه ما يشير إلى هذه المقدرة أو تلك.

٨- يستعمل الإنسان اللغة للإشارة إلى أشياء أو أحداث بعيدة عن المتكلم زمانًا ومكانًا، إنَّهُ يستطيع مثلًا أنْ يستحضر تجارب تحدث في مكانٍ بعيدٍ ومن زمانٍ بعيدٍ، وإنَّه يستطيع أنْ يتحدث عن تجارب أو أحداث متوقعة لم تحدث بعد، بل إنَّه ليستطيع أنْ يحكي تجارب غيره، وهذه كلُّها قدرات لا يستطيع فعلها الحيوان.

وهكذا يبدو لنا ممّا تقدم ذكره آنفًا أنَّ الإنسان مهيَّأ بيولوجيًا وعقليًا للكلام، وأنَّ لغته تختلف اختلافًا نوعيًا عن أدوات الاتصال عند الحيوان، فضلًا عن أنَّ اللغة تُعدُّ العلامة الفارقة الرئيسة التي تميِّز الإنسان من الحيوان؛ لأنَّها أكثر رقيًّا وكمالًا واختزالًا وتدوينًا وقابليّةً على الخزن والتغذية والتذكر والنسيان، فهي صورة مُظهِرة لأنشطة العقل كلها[١].

١ – ينظر: المنحى الاجتماعيّ في لسان العرب، محمد صنكور /٤١.

ثانيًا/ اللغة ظاهرة فطرية ومكتسبة:

تنوعت الاتجاهات الفكرية التي حاولت البت بشأن الأصل الذي نشأت منه اللغة البشرية، أهي فطرة غريزية في وجود الإنسان، أم هي نتاج مكتسب، جراء تطور المادة الحيّة عبر ملايين السنين؟ وقد تنوعت هذه الاتجاهات تبعًا لمناهجها الدينية والأنثربولوجية والفزيولوجية والنفسية، إلّا أنَّ هناك اتجاهًا يرى عدم إمكانية التوصل إلى نتائج نهائية عن نشأة اللغة، مؤكدًا أنَّ البحث في هذا الأمر لا فائدة منه، لذلك تجنب عددٌ من علماء اللسانيات والأجناس إثارة مشكلة أصل اللغة البشرية، مكتفين ببحث عناصرها الصوتية والنحوية والدلالية، وموازنة مساراتها التطورية بين الثقافات والجماعات السكانية.

في حين شغلت مسألة الفطريّ والمكتسب في اللغة اليوم اهتمامَ عددٍ كبيرٍ من المفكرين والعلماء واللسانيين، الذين يبحثون في أصل اللغة الإنسانية وفي ماهيتها، وهم في سياق أبحاثهم هذه يستنفرون الجهد في مجال الكشف عن الأصول الأولى للغة والإبداع اللغويّ، ومدى تأثير الفطرة والاكتساب في تشكلها في مستوى الفرد وفي مستوى الجماعة.

كان اللغويون القدماء يعتقدون أنَّ اللغة أصيلة في جبلة الإنسان وفي طينته، وأنَّ الإنسان كائنٌ ناطقٌ بفطرته، وعاقلٌ بتكوينه الإنسانيّ، وكانوا يتساءلون عن اللغة التي يمكن للوليد الإنسانيّ أن يتحدثها، إذا ما أُبعد عن تجربة الاتصال بالناس من حوله، والاحتكاك باللغة السائدة في وسطه، أعربيةٌ يتكلم أم هنديةٌ أم صينيةٌ أم لاتينيةٌ؟ وكانوا يفترضون وجود لغة فطرية سامية لا تتأتى بالاكتساب، ولا تتشكل بالتعلم.

وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى تجربة أحد فراعنة مصر القدماء الذي حاول أن يختبر الأمر، فجمع عينة من الأطفال الرضع، ومنع عنهم التواصل الاجتماعيّ والاتصال اللغويّ، ولاسيما كلام المحيطين بهم من مربيات وأمهات، ليعرف ما اللغة التي يمكنهم أن يتكلموا بها؟ ولكن يد المنية سرعان ما خطفتهم؛ لأنَّ استمرار الأطفال في الوجود كان دائمًا وأبدًا مرهونًا بما يحتاجون إليه من رعاية وحنان، وهذا ما تؤكده جميع التجارب التربوية، فالحب والحنان هما نسغ الوجود الإنسانيّ وعماده، واللغة هي أداة هذا الحب وديدنه، ومن غيرها كما يبدو لا يحيا الإنسان!([١]).

[١] – ينظر: لغة الأطفال بين الفطرة والاكتساب، د.علي أسعد وظفة، كلية التربية جامعة الكويت، بحث منشور على شبكة الأنترنيت، ص/٢.

وتكررت هذه التجارب في بلدان أخرى، وفي مراحل مختلفة من التاريخ الإنسانيّ، وذلك كله للإجابة عن السؤال الوجوديّ المتعلق بماهية اللغة التي يتكلمها الإنسان قبل أن يتعرض لعملية الاكتساب اللغويّ؟ ويمكن الإشارة في هذا الخصوص إلى تجربة الملك (فريدريك الثاني) في القرن الثاني عشر الميلاديّ التي أجراها حول بعض الأطفال حديثي الولادة، والتي انتهت إلى النتيجة عينها التي انتهى إليها الفراعنة، لقد مات الأطفال قبل أنْ ينطقوا كلمة واحدة؛ لأنَّ الحنان والحب والاتصال مع الآخرين كان عندهم في أهمية الغذاء والطعام([1]).

وشاعت المصادفة التاريخية في مراحل زمنية قريبة جدًا أنْ يتم العثور على أطفال الذئاب في غابة (الإيفرون) الفرنسية، وفي الغابات الهندية، وهم أطفال عاشوا وترعرعوا في الغابات وفي أوكار الذئاب، كان هؤلاء الأطفال يسلكون سلوك الذئاب من عواء، ومشي على أربع، وهجوم على الماشية والدجاج، واستعمال الأنياب في التهام الطعام، ولم تكن المحاولات الكبيرة التي بذلت في تعليمهم مجدية، حيث تعلموا بصعوبة كبيرة بعض الكلمات، وبعض أنماط السلوك الإنسانيّ كالمشي في حالة انتصاب بدلًا من المشي على أقدام أربع([2]).

ومع أهمية هذه التجارب بقي البحث عن أصل اللغة يسجل حضوره في السجالات العلمية الساخنة، حيث يذهب بعض المفكرين اليوم إلى الاعتقاد بأنَّه لا يمكن الفصل بين المكتسب والفطريّ في تكوين اللغة الإنسانية، ومن هذا المنطلق يجري الجدل بين علماء نفس اللغة غالبًا؛ لتحديد الجوانب المكتسبة والجوانب الفطرية في بنية اللغة.

وقد برهنت المعطيات الفزيولوجية للدماغ البشري أنّ نشوء اللغة قد ارتبط ارتباطًا طبيعياً بتطور المخ والقشرة الدماغية ضمن عمليات التكيف والانتخاب الطبيعيّ عبر ملايين السنين، فالأدلة التشريحية المتوافرة في هذا الشأن تؤكد أنَّ دماغ الإنسان القديم كان يفتقر إلى المخ والقشرة الدماغية اللذين يعدان المسؤولين في دماغ الإنسان الحالي عن اكتساب اللغة وإدراكها، ونطقها، إذ إنَّ مناطق اللغة تقع في النصف الأيسر من المخ، وتحديدًا في الفص الأماميّ في منطقة (بروكا – Broca) وكذلك في منطقة (فرونكا – Wernick) كما تتوفر في الدماغ الحالي (مناطق الارتباط) المسؤولة عن تحويل الأحاسيس البصرية والسمعية إلى معاني لغوية وبالعكس، وإنَّ غياب هذه

[1] – ينظر: المصدر السابق.

[2] – ينظر: الإشكالات الفلسفية في فكر تشومسكي اللغوية، امطانيوس ميخائيل.

المناطق المسؤولة عن اللغة في دماغ الإنسان القديم، إنَّما يدلُّ بوضوح على أنَّ المراكز الفزيولوجية للغة لم تظهر دفعة واحدة، بل نشأت وتطورت عبر تاريخ وجود الإنسان على الأرض[1].

وقد أشار الإمام (عليه السلام) في عددٍ من كلماته إلى القابلية الفطريّة للغة، فحينما وصف خلق الجنين بعد نفخ الروح فيه، قال: " **ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً وَلِسَاناً لافِظاً** "[2]، وفي هذا القول دليل على مسألة فطريّة اللّغة وأصالتها، وتعني أنَّ ملكةَ النطقِ واحدةٌ، ثم تشعب في افتراض العالم (تشومسكي – Chomsky) لاختلاف اللّغات العالميّة اختلافًا سطحيًا، وهذا ناتج من انشقاقات وانعكاسات لعلم قواعديّ عام وعالميّ[3]، ويمكن أن يكون سبب هذا الاختلاف هو التأثير البيئيّ ما دام الإمام يقول بتأثير الصفات الجسميّة في النفسيّة عند الإنسان[4]، فاللغة إذًا " ليست من الأمور التي يضعها فرد معين أو أفراد معنيون، وإنَّما تخلقها طبيعة الاجتماع، وتنبعث عن الحياة الجمعيّة، وما تقتضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر وتبادل للأفكار، وكلُّ فردٍ منّا ينشأ فيجد بين يديه نظامًا لغويًا يسير عليه مجتمعه، فيتلقاه عنه تلقياً بطريقة التعليم والمحاكاة كما يتلقى عنه سائر النظم الاجتماعيّة الأُخرى . وكلُّ خروج عن نظام اللغة ولو كان عن خطأ أو جهل، يلقى من المجتمع مقاومة تكفل ردّ الأمور إلى نصابها الصحيح، وتأخذ المخالف ببعض أنواع الجزاء ... وإذا حاول فرد أن يخرج كلّ الخروج على النظام اللغويّ، بأن يخترع لنفسه لغة يتفاهم بها، فإنَّ عمله هذا يصبح ضرباً من ضروب العبث العقيم "[5].

ومن هذا المنطلق يرى تشومسكي ومساعدوه أنَّ اكتساب اللغة مرهونٌ إلى حدٍّ كبيرٍ بالبنى اللغوية الفطرية التي توجد في أصل الإنسان، وأنَّ هذه البنى اللغوية الخاصة تبدأ عملها في مرحلة محددة من النضج، وهي تزود الطفل بمعلومات مبرمجة مسبقًا على نحوٍ فطريّ، فالطفل يولد وهو

---

[1] – ينظر: اللغة بين فطرية تشومسكي وبنيوية بياجيه، د.فارس كمال نظمي، مجلة الحوار المتمدن، العدد/١٢٤٢، ٢٠٠٥م، ص/٢.

[2] . نهج البلاغة ، خطبة/ ٨٣ /١١٣ .

[3] . ينظر: علم النفس التجريبيّ ، وليم باينز /١٢٦.

[4] . ينظر : الاتجاه الفكريّ عند الإمام (ع) ، د. رحيم محمد سالم/٢٩٥ ،ط١، مركز دراسات الشهيدين الصدرين ، بغداد ،٢٠٠٧ م.

[5] – اللغة والمجتمع ، د . علي عبد الواحد وافي / ٤–٥ .

يمتلك بنى فطرية خاصة للغة، وهذه البنى تتضح في سياق اللغة التي تحيطه في وسطه الثقافيّ والاجتماعيّ، فالطفل يولد وهو مزود بقدرة فطرية خاصة على تعلم اللغة، وأنَّ هذه القدرة تميل إلى النشاط بين الشهر الأول من العمر والسنة الخامسة، ثم تبدأ هذه القدرة بالضمور بعد أن تكون قد أدت الغاية من وجودها.

فجميع الأطفال على وفق نظرية تشومسكي يُكوِّنون القواعد اللغوية فطريًا بنحوٍ متجانس ومدهش في الوقت نفسه، وتنطوي هذه المقولة على افتراضٍ قوامه: أنَّ الطفل يمتلك في داخله علبة وراثية لغوية سوداء؟ وهذه العلبة هي المعنية في بناء اللحظات الأولى للأداء اللغويّ، ومن ثمَّ تقلل البنية اللغوية من أهمية نشاط الفرد في بناء قواعد لغته كما تقلل من أهمية التأثير الذي يمارسه الوسط الاجتماعيّ في قابليات الأطفال اللغوية.

وعلى خلاف ذلك ينفي أنصار النزعة البيئية وجود بنى لغوية فطرية عميقة غير قابلة للملاحظة، وهم لا يعطون أية أهمية للاعتبارات الفطرية والوراثية في عملية نمو اللغة واكتسابها، فاكتساب اللغة يتم في نسق من المؤثرات الاجتماعية والتربوية، والتأثير الاجتماعيّ هو الذي يمارس دوره في عملية اكتساب اللغة، وذلك عبر عمليات متكررة ومستمرة ،وأولويات من التعميم والتعزيز وسواهما.

يبيّن (جان لاكان) في كثرة من أعماله أنَّ اللاشعور الإنسانيّ ركامٌ من المفردات اللغوية، ويتأسس على ذلك أنَّ الإنسان كيانٌ لغويٌّ، يتكون باللغة ومن خلالها، وهذا يعني أنَّ اللغة هنا شرطٌ للتكون الإنسانيّ، وليس العكس كما نلحظ ذلك عند تشومسكي وغيره، فإذا كان لا شعور الإنسان يتمثل في الخبرات والتجارب التي يعيشها الفرد في مراحل حياته الأولى، فإنَّ الوسط الاجتماعيّ يؤدي دورًا فعالًا في عملية تحديد السمات الأساسية للبنية اللغوية عند الأطفال بوصفها لاشعورًا([1]).

فعلم النفس اللغويّ عند (جان بياجيه وتشومسكي) وأنصار الوراثة وعلماء اجتماع البيولوجيا يولي أهمية كبيرة للفطرة في تحديد البنى اللغوية العميقة في النفس الإنسانية، التي لا يمكن لها أن تخضع للملاحظة، وهذه البنى اللغوية الفطرية خاصية مشتركة بين جميع الأطفال الذي يتكلمون لغة واحدة.

---

[1] – ينظر: اللغة بين فطرية تشومسكي وبنيوية بياجيه، ص/٣.

إنَّ التباين الذي أتضح من الآراء المذكورة حول مسألة كون اللغة بدءًا، أهي سلوك فطريّ أم مكتسب في العقل البشريّ، لا يتعارض مع حقيقة أنَّ اللغة في وظيفتها الاجتماعية هي انعكاس حيٌّ للوجود العاقل المتطور للإنسان، ومن ثمَّ ، فإنَّها بنية حيوية غير ساكنة، قابلة للتطور على كلِّ المستويات، سواء المستوى الفزيولوجيّ العصبيّ الذي ينتجها ماديًا أو المستوى الدلاليّ الذي تقوم هي بإنتاجه فكريًا، وبمعنى أكثر تحديدًا، أنَّ الاختلاف حول الأصل الذي نشأت منه اللغة البشرية، لا يلغي الاتفاق حول أنَّ الإنسان في كلِّ مراحل تطوره الفرديّ والاجتماعيّ والحضاريّ، يظل يكتسب اللغة وينتجها، إذ لا أهمية لتحديد موقع نقطة البدء فيها، مادامت هذه الرموز البصرية والسمعية هي وسيلته الرئيسة في ادراك العالم وفهمه، والتأثير فيه([1]).

ثالثًا/ اللغة أصوات:

إنَّ من ظواهر جنوح البحث اللسانيّ الحديث نحو الموضوعية في القرن التاسع عشر الميلاديّ هو البحث عن القواعد الكلية للغة الإنسانية وظواهرها اللغوية، فبعد أن كانت همة اللغويين منصبة في البحث عن اللغتين(اليونانية واللاتينية) للكشف عن نظمهما وقواعدهما اللغوية، تشعب البحث وامتد ليشمل جميع اللغات الإنسانية؛ بغية الوصول إلى القوانين العامة والقواعد الكلية التي تخضع لها كل لغة إنسانية في جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية .

ومع تفجر المعرفة اللغوية عكف الدارسون والباحثون يدرسون لغاتهم، ويحللون ظواهرها، ويربطون الماضي بالحاضر، مستعينين بالتطور المعرفي، والتجارب التطبيقية الحديثة، فاللغة – بحسب تعريف ابن جني– نظام من الرموز الصوتية التي يعبر بها كلِّ قوم عن أغراضهم، هذه الرموز التي وضعت للإعلان عن الأشياء المعلومات، فإذا استحضر الرمز أو اللفظ عرف به ما سماه؛ ليمتاز من غيره، ويعني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين.

ومن هنا يتضح أنَّ الكلام فعلٌ صوتيٌّ فرديٌّ يتم في الزمان ويتلاشى ضمنه، في حين تبقى اللغة مجموعة من الكلمات والأصوات والقواعد الثابتة، التي من خلالها يتحقق فعل الكلام، وبموجبها يبني المجتمع معرفته ويحقق تواصله، هذا الأخير الذي قد يتحقق بالاستناد إلى وسائل

[1] – ينظر: المصدر السابق،ص/٦.

أخرى غير الكلام – تندرج بدورها تحت غطاء اللغة – الحركات، الإيماءات الجسدية، العلامات والرموز.

واللغة منطوقة أساسًا، في حين أنَّ الكتابة ثانوية، فقد تعلمنا جميعًا الكلام قبل الكتابة، وإذا استعرضنا تاريخ الجنس البشريّ وجدنا ما يؤكد هذا، لقد وجدت مجتمعات بدائية لها لغات لا تكتب، ولكننا لا نعرف حتى الآن مجتمعًا له لغة مكتوبة ولا تنطق، والأصوات هي مادة اللغة الإنسانية، لها جوانب ثلاثة، هي([1]):

١- جانب إصدار هذه الأصوات، ويتمثل فيما تقوم به أعضاء النطق من حركاتٍ لإنتاجها.

٢- جانب انتقال هذه الأصوات، ويتمثل في الموجات الصوتية، التي تنتشر في الهواء نتيجة لما تقوم به أعضاء النطق من حركات.

٣- جانب استقبال الأصوات، ويمتد هذا الجانب من اللحظة التي تستقبل فيها طبلة الأُذن الذبذبات الصوتية، التي تحدثها في أجزاء الأُذن المختلفة إلى أنْ تنتقل من طريق الأعصاب إلى المخ.

وفي علم الأصوات تنقسم أصوات الكلام على قسمين رئيسين، هما: الصوامت والصوائت، وينبني هذا التقسيم على مجموعة من الأسس، أبرزها([2]):

أ- وضع الوترين الصوتيين.

ب- وطريق مرور الهواء من خلال أعضاء النطق، ثمَّ بحسب مواضع النطق أو مخارجه.

والصامت باعتبار وضع الوترين، إما مجهور يتذبذب الوتران معه، وإما مهموس لا يتذبذب الوتران معه، باعتبار حالة مجرى الهواء، إما انفجاريّ، أو احتكاريّ، أو متوسط، أو مركب، وباعتبار مخرج الصوت، إما شفويّ، أو شفويّ أسنانيّ، أو أسنانيّ لثويّ...وغير ذلك.

ويطلق مصطلح الصوائت على (الحركات)، والصوائت العربية الأساسية هي: الفتحة والكسرة والضمة، والألف الممدودة اللينة أو الفتحة الطويلة كما في (قال)، والياء الممدودة اللينة أو الكسرة الطويلة كما في (بِيع)، والواو الممدودة اللينة أو الضمة الطويلة كما في كلمة: (روح)([3]).

---

[1] – علم اللغة الحديث، ص/١٦.

[2] – ينظر: المصدر السابق.

[3] – ينظر: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص/ ١٨٤–١٨٥

واختلف مسار اللغويين المحدثين عن القدماء في توصيف هذه الحركات، فانبرى بعض المحدثين يدرسونها ويصّفونها معتمدين على التقنيات الصوتية، والتجارب المعملية الحديثة، أمثال: الدكتور عبد الصبور شاهين في كتابه: المنهج الصوتي للبنية العربية([1])، فهو يقرر أن العربية الفصحى عرفت أربع حركات:

١- الفتحة المفخمة: بعد الأصوات المفخمة:(الصاد والضاد والطاء والظاء والقاف والغين والخاء والراء، ولام لفظ الجلالة إن سبقت بفتح أو ضم).
٢- الفتحة المرققة مع بقية الصوامت.
٣- الكسرة الضيقة الأمامي، وقد تتسع قليلًا فتنطق كالفتحة الممالة في المقطع المقفل مثل: (طِر وبِع) أمرين من (طار وباع)، وذلك ملحوظ في النطق الحديث.
٤- الضمة الضيقة الخلفية، وقد تتسع قليلا فتنطق (o) باللغة الإنجليزية، مثل: (قم وصم) أمرين من (قام وصام)، وهو شائع حديثا.

ولكنهم سموها بثلاث تسميات مدمجين حركتي الفتحة: (مفخمة ومرققة) في تسمية واحدة؛ لأنَّ اختلافهما لم يترتب عليه أثر صرفيّ. ثم قرر أن الحركات في حال القصر تسمى فتحة وضمة وكسرة ولا غضاضة في ذلك، أما في حال الطول فتسمى الألف والواو والياء، ويرى أنه ينبغي أن يُعدل عن هذه التسمية إلى أن تسمى: الألف الطويلة، والواو الطويلة، والياء الطويلة؛ لأن هناك فرقا بين هذه الحركات الطويلة، والواو والياء (حرفا العلة) فهما من الناحية الصوتية نتيجة تتابع حركات طويلة أو قصيرة، فتتابع حركتي الفتحة والكسرة (a+ i=y) يُنتج صوت الياء، وتتابع حركتي الفتحة والضمة ينتج عنه صوت الواو (a+u=w)، أي انَّ الانزلاق بين الحركتين المختلفتين هو ما يسمى بالياء أو الواو، وإذا لم يحدث الانزلاق لسكتة – مثلًا– بين الحركتين لن تنتج الياء والواو.

ويدلُّ على تلك الطبيعة الانتقالية لهما بأن الناطق ليس بمقدوره أن ينطق الواو بلا حركة قبلها أو بعدها([2])، لأنَّ الحركة جزؤها ولا وجود لشيءٍ ضاع شطره الأساسيّ، في حين أنّه يمكن نطق

---

[1] – ينظر: المصدر السابق، ص/٢٩-٣١.

[2] – ومن كلامه يُفهم أن ذلك لا ينطبق على الياء فيمكن نطقها كالصوامت الأخرى، ولعل الأسلم أن يدلل بالتجريب المعملي وحده.

أي صامت آخر بلا حركة؛ لأنَّه مستقل، على الرغم من أنَّ كتب الصرف عاملتهما صامتين كبقية الصوامت.

ولما كانتا انتقاليتين منزلقتين أطلق المحدثون على كل منها:(نصف حركة)، فهما نصف حركة من الناحية الصوتية، ونصف صامت من الناحية الموقعية، وكلٌّ هذا مثبت بالبحوث الصوتية التطبيقية، يقول عبد الصبور شاهين: " إنَّ ما يمكن أن يوصف بالاعتلال في أصوات العربية اثنان: هما الواو والياء الانتقاليتان، أما الألف، فليست حرف علة، بل هي فتحة طويلة، كما أن الياء المديّة كسرة طويلة، والواو المديّة ضمة طويلة، وقد جاء التباسهما بالواو والياء المعتلتين نتيجة التماثل في الرمز الكتابيّ، وعلى هذا ينبغي أن نعدَّ أصوات المد حركات، لا حروفًا صامتة أو معتلة ساكنة كما يرى ذلك الصرفيون والعروضيون"([1]).

وقد وصف علماء الأصوات الحركات بأنَّها أصوات مجهورة يهتز الوتران عند مرور الهواء الخارج من الرئتين عند نطقهما، ويمر الهواء دون أن يعترضه عائق([2]) وقد استند تقسيمها الى أمرين: وضع اللسان في الفم، وشكل الشفتين، فقد يظل اللسان منبسطا في الفم، أو قد يرتفع على نحو مختلف إلى الأمام نحو الحنك الصلب، أو إلى الخلف نحو الحنك اللين ، وهذه الأوضاع تؤدي إلى تكوين ما يسميه علماء الأصوات بالحركات المفتوحة، والمغلقة الأمامية،والمغلقة الخلفية ،وتتميز المفتوحة عن غيرها بوضع اللسان الذي يكون في أقصى ارتفاع له، وكذلك اختلاف الشفتين فقد تكون مستديرتين أو منبسطتين بدرجات مختلفة([3]).

قسمت الحركات في علم الصوتيات الحديث على قسمين: حركات قصيرة : تقابل الفتحة والضمة والكسرة في العربية، وحركات طويلة: تقابل حروف المد في العربية([4]). وقد أطلق على صنيع (جونز) (الحركات المعيارية) أو (مقاييس أصوات اللين) وارتضاها علماء الأصوات مقياسا لأصوات اللين، وهي تسع حركات أو مقاييس، تقابل الكسرة العربية منها المقياس الذي رمز له

---

[1] – المنهج الصوتي للبنية العربية، ص/ ٣٢.

[2] – وفي ذلك يقول سيبويه: " وهذه الحروف غير مهموسات، وهي حروف لين ومد، ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها،ولا أمد للصوت " الكتاب: ١٧٦/٤.

[3] – ينظر: دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، ص/١١٤–١١٥. وينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص/ ٩١.

[4] – ينظر: في علم اللغة العام، ص/١٠٤.

بـ(i)، والفتحة بـ(a)، والضمة بـ(u)، وإذا رُمز لأصوات المد واللين أو الصوائت الطويلة كُرّر رمز الصائت القصير فيكون رمز الياء (ii)، والألف (aa)، والواو (uu)، وبقية المعايير تقابل حروف اللين الممالة بحسب درجاتها والألف المفخمة([1]).

رابعًا/ اللغة رموز وعلامات:

إنَّ الأصوات التي تتألّف منها اللّغة ليست مجرّد أصوات منطوقة بل هي رموز ذات معاني، والتعريف بالرمز هو من اختصاص علم العلامات، والعلامات هي حوادث وأشياء توجّه الانتباه إلى حوادث وأشياء أخرى أو تشير إليها، وقد يكون ارتباط العلامات بالأشياء طبيعيّا أو سببيّا، كما قد يكون الارتباط تواضعيّا، والأصوات اللّغوية تصنّف ضمن العلامات ذات الارتباط التواضعيّ أو ما يعرف بالرموز التواضعية، ولكنّها تختلف عن بقية الرموز في ناحيتين:

الأولى: كون الرموز اللّغوية مبنية على تواضع اعتباطيّ محض.

والأخرى: أنّ اللّغة قادرة على وصل رموزها بخبرات الإنسان وتصوّراته، وأجزاء الكون ومحتوياته كافة. وهذا الرمز يتضمن فكرتين:

إحداهما: فكرة الشيء الممثل.

والأخرى: فكرة الشيء الممثل له.

وتقوم الأولى بإثارة الفكرة الثانية في الذهن، فيتم استحضار هذه الفكرة من طريق التمثل الذهني، إنَّ أهمية العلامة تتمثل في إثارتها للنشاط الذهنيّ، وهناك أنواع من العلامات الرامزة، هناك العلامات الطبيعية كالدخان مثلًا، الذي يعدُّ علامة طبيعية تدلُّ على وجود النار، هناك أيضًا علامات اصطناعية، مثل: علامات المرور، وهناك أيضًا العلامات التجارية، أما النوع الثالث من العلامات فهو ما يسمى بالعلامات اللسانية، ويعدُّ علامات ثقافية؛ لأنَّها حاملة لفكرٍ، وتحيل على ثقافة محددة، فهل هناك فرق بين العلامة والرمز؟

إنَّ طرح السؤال المتعلق بالفرق بين العلامة والرمز يحيلنا إلى مسألة العلاقة بين الدال والمدلول، الاسم والمسمى بالعالم الخارجيّ أو علاقة الأسماء بالأشياء، هناك تصوران لهذه العلاقة: لقد عدَّ أفلاطون أنَّ العلاقة بينهما علاقة طبيعية؛ لأنَّ الاسم في نظره يظهر حقيقة المسمى أو

[1] – ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص/ ٣٣١-٣٣٢.

خصائصه ومميزاته الطبيعية، أما علماء اللسانيات والفلاسفة المعاصرين فقد عدُّوا العلاقة بين الاسم والمسمى أو الدال والمدلول علاقة اعتباطية، فما معنى الاعتباطية؟ إنَّها تعني أنَّ العلاقة بين الاسم والمسمى لا يمكن تسويغها من الناحية العقلية أو المنطقية.

إنَّ الاعتباطية تعني أيضًا أنَّ العلاقة بين الاسم والمسمى أو الدال والمدلول هي علاقة قسرية، والقسرية هنا تعني:

١- أنَّ الاسم لا يُظهر حقيقة المسمى.

٢- أنَّ العلاقة بينهما لا تراعى فيها أية اعتباطات ذاتية أو عقلية، كما أنَّ الاعتباطية لا تعني أنَّ الذات المتكلمة لها الحرية في التصرف في النظام اللغويّ، بل على العكس من ذلك، فإنَّ النظام اللغويّ يفرض على الذات المستعملة له احترام القواعد والضوابط التي تنظمه، فما دور العلامات و الرموز اللسانية؟ و ما علاقتها بالعالم الخارجيّ؟ وقبل ذلك ما الفرق بين العلامة و الرمز؟.

إنَّ الرمز ينتمي إلى مجال العلامات ولكنه علامة تستعمل بمعنى خاص، وإذا كانت العلاقة بين العلامة و بين ما تحيل إليه علاقة اعتباطية، فإنَّ العلامة التي تستعمل رمزًا تحافظ على علاقة طبيعية بينها وبين ما ترمز إليه، من دون أن يكون هناك تطابق كليّ بينهما، ومثال على ذلك العلامة اللسانية (الثعلب أو الأسد) فحينما نستعملها في سياق عام، فإنَّ الحديث يكون عن حيوانات لها نمط عيش خاص بها، ولكن حينما نستعملها كرموز، كأن نقول عن شخص بأنَّه ثعلب أو أنَّه أسد، فنحن لا نعني أنَّ هذا الشخص تحول إلى حيوان، بل نقصد أنَّه يشترك مع كلٍّ منهما في خاصية معينة، وهي خاصية توجد في طبيعة كلٍّ منهما: المكر والشجاعة، ومن هنا نستخلص أنَّ الرمز يشترك في خاصية طبيعية بينه وبين ما يرمز إليه، فما دور العلامات والرموز اللسانية ؟.

بمجرد أنَّ العلامة اللسانية تقوم على الصوت تجعلها مختلفة ومتميزة ومختلفة عن بقية العلامات؛ لأنَّ ارتكازها على هذا المكوِّن الصوتيّ يجعلها متحررة من الارتباط المباشر بالأشياء المادية أو بالإدراك الحسيّ؛ لما يتم التواصل بشأنه، و يمكن القول: إنَّ دور العلامة اللسانية لا تحيل على شيءٍ ماديّ، بل تحيل على معنى الشيء الذي يجعلها يؤدي دور الوسيط ما بين الإنسان و العالم الخارجيّ.

إن العلامات والرموز تشكل عالمًا موازيًا للعالم الخارجيّ هو ما يمكن تسميته بالنظام اللغويّ الرمزيّ، بل يصبح بديلًا عن الأشياء المادية، نحن إذن لا نتعامل مع الأشياء والموجودات كما هي، بل كما يحددها النظام اللغويّ، إذ إنَّ هذا الأخير يعيد تشكيل العلاقات وتصنيف الموجودات حتى يستطيع التحكم في موجودات ومكوِّنات العالم الخارجيّ، و بهذا المعنى يمكن القول: إنَّ النظام اللغويّ كما يفرض نفسه على الإنسان الذي يستعمله يفرض نفسه أيضًا على العالم الخارجيّ، وعلى هذا الأساس يمكن القول: إننا نتعامل مع الواقع كما يدركه الفكر من خلال اللغة

ويكتسب الطفل بنحوٍ عام فهمًا لما تمثله الرموز على نحوٍ بطيء جدًا، فكلمة (كرسي) مثلًا تعني لطفلٍ صغيرٍ أول ما تعني كرسيه الخشبيّ الصغير، أما الكرسي الذي يجلس عليه جده؛ فهو شيءٌ آخر، وشيئًا فشيئًا يكتشف أنَّ الكراسي جميعها تشتمل على عناصر مشتركة معينة، وحينئذٍ يستطيع تعميم فكرة الكرسي، وبذلك يستوعب الدلالة، بل إنَّ الكثيرين منّا يضيفون باستمرار دلالات جديدة لكلمات مجردة مثل: (العدل) و(الحق) على مدى الأيام والسنين، فاللغة، إذن، نظام رمزيّ وعرفيّ، يشكل تحديًا كبيرًا للمتعلم الصغير، وهو قابل للتطور والتجدد في السنوات اللاحقة.

لقد أوضحت الدراسات العلمية الحديثة أنَّ الفرق الأساسيّ بين لغة الإنسان ولغة الحيوان يكمن في أنَّ الأولى تستعمل العلامة (الرمز)، في حين تستعمل الثانية الإشارة، والفرق بين الإشارة والعلامة، هو أنَّ الإشارة تولد ردَّ الفعل، في حين يولد العلامة التفكير. فالإشارة هي شيءٌ يحيل على شيءٍ آخر، غير ما يشير إليه أو يطلبه، فهي كالمنبه، ومعنى ذلك أنَّها شيءٌ محسوسٌ، يولد ردَّ الفعل، ولا يبعث على التفكير، وهذا ما تنّبه عليه ديكارت في حديثه عن الكائنات الميكانيكية.

وقد قلنا سلفًا: إنَّ الأصوات هي مادة اللغة، وهذه الأصوات رموز، أي بدائل تستعمل في الإشارة إلى أشياء ليست هي الأصوات ذاتها،إذ ليس ثمة علاقة ضرورية بين الأصوات وما تشير إليه، والرموز التي يستعملها الإنسان كثيرة: (فالألوان رموز والحركات رموز والأعلام رموز...وسواها) غير أنَّ الرموز اللغوية منطوقة أو مرسومة هي أغنى الأنظمة الرمزية وأكثرها إيجازًا([1]).

وأما العلامة الرمز، فهي وسيلة للتفكير، تتجاوز وظيفتها إحداث ردِّ الفعل المباشر؛ لأنَّها توحي بالأفكار المجردة التي لم تتحقق بعد في الواقع، وعلى هذا الأساس يمكن القول: إنَّ الانتقال

[1] – ينظر: علم اللغة الحديث، ص/١٨.

من اللغة الحيوانية الطبيعية إلى اللغة الإنسانية، أي الانتقال من استعمال الإشارات إلى استعمال الرموز هو حدث بالغ الأهمية في تاريخ الكائنات الحيَّة، فهو يدلُّ على الانتقال من حالة الطبيعة إلى حالة الثقافة، من الوضعية التي تكون فيها الغرائز هي العامل المحدد للسلوك إلى الوضعية التي يؤدي فيها العقل دورًا مهمًا في تحديد السلوك؛ لذلك يمكن عدُّ اللغة الرمزية هي معيار التمييز الانطلوجيّ بين الإنسان والحيوان.

تنسجم هذه الفكرة مع ما ذهب إليه عالم الأنثربولوجيا الفرنسيّ (ليفي ستروس – Lévi Strauss) في دراسته للمجتمعات البدائية، إذ أكد أنَّ ظهور التبادل هو العامل الأساسيّ الذي تسبب في الانتقال من حالة الطبيعة إلى حالة الثقافة.[١]

وتجدر الإشارة إلى وجود فرق آخر لا يقل أهمية بين العلامة المستعملة في اللغة الإنسانية والإشارة المستعملة في اللغة الحيوانية، وهو الفرق الذي كشف عنه الفيلسوف الفرنسيّ (برجسون – Bergson)، إذ يرى هذا الفيلسوف أنَّ الفرق الجوهريّ الموجود بين العلامة والإشارة هو أنَّ الأولى متحركة، تنتقل من موضوع إلى آخر، في حين تظل الثانية ملتصقة بموضوع محدد ولا تفارقه أبدًا،[٢] فإذا كان للنمل على سبيل المثال لا الحصر لغة، فإنَّ عدد العلامات التي تتدرج في تكوينها لا بُدَّ أن يكون محدودًا جدًا، ولا بُدَّ أنَّ كلَّ واحدة منها ظلت مرتبطة بموضوع محدد أو عملية محددة منذ أن خرج هذا النوع من الحيوان إلى الوجود، ومن هنا ترتبط العلامة بالشيء الذي تدلُّ عليه في هذه اللغة ارتباطًا لا ينفصم، في حين أنَّ اللازم أن يتوافر الإنسان على لغة تمكنه من الانتقال في كلِّ لحظة ممّا يعرف إلى ما يجهل، وأن لا يكون عدد العلامات التي تتألف منها تلك اللغة محدودًا، وأن تكون قابلة لأن تنتقل إلى عدد لا حصر له من الأشياء، إنَّ قابلية العلامة للانتقال من موضوع إلى آخر هي الخاصية الأساسية التي تميز اللغة الإنسانية.

وممّا تقدم أنفًا يتبيّن لنا أنَّ اللغة الحيوانية عقيمة جامدة، تظل ملتصقة بالموضوع الذي وضعت منذ بداية تشكلها للإشارة إليه، وأما اللغة الإنسانية فهي خصيبة وغنية، علاماتها متحركة، تتنقل باستمرار من موضوع إلى آخر، فكلما حصل تغير وتطور في المجتمع يجد الإنسان نفسه مضطرًا لابتكار علامات جديدة.

---

[١] - ينظر : الاسطورة والمعنى ،كلود ليفي شتراوس ص/٨ .

[٢] – ينظر : بحث في المعطيات المباشرة للوعي ، هنري بوغنسون ص/ ٣٦ .

وإذا كانت العلامات التي تتألف منها اللغة الإنسانية قادرة على اكتساب معاني جديدة فإنَّ السبب في ذلك يرجع إلى طبيعة المجتمع الإنسانيّ وطبيعة الأنشطة التي يزخر بها، وإذا كان الأمر كذلك فإنَّ ما يفسر الفرق بين لغة الإنسان ولغة الحيوان؛ هو الاختلاف الموجود بين النشاط الإنسانيّ والنشاط الحيوانيّ، ففي المجتمع الحيوانيّ تتوزع الأنشطة بين الأفراد على وفق مبدأ بيولوجيّ، إذ إنَّ العوامل الوراثية هي التي تحدد الأدوار، وكيفية توزيعها. أما المجتمعات الإنسانية فتنطوي على عددٍ لا حصر له من الأنشطة والأدوار المتجددة باستمرار؛ ذلك لأنَّ عمليات الإنتاج تخضع لقوانين غير بيولوجية، وتنمو وتتطور على وفق تغير شروطها الاجتماعية، إذ إنَّ ما يميز الإنسان من الحيوان قدرته الهائلة على الابتكار والتعلم، ومن هذه القدرة تستمد اللغة الإنسانية خصوصيتها المتمثلة في القدرة على النمو والتطور.

وما كان بإمكان اللغة أن تواكب التطور الاجتماعيّ لولا قدرة العلامة اللسانية على الحركة والانتقال من موضوع إلى آخر، ولولا مرونة اللغة لظلَّ المجتمع الإنسانيّ على ما هو عليه راكدًا ركود المستنقع، ولظلَّ الإنسان منغلقًا على ذاته، يعيد إنتاج تجارب الماضي بما تنطوي عليه من معاني وأفكار بسيطة متجمدة، ولذلك يمكن عدُّ (مرونة اللغة) الشرط الضروري لتطور المجتمعات الإنسانية ورقيها وازدهارها؛ لذلك عدَّ (برجسون) مرونة العلامة، وقابليتها للانتقال من موضوع إلى آخر، الخاصية الأساسية التي تميز اللغة الإنسانية من لغة الحيوان، ورفض الفكرة التي تقول: إن ما يميز اللغة الإنسانية هي قدرتها على التعميم والتجريد، فإذا كان التعميم يعني استعمال كلمة واحدة للدلالة على عددٍ كبيرٍ من الأشياء، مثلما تدلُّ كلمة: (شجرة) على النباتات جميعها التي تشترك في بعض الخصائص، فإنَّ الحيوان لا يفتقر إلى هذه القدرة افتقارًا كليًا، فالغزالة عند الأسد لا تعني الغزالة الماثلة أمامه فقط، بل تعني كلَّ غزالة ممكنة.

وللرموز اللغوية صفات، هي([1]):

١- يتطلب الرمز وجود مرسل يرمي إلى إخبار بشيءٍ والمستقبل يتلقى الرسالة.

٢- العلاقة بين الرمز والمرموز علاقة اعتباطية (غير مباشرة).

٣- يتطلب الرمز قصدًا من المرسل، ووعيًا باستعمال الرمز وسيلة لتحقيق مراده.

[1] – علم اللغة الحديث، ص/١٩.

٤- لا يتمثل الرمزُ الشيءَ الذي يشير إليه، بل يعني شيئًا غير ذاته، ولهذا يحتاج إلى تفسير.

٥- الربط بين الرمز والمشار إليه يتحقق من طريق الخبرة المتكررة في الطفولة عند اكتساب اللغة أو في مراحل النمو اللغويّ فيما بعد.

خامسًا/ اللغة نظام:

اللغةُ نظامٌ، ولكلِّ نظامٍ قواعدٌ تحكم أصواته وبنية مفرداته، وتضبط العلاقات بين بنياتها الصغرى حين تؤلف وحدات (كلمات، وجمل، وتراكيب، وفقرات)، واللّغة تتألف من أصوات يرسلها جهاز النطق، و تنقلها موجات الأثير، وتستقبلها الأسماع، ولا يقتصر جهاز النطق على اللّسان كما هو شائع، بل إنَّ أعضاء النّطق الرئيسة هي منفاخ الرّئتين والقصبة الهوائيّة والحنجرة (الّتي تحتوي على الحبال الصّوتيّة) واللّسان والأسنان والشّفتان، وعندما نطلق على هذه الأعضاء تسمية جهاز النّطق فإنّ ذلك لا ينفي أنّها تقوم بوظائف أخرى تتصل بجهاز الهضم وجهاز التّنفّس، وهذه الأعضاء قادرة على نطق الأصوات جميعها في اللّغات، و لكن كلَّ حضارة اختصّت بعددٍ معين من الوحدات الصوتية المتميّزة بعضها من بعض؛ بسبب الاختلاف في موقع النّطق وطريقته.

وعندما نقرر أنّ اللّغة تتألّف من مجموعة أصوات فإنّنا نخرج بذلك من دائرتها كلّ واسطة اتّصال أخرى لا تعتمد الصّوت مادة مكوّنة لها، فالنّظام الكتابي الّذي يتألّف من رموز مطبوعة أو مكتوبة ليس لغة، وإنّما تمثيل للأصوات اللّغوية، يتوقّف نجاحه وفشله على محاكاته للّغة المنطوقة وأمانته، وكذاك على بساطته، وكماله، واتّساقه، ومن هنا نستطيع المفاضلة بين النظم الكتابية، فنقول مثلًا: إنَّ الكتابة الصّينية أسوء نظام كتابيّ، وإنَّ هجاء اللغة الإنكليزية يليه في الرداءة... وهكذا، وينطبق الأمر كذلك على ما يسمى بـ(لغة الصّمّ) وهي إشارات منتظمة تؤديها أصابع اليدين للتفاهم مع الصّمّ، أو لإذاعة نشرات الأخبار على شاشة التّلفزيون لهم، وما هذه الإشارات إلاّ استعاضة عن اللّغة المنطوَقة، و ليست لغة بالمعنى اللّغوي الاصطلاحيّ.

يرى المنظرون أنَّ النظام اللغويّ يتكون من الكلام في جانبيه الرمزيّ والمفهوميّ، ومن أشكال غير مستقرة ، فالكلام متضمن للنظام وملزوم له، وعليه فإنَّ اللغة بوصفها نظامًا ونسقًا خفيًا يحقق مبدأ الفصل والاستقلالية عن الأحداث (الكلام)، والكتلة الاجتماعية المنجزة للكلام والأحداث التاريخية والاعتبارات الثقافية، ولهذا النظام مع الاستقلالية السيطرة على الكلام في جانبين

متلازمين أحيانًا، هما: الرمز والمفهوم، وتغييب المشير والمشار إليه، وأحيانًا يلتزم بالسيطرة على الرمز فقط، ويغيب المفهوم والمشار إليه، ويصل الأمر إلى درجة الموازاة بين نظامين يحاكي كلٌّ منهما الآخر" فطلب النظام وشبه الألفاظ بالمعاني يبيّن لنا شَبَهَ الألفاظ بالمعاني، وتحاكي الألفاظ المعاني التي ليست تكون بها العبارة، ويجري ذلك بعينه في تركيب الألفاظ، فيحصل تركيب الألفاظ شبيهًا بتركيب المعاني المرَّكبة الَّتي تدلُّ عليها تلك الألفاظ المركبة، ويجعل في الألفاظ المركبة أشياء ترتبط بها الألفاظ بعضها إلى بعضٍ، متى كانت الألفاظ دالة على معانٍ مركَّبة ترتبط بعضها ببعض، ويُتحرى أن يُجعل ترتيب الألفاظ مساويًا لترتيب المعاني في النفس"([1]).

هذه الممارسة على صعيد الفصل بين اللغة والفكر تصبح اللغة – وهي المادة الخام – مستقلةً عن الممارسة على الصعيد الاستعمال، بوصفها نظامًا قائمًا بنفسه، والكلام قائم بغيره، يتفرَّعُ عنه أشكالٌ غير مستقرةٍ، منفصلةً في رمزيَّتِها على مفاهيمَ تحتاج ذلك النظامَ، ولذلك حدَّد سوسير مهمة عالم اللغة، وهي " أن يدرس اللغة لا الكلام؛ لأنَّ دراسته للغة هي التي تمكنه من فهم المبادئ التي تقوم عليها وظائف اللغة عند التطبيق، فمن الممكن أنَّ تدريس اللغة حسب محورين مختلفين تمام الاختلاف، إذ يمكننا أن ندرسها بوصفها نظامًا يؤدي وظيفته في لحظة من اللحظات، أو بوصفها مؤسسة تطورت عبر الزمن، فكان سوسير يحبذ دراسة اللغة بوصفها ظاهرة متزامنة، في مقابل الدراسات التي تتناول اللغة بوصفها ظاهرة متتابعة "([2]) ، فدراسة اللغة بوصفها نظامًا أو بوصفها ظاهرَةً مؤدَّى ذلك تحويلها إلى مادَّةٍ خام؛ لأنَّ سوسير يرى أنَّ اللغة كامنة في عقل الجماعة، وتشومسكي يرى أنَّ اللغة كامنة في عقل المتكلم والسامع، وكلا الرأيين لونٌ من ألوان التصور المثاليّ غير الواقعيّ، وعدّها شيئًا من الأشياء كما يقرر ذلك (دوركايم)([3]) في علم الاجتماع بقوله: " إننا نسلك حيال الظواهر الاجتماعية (اللغة ظاهرة) مسلكًا عقليًا خاصًا، أي: انَّنا نأخذ في دراستها، وقد تمسكنا بهذا المبدأ الآتي: وهو أننا نجهل كُلَّ شَيءٍ عن حقيقتها، وأننَّا نستطيع الكشف عن خواصَّها الذاتيَّة أو عن الأسباب المجهولة التي تخضع لها بوساطة الملاحظة

[1] – إحصاء العلوم ، الفارابي .

[2] – إحياء النحو ، إبراهيم مصطفى .

[3] – أميل دور كايم (١٨٥٨– ١٩١٧م) : عالم فرنسيّ ، تأثر بمؤلفات العالم (أوغيست كونت) في الفلسفة والتاريخ ، ويعدّ مؤسساً لعلم الاجتماع بعد أن خلصه من التأملات الفلسفية العميقة ، وجعله علماً قائماً بذاته .(ينظر : معجم أعلام التربية والعلوم الإنسانية /٨٩) .

الداخلية، مهما بلغت هذه الطريقة مبلغًا كبيرًا من الدقة "([1])، فالقول بالظاهرة يفرض شيئيتَّهَا وتحويلها إلى ظاهرة طبيعية جامدة، " ليس لها إرادة حرة ولا وعي ولا ذاكرة، فهي خاضعة لقوانين خارجية تخضعها "([2]).

بهذا المفهوم تصبح " الظواهر الاجتماعية (ومنها اللغة) مستقلة عن الأفراد، وتتمتع بسلطة قاهرة، تفرض نفسها على الأفراد عن طريق الإكراه "([3]) بهذا المنطلق تجد الخلط الفاضح بين الظواهر البشرية والظواهر الطبيعية، علمًا أنَّ الظواهر الإنسانية تصدر عن إرادة حرة واعية، واللغة ليس شيئًا ماديًا جامدًا بقدر ما هي فعلٌ صادرٌ عن إرادةٍ حُرَّةٍ واعيةٍ.

إنَّ اللّغةَ بناءٌ منتظمٌ، وإذا تحدثنا عن نظاميتها، فإنّنا نعني أنَّها تشكّل نظامًا بكلِّ مقوّماته الثلاثة المعروفة، وهي: (البساطة، والاتّساق،والكمال) والحقيقة أنَّ السبب في نظاميّة اللّغة يعزى إلى أنَّها تتألّف من عناصر محدودة العدد، تستعمل للتّعبير عن ماهيات ومضامين لا متناهية، ولهذا كان لا بُدَّ أن تتكّرر تلك العناصر، المرة تلو الأخرى، بصورة متّسقة ومنتظمة، من دون أن تسبّب إرباكًا، فلولا نظامية اللغة، لما استطاعة القيام بوظيفتها الاجتماعية كواسطة اتصال.

ومن جهة أخرى، فإنَّ نظامية اللغة سمحت بتفسير السبب في عدم عدّ الأصوات كافة، التي تنتجها أعضاء النّطق، كالعطاس والنّحنحة والسّعال جزءًا من اللّغة؛ لأنَّ مثل هذه الأصوات لا تشّكل عناصر من النظام اللّغويّ المتفق عليه.

ومن مظاهر نظامية اللّغة أنّه بإمكان النّاطقين بها فهم التّركيب اللّغوي حتّى لو كان ناقصًا؛ وذلك لإلمامهم بالنّظام وكيف يسير؛ ولأنَّ عناصر اللّغة داخلة في نظام معلوم، فإنَّه بإمكاننا أن نصف أصواتها ومفرداتها وتراكيبها في طبقات متميّزة بخصائصها، فمن اليسير تصنيف المفردات مثلًا إلى أسماء وأفعال، وتصنيف التّراكيب إلى جمل إثباتية وجمل استفهامية، كما أنَّ تحويل المفردات أو التّراكيب من صيغة إلى أخرى يتم طبقًا لأسلوب معلوم.

وكلٌّ هذا يدلَّ على وجود قواعد تجرى عليها اللغة، يعرفها أبناؤها، ويلحظونها، ويحتكمون إليها في ما يعرف بقواعد النظام اللغويّ (الصوتيّ أو الصرفيّ أو النحويّ أو الدلاليّ) وعلى النحو الآتي.

[1] – البنيوية وما بعدها ص/ ٢٣.

[2] – البنيوية في اللسانيات ص/٥٧ .

[3] – البنيوية وما بعدها، ص/٢٥

١- النظام الصوتيّ:

تتألف اللغة من مجموعة محدودة من الأصوات، لكلِّ صوت منها حرفٌ يدلُّ عليه عند الكتابة، إذ إنَّ كلَّ كلمة تتكون من أجزاء صغرى هي الأصوات، واختلاف الصوت يؤدي إلى اختلاف المعنى، فكلمة: (دليل) في العربية تختلف عن كلمة: (ذليل)، ولم يختلف في الكلمتين سوى صوت صغير واحد هو الدال والذال، وكلمة (طاب) تختلف عن (تاب) و(ثاب) و(جاب) و(غاب)، والحرف الأول هو رمز الصوت الصغير في كلِّ كلمة منها، الذي أعطاها معنى يختلف عن الأخرى.

ولكلِّ لغة أصواتها الخاصة، وهي تمثل جزءًا من شخصيتها أو نظامها العام، وأصوات اللغة هي أحد المستويات التي يتألف منها البناء اللغويّ، وتدرس اليوم في علم خاص يسمى بـ(علم الأصوات)، يحدد لكلِّ صوتٍ مفردٍ مخرجه وصفته.

٢- النظام الصرفيّ:

تتركب الأصوات في كلمات، وتتخذ الكلمات هيئة أبنية مخصوصة، وكلٌّ منها يأتي في صيغ متمايزة، فللفعل مثلًا في العربية صيغ، وللاسم صيغ، وللمشتقات صيغ، وللتصغير صيغ...، واسم الفاعل غير المفعول، واسم الآلة غير اسم المكان، ولو قال أحدهم: (يِنفع) بكسر الياء في مضارع (نفع)، فإنَّه يخالف القياس الصرفيّ، إذ إنَّ بناء المضارع من الثلاثيّ يكون بفتح حرف المضارعة: (يَنفع)؛ ولهذا يتحفظ علماء اللغة على تعريب (تلفون) بهذه الطريقة؛ لأنَّها مخالفة لصيغ الاسم والأوزان التي يأتي عليها في العربية؛ ولهذا حرصوا على تحوير: (Television) إلى (التلفزة) أو (التلفاز)، لتصبح على مثال صيغةٍ من صيغ الصرف العربيّ: الفعللة أو الفعلال.

٣ - النظام التركيبيّ:

يقوم هذا النظام على أمرين هما: (التركيب والإعراب)، فالجملتان العربيتان: (ليلى زارت زينب) و(زينب زارت ليلى) متشابهتان في ثلاثة عناصر على وفق النظامين الصوتيّ والصرفيّ، لكن الجملتين تختلفان في أمر واحد هو ترتيب الكلمات فيهما، وهذا الترتيب يعود إلى طريقة التركيب، والتركيب عنصر آخر من عناصر النظام اللغويّ، وهو عنصر له قواعد مقررة في كلِّ لغة ضمن (علم النحو)، ومن الواضح أنَّ هذا التركيب القواعديّ على الرغم من تشابه العنصرين الصوتيّ والصرفيّ أدى إلى الاختلاف في المعنى، فالزائر في الأولى هو المزور في الثانية،

وتركيب الجمل يقتضي ترتيبًا معينًا، ليس من السهل كسره، ومن أمثلة ذلك موضوع الإضافة في النحو الذي يقوم على تقديم المضاف على المضاف إليه بخلاف اللغة الإنجليزية، فنقول: (مركز العلم)، ولا نقول: (العلم مركز) أو(العلم سنتر). وموضوع الإعراب الذي يؤدي دورًا مهمًا في هذا النظام؛ لتحديد المعاني.

٤ – النظام الدلاليّ:

يتمثل هذا النظام في المعنى المخصوص والطريقة الخاصة في الاستعمال لكلِّ كلمة من كلمات اللغة، إذ يدرك العربيّ مثلًا: من دون لبس المراد بكلمة (حِلم) و(حُلم)، وبين المراد بكلمة (فارع) وكلمة (رافع)، ولا يستطيع إنسان أن يدرك معاني جميع الكلمات، فهو يجمع حصيلة واسعة حسب ثقافته، وسعة اطلاعه، واحتكاكه باللغة، ودليل ذلك أنَّ قراءة نصٍّ قديمٍ تضع الإنسان أمام عدة كلمات لا يدرك معناها.

إنَّ تفصيل وتقسيم النظام اللغوي على المستويات السابقة عملية قسرية يُراد منها تنظيم التصور للغة، إذ إنَّ هذه المستويات لا تنفصل عن بعضها عند الاستعمال، وتتشابك في علاقة عضوية متماسكة تشبه علاقة أعضاء الجسم ببعضها، فلا يسهل فصل جهاز التنفس عن الدورة الدموية في الإنسان، وكذلك يرتبط فهم المعنى الصرفيّ بالمعنى الدلاليّ ويتوقف عليه، وذلك ينسحب أيضًا على علاقة المستويات الأخرى ببعضها.

سادسًا/ اللغة عرفية متغيرة (اجتماعية):

وتعني عرفية اللغة أنَّ الأفراد الذين ينتمون إلى مجتمع لغوي معين (الجماعة اللغوية) يستعملون اللغة المعينة بطريقة واحدة، متفق عليها فيهم بينهم، وتعني الجماعة اللغوية في إطار لغة معينة جماعة من الناس يتكلمون لغة واحدة في مجتمع واحد. وهي تطلق على وحدات اجتماعية تتفاوت كبرًا وصغرًا، بحسب تأثير عدة عوامل في عرف الجماعة، منها: المنطقة الجغرافية، الظروف البيئية، والأعراف والتقاليد الاجتماعية، والأنساق الثقافية... وسواها.

إنَّ العلاقة بين اللفظ وما يشير إليه علاقة عرفية لا ضرورية، وقد حدث في وقت ما أن أُختير لفظ معين في جماعة معينة ليشير إلى شيءٍ أو فكرة، وقد كان من الممكن أن تختار الجماعة لفظًا آخر للشيء نفسه أو الفكرة نفسها ، فكلُّ وحدة من وحدات اللغة لها علاقة واضحة بغيرها من

الوحدات، وتستعمل هذه الوحدات على وفق نظام متفق عليه بين المتحدثين بهذه اللغة، وعلى وفق هذا الاتفاق نستطيع القول: إنَّ اللغة عرفية([1]).

والجدير بالذكر أنَّ هذا الاتفاق ليس عملًا صريحًا واضحًا، فلم يصدر عن مؤتمرٍ مثلًا اتفاق أهل اللغة على مصطلح أو كلمة أو جملة، إنَّه فحسب اتفاق في السلوك والعمل، فالعرف الضمنيّ هو الذي يكوِّن الأنظمة اللغوية ويقرُّها، إذ إنَّ المتكلمين في جماعة معينة يستعملون الكلمات نفسها للإشارة إلى الأشياء نفسها، ويستعملون أنواعًا من التراكيب للتعامل بها في مواقف متشابهة، وبذلك يكتسب الفرد لغته من مجتمعه، ويتلقى في أحضانه كلَّ القواعد التي تنتظم لغته.

يُعدُّ استعمال اللغة على وفق العرف ضرورة لتحقيق التفاهم بين أفراد الجماعة اللغوية؛ ولهذا تقف الجماعة اللغوية في وجه مَّن يخالف عرفها اللغويّ، في أيِّ مستوى من مستوياته، وفي وقتنا الحاضر ازداد الاهتمام بدراسة اللغة اجتماعيّاً، للكشف عمّا كان غامضًا من طبيعة اللغة وطبيعة المجتمع؛ لأنَّ اللغة سلوك اجتماعيّ، ولا يمكن لأية لغة أن تحيا إلاّ في ظلِّ مجتمع إنسانيّ، وهذه الحقيقة عبر عنها فندريس بقوله: " في أحضان المجتمع تكوّنت اللغة ووجدت يوم أحسّ الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم "[2]، بل الأمر أوسع من ذلك فاللغة سرُّ بقاء المجتمع على الرغم من مرور الزمن[3]؛ لأنَّ التواصل بين الأفراد هو سبب الإحساس بانتماء أفراد الأسرة إليها وأفراد المجتمع إليه أيضاً، فاللغة إذًا ظاهرة اجتماعيّة لا يستطيع فرد من الأفراد أو أفراد معينون أن يضعوها، وإنَّما تخلقها طبيعة المجتمع، وتنبعث عن الحياة الجمعيّة، وما تقتضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر وتبادل للأفكار، فاللغة بهذا الوصف تؤلف موضوعًا من موضوعات علم الاجتماع، فكلُّ فرد ينشأ فيجد بين يديه نظامًا لغويًا يسير عليه مجتمعه، فيتلقاه عنه تلقيًا بالتعلّم والمحاكاة، مثلما يتلقى عنه سائر النظم الاجتماعيّة الأُخرى، ويصبُّ أصواتَهُ اللغويّة في قوالبِهِ، ويحتذيه في تفاهمه وتعابيره[4].

---

[1] – ينظر: علم اللغة الحديث، ص/١٩.

[2] – وينظر: اللغة ، فندريس/٣٥ مناهج البحث اللغويّ بين التراث والمعاصرة ، / ٤٨.

[3] – ينظر: اللغة في المجتمع ، /٩.

[4] – ينظر : اللغة والمجتمع، علي عبد الواحد وافي ، ص/٤–٥ دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة (١٩٧١)،.

وقد نبّه العالم الاجتماعيّ اللغويّ(دوركايم) في أوائل القرن الماضي، على أنَّ الظاهرة اللغويّة صنو الظاهرة الاجتماعيّة، يمكن أن تُرصد وتُلحَظ كما يَلحظ عالم الطبيعة (الشيء) ويتخذه موضوعًا لدراسته [1]، لذا يصح أنْ نقول: إنَّ أغلب مباحث علم اللغة ولد في أحضان علم الاجتماع، وكان صدى لمباحثه، التي أسبغ عليها (دوركايم) صفة العلم، ونقلها إلى مصافّ العلوم الطبيعية من حيث الموضوعية، واتباع المنهج العلميّ في دراستها[2].

ونحن لا نستطيع أن نجد في خصائص المجتمع ما يميّزه أكثر من لغته، وأنَّ جميع الظواهر اللغويّة الاجتماعيّة تحدث بالضرورة تغيرًا لغويًا في لغة المجتمع؛ لأنَّ هذا التغيّر اللغويّ (التطور) هو ضرب من ضروب التغير في التقاليد والأعراف الاجتماعيّة، وقد أفاد تفريق سوسير بين اللغة والكلام في دراسة التغيّر اللغويّ " وهذا معناه أنَّ التغّير اللغويّ يبدأ عند فرد ما، أي على مستوى الكلام، فإذا وجد هذا التجديد قبولًا من المجتمع، أصبح بمضي الوقت عرفًا لغويًّا سائدًا "[3]، فالتجديد الحاصل كي يكون مفيدًا يستلزم قبول المجتمع به، " أما التجديد الذي يرفضه المجتمع فيبقى خارج مجال علم اللغة؛ لأنَّ علم اللغة يبحث اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعيّة، وليس كلُّ تغيّرٍ لغويٍّ عند فردٍ ما أو مجموعة أفراد يقبل اجتماعيّاً ، فإلى جانب تغيرات بدأت على مستوى الفرد ثم أصبحت على مستوى البيئة اللغويّة كلّها، هناك تجديدات ظلّت مرتبطة بمجموعة أفراد ولم تقبل اجتماعيًّا "[4]، فمدار التّطوّر اللغويّ في مجتمع ما هو قبول المجتمع وتداولهُ إياهُ، لذا تُعدُّ العوامل الاجتماعيّة وأثرها في خصائص اللغة وتطوّرها من أبرز مباحث علم اللغة.

تتأثر اللغة أيمّا تأثر بحضارة الأُمة ونظمِها وتقاليدِها وعقائدِها واتجاهاتها العقليّة، ودرجة ثقافتها ونظرتها إلى الحياة وشؤونها الاجتماعيّة العامة ... وما إلى ذلك، فكلُّ تطوّر يحدث في ناحية من نواحي العوامل الاجتماعيّة يتردد صداهُ في أداة التعبير، لذلك تُعدُّ اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب، فطبقيّة اللغة والمراحل التي مرَّتْ بها كلُّ طبقة هي الكاشفة عن الأدوار

---

1 – ينظر: النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحيّ /٢٦ دار النهضة العربية، ١٩٨٩م.

2 – ينظر : مناهج البحث اللغويّ بين التراث والمعاصرة ، د. نعمة رحيم العزاويّ /٤٩

3 – أسس علم اللغة العربية ، د. محمود حجازيّ /٢٧.

4 – المصدر السابق /٢٧ .

الاجتماعيّة التي مرَّتْ بها الأُمة في مختلف مظاهر حياتها[1]، ومن هنا فاللغة والمجتمع وجهان لعملة واحدة في علم اللغة الاجتماعي، فكلاهما يؤثر في الآخر ويتأثر به، " فكلٌّ لغة تعدُّ مرآة المجتمع الذي يتكلمها، وتظهر على صفحاتها ما يتسم به ذلك المجتمع من حضارة أو بداوة، ومن رقي أو انحطاط، وما يخضع له من نظم وعقائد واتجاهات فكريّة وفنيّة واقتصاديّة وغير ذلك "[2].

ومن الدراسات التي تؤيد عرفية اللغة ما قام به(هدسن)[3] الذي افترض وجود ثلاثة أنواع مختلفة من المجتمعات هي:

أ–عالم من الخيال تحدده حدود طبيعية لا يمكن تخطيها، وهو انغلاق هذا المجتمع على نفسه، فلا يوفد ولا يستقبل من المجتمعات الأخرى.

ب–عالم واقعيّ غريب، مثل عالم شمالي غربي الأمازون، الذي يبلغ سكانه ١٠,٠٠٠ آلاف نسمة، معظمهم من الهنود الأصليين يُقسمون على عشرين قبيلة، تُقْسَم كلُّ قبيلةٍ على خمسِ عشائر، وكلُّ قبيلةٍ تتحدث بلغة مختلفة عن اللغات الأخرى، إذ إنَّ القبائل الأخرى لا تفهمها وفي بعض الأحيان تكون اللغة الواحدة ذات أصل لغويّ يختلف عن أصول اللغات الأُخرى وإنَّ الفرد لا يمكنه أن يتزوج من قبيلته ، وعلى الزوجة أن تتكلم بلغة زوجها .

ج– عالم واقعيّ مألوف : توصل هدسن إلى أنَّهُ ليس هناك سوى قليلٍ ممّا نستطيع أنْ نقوله عن اللغة في معزل عن السِّياق الاجتماعيّ في العالم الأوّل وأنَّ هناك كثيرًا ممّا يمكن أنْ نقوله عن اللغة في علاقتها بالمجتمع في العالمين (الثاني والثالث)، مع التفاوت في الكثرة بين المجتمعين.

ومن هنا ونستطيع أن نؤكد أنَّ دراسة اللغة من دون الرجوع إلى السِّياق الاجتماعيّ (العرف) جهد لا يستحق العناء "[4]؛ لأنَّ إهمال السِّياق الاجتماعيّ قد يؤدي بفروع علم اللغة النظريّ كلّها (الوصفيّ والتاريخيّ...وسواها) إلى القصور؛ لذلك تُعدُّ الإنجازات والاكتشافات القيّمة التي قدّمها علم اللغة العام بمعزل عن السِّياق الاجتماعيّ قاصرة، وكذلك النظريات اللغويّة التي ظهرت في

---

[1] – ينظر: اللغة والمجتمع ، د. علي عبد الواحد وافي /١٠.

[2] – مناهج البحث اللغويّ بين التراث والمعاصرة /٤٩.

[3] – ينظر: علم اللغة الاجتماعيّ ، د. هدسن /٤٢–٤٣.

[4] – المصدر السابق/٤٢

العقود المنصرمة تبقى تعاني أخطاء فادحة جرّاء الموقف غير الاجتماعيّ الذي اتخذه المدافعون عنها[١] .

ولذا ذهب (تشيس) إلى القول: " لولا اللغة لتوقفت الحياة الإنسانيّة ولزالت الحضارات"[٢] أما الباحث (امبرتوايكو) فقد عدَّ اللغة مؤسسة اجتماعيّة[٣].

سابعًا/ اللغة كلية متشابهة:

يقال إنَّ عدد لغات العالم اليوم يكاد يصل إلى خمسة ألاف لغة، ولو أنعمنا النظر في هذه اللغات، وتعمقنا في دراستها؛ لتبيّن لنا أنَّ بينها قدرًا من التشابه، يجعلها جميعًا داخلة في إطار ما يسمى (اللغة) من دون تقييد، أي بوصفها ظاهرة إنسانية، وبينها أيضًا قدرًا من الاختلاف يكفي لتمييزها، ويدخلها في إطار ما يسمى (اللغة) مقيد بوصفٍ، أي اللغة العربية أو الانكليزية أو أي لغة أخرى.

ومن أوجه الشبه بين اللغات كلها ما يأتي([٤]):

١- كلُّ أطفال العالم قادرون على اكتساب أية لغةٍ إنسانية من لغات البشر بيسر وسهولة بالغين.

٢- لغات البشر متشابهة؛ لأنَّ الذين يتحدثون بها، متشابهون في إدراكهم لما يحيط بهم، إنَّهم يجربون العالم الخارجيّ بطريقة متشابهة في جوهرها، وممّا يؤكد ذلك أنَّه من الممكن ترجمة أيِّ نصٍّ من لغةٍ إلى لغةٍ أخرى.

٣- ليس في العالم لغات بدائية، فكلُّ اللغات متساوية في تعقدها، وفي قدرتها على التعبير عن أي مفهوم في العالم.

٤- كلُّ اللغات تتألف من أصوات تستعمل لنقل المعاني، والعلاقة بين الأصوات والمعاني في معظمها عرفية.

---

[١] -ينظر :المصدر السابق /٤٣.

[2] – Chase.stuart.power of words.harcourt brace and world. Inc.NEWYORK,1954,p.6-3

[٣] – المصدر السابق .

[٤] – ينظر: علم اللغة الحديث، ص/١٩-٢٠.

٥- معظم لغات العالم تستعمل عددًا محدودًا من الوحدات الصوتية (الفونيمات)، يتألف منها عناصر لغوية ذوات (مورفيمات)، ومن هذه العناصر تتألف الجمل والعبارات اللغوية.

٦- تتضمن معظم لغات العالم قواعد صوتية وصرفية ونحوية متشابهة في خصائصها.

٧- في كلِّ لغات العالم توجد مفاهيم معنوية عالمية كالزمن والنفي والاستفهام وغيرها.

ومن المعلوم أنَّ اللغة الإنسانية منذ نشأتها الأولى كانت أصواتًا نطقها الإنسان بنحوٍ واعٍ لاستعمالها وسيلة لإبلاغ الآخرين أغراضه وفهم أغراضهم.

والصفات العامة للغات الإنسانية تحددها الأمور المشتركة بين الناس جميعًا، والمتمثلة بما يأتي:

١ – البنية التشريحية الواحدة لجهاز النطق الإنسانيّ.

٢ – الطرائق العامة الواحدة للتفكير الإنسانيّ.

٣– النزوع الإنسانيّ الواعي للحياة الاجتماعية.

وتتلخص هذه الأمور المشتركة في العبارة القديمة التي عرفت الإنسان بأنَّه كائنٌ ناطقٌ مفكرٌ اجتماعيٌّ.

وبما أنَّ اللسانيات العامة تبحث في القوانين المشتركة بين اللغات الإنسانية كافة، فإنَّها تدرس الأصوات اللغوية، وتبيّن كيف تستعمل تلك الأصوات أوعية للمعاني (أي للأفكار الإنسانية) ووسيلة للإبلاغ (أي للاتصال) في المجتمع الإنسانيّ.

وعلى الرغم من وجود صفات عامة تشترك فيها اللغات الإنسانية جميعها، فإنَّه توجد صفات أخرى غير مشتركة، تتجلى في وجود بعض خصائص بنوية تتمتع بها لغة أو مجموعة من اللغات، ويعود سبب ذلك إلى بداية العلاقة بين البنية اللغوية والتفكير الإنسانيّ.

ومن استعراض التاريخ الحضاريّ للإنسانية يظهر أنَّ التفكير الإنسانيّ لم ينشأ مكتملًا طفرة واحدة، وأنَّ خط السير العام لتطور التفكير الإنسانيّ انطلق من إدراك المشخص المحدد (بحاستي السمع والبصر)، واكتمل بالانتقال إلى المجرد العام، كما يظهر أنَّ البنية اللغوية لم تنشأ مكتملة دفعة واحدة، وقد تطورت البنية اللغوية واكتملت تدريجيًا بنحوٍ موازٍ لتطور التفكير الإنسانيّ واكتماله، ونرى أنَّ اختلاف طرائق تطور البنى اللغوية واكتمالها قد أدى إلى اختلافات بنوية بين اللغات، وترتب عنه تمتع لغة أو مجموعة من اللغات بخصائص بنوية متميزة.

وممّا تقدم ذكره أنفًا يتبيّن لنا أنَّ ثمة ما يسوّغ القول بتشابه اللغات أو بما يسمى العناصر المشتركة أو العامة، وفي ظلِّ التشابه يستطيع الإنسان أن يتعلم لغة ثانية غير لغته القومية، وفي أثناء تعلمه هذه اللغة سوف يتبيّن بوضوح العناصر المشتركة بين اللغتين بغض النظر عن العلاقات الثقافية والتاريخية بينهما؛ بيد أنَّ وجوه الشبه التي تحدثنا عن عددٍ منها لا تكفي للتفاهم بين البشر؛ لأنَّ كلَّ لغة تتضمن صفات أو خصائص أخرى تميزها عن أيِّ لغة أخرى، والخلاف بين اللغات يقع في مستويات اللغة المختلفة (الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية)، ففي المستوى الأول مثلًا تختلف وحدات كل لغةٍ عن وحدات أية لغة أخرى كمًا ونوعًا، كما تختلف عنها في القواعد التي تحكم اتصال بعضها ببعضٍ، ولكلِّ لغةٍ من لغات البشر طريقتها الخاصة في بناء مورفيماتها، كما أنَّ لها قواعد نحوية خاصة تحكم العلاقات السياقية بين هذه المورفيمات، وتختلف اللغات كذلك في الكلمات التي يضمها معجمها في التعبير عن المفاهيم العامة أو الخاصة([1]).

ثامنًا/ اللغة معنى:

تُعدُّ مشكلة تحديد العلاقة بين المنطوق والمفهوم في علم اللغة من ابرز المشكلات، إذ يرى بعض الباحثين أنَّ الكلمة (المنطوقة) جزء من اللغة، أما المعنى فإنَّه جزءٌ من العالم الخارجيّ؛ لأنَّ الكلمة تشير إلى شيءٍ أو تعبر عن شيءٍ، وبعبارة أدق: الكلمة اسم للشيء، والشيء هو المعنى، ونجد بعض الباحثين يأتي بوسيط بين الاسم والشيء هو الصورة الذهنية أو الفكرة، ويقال في تعريف المعنى إنَّه علاقة متبادلة بين اللفظ والفكرة، علاقةٌ تمكن كلَّ واحدٍ منهما من استدعاء الآخر، في حين يرى آخرون أنَّ التعريف بالمعنى لا يتم إلّا ببيان الموقف الذي يقال فيه الكلام بكلِّ ما فيه ومَن فيه، وتكون دراسة المعنى عند هؤلاء آلية لتوزيع الكلمة على السياقات المختلفة([2]).

ونقصد بالمعنى تلك الشبكة العامة للعلاقات والوظائف التي تستعمل فيها كلُّ المفردات، إذ ذهب (فيرث) إلى تقسيم المعنى أو الوظيفة على مجموعة من الوظائف المكوّنة، وما الوظيفة إلّا

[1] – ينظر: علم اللغة الحديث، ص/٢٠-٢١.

[2] – ينظر: المصدر السابق،ص/٢٢.

ضرب من استعمال شكل أو عنصر من لغة معينة حسب سياق معين، وينبغي أن ننظر إلى المعنى على أنَّه مركب من العلاقات السياقية، إذ تعالج القواعد، والدلالة، والصوتيات، وصناعة المعاجم مكوِّناتها في السياق الملائم لهذا المعنى، ويعني هذا أنَّ (فيرث) يرى أنَّ اللغة في جوهرها طريقة في السلوك، وطريقة لجعل الآخرين يسلكون هذا السلوك، ويتبع هذا أنَّ على اللسانيّ أن يهتم باللغة في حالتها السياقية أو حسب مصطلح البلاغيين العرب (في حالتها المقامية)، إذ إنَّ اللغة عند (فيرث) ذات دلالة عندما تكون فقط في سياقها أو مقامها.

نظر فيرث إلى المعنى على أنَّه (مركب من العلاقات السياقية)، فمعنى الكلمة – عنده – لا يظهر إلّا من خلال (استعمالها في اللغة) أو معرفة (الطريقة التي تستعمل بها) أو (الدور الذي تؤديه)، وهو بذلك يؤكد أهمية الوقوف على السياقات المختلفة التي ترد فيها الكلمة من أجل الوقوف على معناها وقوفًا صحيحًا، ولهذا يصرح فيرث بأنَّ المعنى لا ينكشف إلّا من تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة. ولا يجزئ في تحديد الكلمات استحضار الشيء أو وصفه أو التعريف به.

إنَّ نظرة (فيرث) إلى المعنى (على أنَّه وظيفة في سياق) هو ما عُدَّ تحولًا في النظر إلى المعنى بعد أن كان يوصف بأنَّه علاقة بين اللفظ وما يحيل عليه في الخارج، أو في الذهن من حقائق وأحداث، وهو ما تجلى في نظرية سوسير والبنيويين من بعده القائمة على (العلاقة الثنائية بين اللفظ والمعنى)، وصار الحديث في المدرسة السياقية عن مركب من اللفظ والمعنى في علاقته بغيره من المركبات التي تحل محله في السياق نفسه([1]) .

وقد كان المعتقد قديمًا أنَّ اللغة أداة للتفكير، وهذا صحيح بيد أنَّ هذه الوظيفة ليست وظيفتها الوحيدة، فاللغة وسيلة لخلق العلاقات الإنسانية وتوثيقها، وتحقيق التفاهم والتعاون بين الأفراد([2]).

وممّا تقدم ذكره من خصائص اللغة يمكننا تعريفها على النحو الأتي: **اللغة نظامٌ من الرموز المنطوقة الدالة المكتسبة،يستعمه أفراد الجماعة اللغوية بهدف التواصل والتفاهم وتحقيق التعاون فيما بينهم.**

[1] – ينظر: مدارس اللسانيات، د.محمد محمد يونس علي، ص/٢

[2] – ينظر: علم اللغة الحديث، ص/٢٢.

الفصل الثاني

مبادئ اللسانيات وفروعها

الفصل الثاني

مبادئ اللسانيات وفروعها

مدخل...

إنَّ التعامل مع اللسانيات العامة يتطلب منّا في مرحلة أولى القيام بشيئين اثنين:

أولاً – توضيح طبيعة اللسانيات ذاتها، ثم بسط بعض المنطلقات النظرية والمنهجية الأساس في اللسانيات العامة. يتعين علينا أن نجيب عن مجموعة من الأسئلة، أو على الأصح، أن نعيد الأسئلة حول ما هي هذه اللسانيات "يا ترى التي أصبح يتحدث عنها الكل، ويستشهد بها الكل، ويشحن مراجعه ببعض منها؟ ما هي هذه اللسانيات كعلم ونشاط تحليلي وكفلسفة ... وغير ذلك؟ كيف نستطيع تمثلها؟ ما علاقتها بالثقافة؟ ما علاقتها بالعلوم الأخرى الدقيقة وغير الدقيقة؟ ما النشاط اللسانيّ بالموازنة مع أنشطة علمية أخرى؟([1]).

إنَّ الإجابة عن هذه الأسئلة ليست مسألة سهلة كما قد يتبادر إلى بعض الأذهان، بل الأمر يتطلب إجابات ذات خلفية منهجية مهمة، وتتمثّل في معرفة أبعاد كلِّ جواب وآثاره ونتائجه على الدرس اللسانيّ في تعامله مع النظرية اللسانية العامة من جهة، وفي تعامله مع اللغات الطبيعية من جهة أخرى، ومن بينها اللغة العربية.

ومن الطبيعي أنَّ أية إجابة تقتضي أرضية نظرية وفكرية، ينطلق منها، ويفسر في ضوئها العمل اللساني، سواء في صورته العربية، أو في صورته العامة، تمثيلًا لهذا الالتباس في فهم الأبعاد النظرية والمنهجية للسانيات العامة، نشير من جديد للخلط المفهومي الذي تكشف عنه كثير من الكتابات اللسانية العربية الحديثة فيما يتعلق بتحديد عدد من أبسط المفاهيم الأولية والجوهرية، مثل: (علم اللغة، وفقه اللغة، والفيلولوجيا) فقد لحظ بعض الباحثين اللسانيين العرب، أنَّ من أزمات البحث اللسانيّ العربيّ ادعاء العلمية أو المنهجية، وهذه الظاهرة تأخذ أشكالًا متعددة من تصور خاطئ للعلم، إلى تصور خاطئ للافتراضات العلمية، إلى تصور خاطئ لما يُعدُّ تطبيقًا ما.

تجمع الدراسات الابستمولوجية الحديثة على أن البحث العلمي يمر عبر أربع مراحل، هي:

---

[1] – ينظر: اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، الفاسي الفهري، ج ١/ ١١.

أولاً: ملاحظة وتسجيلها جميع الوقائع.

ثانياً: تحليل وتصنيفها هذه الوقائع

ثالثاً: استخراج المبادئ العامة بواسطة استقراء هذه الوقائع.

رابعاً: المراقبة التكميلية لهذه المبادئ.

انطلاقًا من هذه المبادئ يمكن القول: إنَّ العلم ينطلق بحوٍ عام من مشاهدة حسية أو تخمينية للعالم الخارجيّ، ويعني هذا في نظر العلم أن لا شيء واضح كليًا، إذ إنَّ العلم لا يبدأ إلّا إذا استطردنا من هذه الخبرات الفطرة السليمة إلى الأنماط البسيطة للوصف التي نسميها نظريات(١).

ومشاهدة الوقائع وتسجيلها لا يتم بكيفية اختيارية أو اعتباطية، إذ لا بد أن يتم ذلك في إطار نظري يسمح بالمشاهدة بنحوٍ ملائم وإيجابيّ، ومن دون وجود لأية نظرية، لن نعرف ما يجب أن نشاهده، والمشاهدات التي تحدث بالصدفة لن تؤدي عادة إلى أي تعميم(٢).

وللمبادئ العامة أهمية قصوى في المعرفة العلمية، إذ إنَّها تجعلنا ندرك بكيفية عقلانية، لماذا تحدث بعض الظواهر بهذه الطريقة دون غيرها. من دون هذه المبادئ العامة، لا تكون ثمة فوائد من الوقائع التي يتم رصدها، فليس للوقائع في حد ذاتها أية أهمية من دون مبادئ عامة تختصرها، ثم تصف حدوثها وتفسرها، إن المعرفة العلمية تسعى إلى معرفة منسقة للعالم، إذ إنَّها تبحث عن اختصار الظواهر التي تتم ملاحظتها في مختلف جوانبها إلى مبادئ أساسية عامة، مما يجعلها تبحث عن ثوابت قليلة العدد.

برزت اللسانيات كمعطى جديد في الفكر الإنساني الحديث، وهو ما لا يعني مطلقًا أن البحث في اللغة بحث جديد. ولن نضيف جديدًا إذا قلنا: إنَّ البحث في اللغة وما يرتبط بها من قضايا فكرية، ليس شيئًا جديدًا في حياة البشرية، وإنما هو بحث قديم قدم اللغة البشرية نفسها، وعلى الرغم من أنَّ لفظة: (لسانيات – Linguistique) حديثة العهد، لكن من الصعب الحديث بدقة عن تاريخ ظهور اللسانيات كعلم قائم بذاته، والحقيقة التي لا بُدَّ من قولها: إنَّ الفكر اللسانيّ المعاصر أكثر تفتحًا على معارف أخرى، مثل: المنطق، والرياضيات، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة،

١ – ينظر: فلسفة العلم، فيليب فرانك، ترجمة: علي علي ناصف، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٤.

2- .A.F Chalmers: Qu'est ce la science:Récents développements philosophiques, P55, Editions de la Découverte, Paris, 1987/1976.

والإحصاء، والإعلام؛ ولهذا السبب استطاعت اللسانيات أن تفرض نفسها في إطار العلوم الإنسانية كنظرية ومنهج.

لقد بدأت علمية اللسانيات بالتخلي التام عن كثير من الأفكار الفلسفية العقيمة، المتعلقة بأصل اللغات ونشأتها وما شابه ذلك، فضلًا عمّا جاءت به اللسانيات المعاصرة من روح نظرية، ومنهجية جديدة قائمة على الموضوعية والوضوح والدقة والشمول... وغير ذلك من سمات البحث العلميّ، وأثر ذلك في أدوات التحليل وتقنياته. وسوف نتبيّن مبادئ اللسانيات العامة من خلال المبحثين الآتيين:

المبحث الاول

أولا: مصطلحات لسانية تأسيسية:

❖ اللسانيات (linguistics)

يجمع الباحثون على أنَّ استعمال العلم لم يتم إلّا في المراحل الأخيرة من المعرفة البشرية، وأنَّ استعمال العلم وشيوعه لم ينشأ بوساطة بل بعد مخاضات فلسفية وفكرية وسياسية ألت إلى أنْ يكون حاجةً ملحةً، ونمطًا جديدًا للوثوق بالمعارف، قديمها وجديدها، وكان نمو العلم الطبيعيّ من الطبيعات يسير ببطء شديد في أواخر القرون الوسطى، إذ شهدت أوربا الغربية مدرستين علميتين رئيستين؛ هما: (مدرسة أوكام) ومراكزها متواجدة في أوكسفورد وباريس، و(مدرسة ابن رشد الأرسطية) التي كانت على اتصال وثيق بالمدرسة الطبية في بادو([١]).

ومن هنا عُرِفَ العلمُ بأنَّه بناءٌ منظمٌ من المعرفة يبدأ من الواقع وينتهي إلى تفسيره من خلال آليات محددة، تؤدي إلى الكشف عن الحقيقة، ووظيفة العلم إقامة القوانين والنظريات العامة وتكوينها التي تحكم اكتشاف الأحداث والظواهر التي يبحثها([٢])، وعرفته ناهد أحمد بأنَّه " مجموعة من المعارف والمفاهيم المصنفة التي تتسق في نظام من الأفكار، أمكن التحقق من درجة صحتها بطريقة علمية معينة، وهذه الطريقة هي ما يطلق عليها بطريقة البحث العلميّ"([٣]).

ونستنتج أنّ العلم يعني أدراك المعاني والعلاقات المستبطنة بعد تنظيم الحقائق في نسق مجرد، أو هو مجموعة القوانين التي تنظم العلاقات بين هذه الحقائق.

ومن ثمَّ انتقلت صفة العلم من الطبيعيات إلى الإنسانيات، حتى بلغت الدراسات اللغوية الحديثة درجة من الدقة والضبط والموضوعية والشمول ما أتاح لها أنْ تتبوأ مكانًا عليًا بين العلوم الإنسانية، منذ أنْ تأثر لغويو القرن التاسع عشر بنتائج العلوم الطبيعية وعلم الأحياء، وكان (شلايشر – Schleicher) أكثر اللغويين تأثرًا بهذا الاتجاه، ولاسيما بعد ظهور كتاب داروين (أصل الأنواع) سنة ١٨٥٩.

---

[١] – ينظر: تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال، ص/٢٨٥.

[٢] –ينظر: مناهج وأساليب كتابة البحث العلميّ في الدراسات الإنسانية، د. كامل حسون القيم، ص/ ٥٥.

[٣]– مناهج البحث في علوم المكتبات، د. ناهد أحمد، ص/١٢.

إنَّ تشبع (شلايشر) بالداروينية دفعه إلى رفض أنَّ اللسانيات من العلوم الإنسانية، بل عدَّها من العلوم الطبيعية، فاللغة في نظره جهاز عضويّ طبيعيّ خاضع في بنيته وتطوره لقوانين معينة ثابتة، مثل: النشوء والارتقاء، وهي التي تخضع لها كلَّ الظواهر الطبيعية، ولما كانت اللغة جهازًا عضويًّا كبقية الكائنات الحيَّة، تتكون من عناصر لها وظائف محددة، ومن ثمَّ فهي مثل جميع الكائنات الحيَّة تنشأ وتترعرع ثم تكبر وتشيخ وتموت(١).

أخذت هذه الدراسات زمام المبادرة في هدم الأسوار التقليدية، التي أقيمت – بلا مسوغ علمي واضح – بين العلوم الطبيعية والإنسانية، وهو ما عبر عنه بصدق عالم الأنثربولوجيا (ليفي اشتراوس –ولد عام ١٩٠٨م– levi strauss) حين قال:" إنَّنا نجد أنفسنا إزاء علماء اللغة في وضع حرج، فطوال سنواتٍ متعددة كنّا نعمل معهم جنبًا إلى جنبٍ، وفجأة يبدو لنا أنَّ اللغويين لم يعودوا معنا، وإنما انتقلوا إلى الجانب الآخر من ذلك الحاجز الذي كان يفصل العلوم الطبيعية عن العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث ظلَّ الناس – لزمنٍ طويلٍ– يعتقدون باستحالة عبور هذا الحاجز، في حين أخذ علماء اللغة يعملون بتلك الطريقة المنضبطة التي تعودنا– باستسلام– على أنَّها وقفٌ على العلوم الطبيعية وحدها"(٢).

وعلى وفق ما تقدم ذكره آنفًا، عرّف اللغويون المحدثون اللسانيات **بأنَّها الدراسة العلمية للغة**، ويعنون بذلك استعمال المناهج العلمية في دراستها، وقد كان هدفهم من ذلك أن يجعلوا دراسة اللغة عملًا دقيقًا منظمًا على النحو الذي تحقق في دراسة العلوم الأخرى، أو" **هو العلم الذي يدرس اللغة أو اللهجة دراسة موضوعية، غرضها الكشف عن خصائصها وعن القوانين اللغوية التي تسير عليها ظواهرها: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والاشتقاقية؛ والكشف عن العلاقات التي تربط هذه الظواهر بعضها ببعض، وتربطها بالظواهر النفسية، وبالمجتمع، وبالبيئة الجغرافية** "(٣). ولكي تكون الدراسة علمية لا بُدَّ أن تتوافر فيها سمات ضرورية، هي:

1-A Schleicher: La théorie de Darwin et la science du langage, Weimar, 1863 Repris in Tort :Evolutionnisme et linguistique, Vrin, Paris,1980.

٢ – الجذور الفلسفية للبنائية، فؤاد زكريا، ص/٨.

٣ – علم اللغة وفقه اللغة، تجديد وتوضيح: د ص/ ٧ .

١ – النظامية أو التنظيم – Organization:

تعني أنَّ البحث العلمي ليس نشاطًا اعتباطيًا في مراحله، بل هو نشاطٌ منظمٌ منسقٌ له خطواته المتسلسلة والمتكاملة، يرسمها منهجٌ علميٌّ، وله طرق ومعايير في الربط بين العلاقات والأدوات في المادة اللغوية المبحوثة، من ناحية جمعها وتنسيقها، من خلال إجراءات محددة، تبدأ بتساؤل (المشكلة)، وتنتهي بالإجابة عن ذلك التساؤل (نتائج واستنتاجات)، في ضوء جملة من الجهود العلمية، وفي الغالب تأخذ إطارين: النظريّ والتطبيقيّ.

والذي يهمنا في إطار المشكلة، التي تحدد الظواهر والاستعمالات في ميدانها الخاص (التخصص) غالبًا ما تكون متداخلة، وربما متناثرة وغير منسجمة في ظلِّ التصورات والقوانين التي تصفها وتدركها حواسنا، وبذلك فإنَّ عملية إعادة تنظيمها، وترتيبها، وربطها بنحوٍ منطقيّ يُعدُّ أولى مشاق البحث العلميّ. وعلم اللغة ميدانه أو موضوع بحثه اللغة، التي قلنا عنها سلفًا بأنَّها نظام من الرموز المنطوقة المكتسبة، تستعمله جماعة معينة بهدف الاتصال وتحقيق التعاون فبما بينهم، ولهذا يتفق عدد من اللغويين انَّ على أنَّ دراسة العمليات العقلية السابقة لعملية انتاج الكلام أو التالية لاستقباله، تقع خارج نطاق البحث اللغويّ([1]).

وفكرة النظام أو التنظيم مأخوذة إجمالًا من طبيعة الكون وعلائقه، وظواهره، على وفق أنماطٍ أسطورية أو فلسفية أشارت لها الحضارات الأولى منذ أمدٍ بعيد، وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك الحقيقة في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ الروم/٤٦، وقوله تعالى: وَ﴿ **مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ**﴾ الشورى/٢٩.

غير أنَّ التنظيم في العلم الوضعيّ يخلقه العقل البشريّ، ويبعثه إلى العالم بفضل جهده المتواصل الدءوب لاكتساب المعرفة وزيادتها، ولتحقيق هذا النظام لا بُدَّ من إتباع (المنهج – Method)، أي الطريقة المحددة التي تعتمد على خطة واعية متسلسلة، وصفة المنهجية هذه هي صفة أساسية في العلم والعنصر الثابت في كلِّ معرفة علمية؛ لذلك وصِفَتْ نظامية العلم بأنَّها " معرفة منهجية للتميّز من حقول المعارف الأخرى "([2])

[1] – ينظر: علم اللغة الحديث، ص/٤٢.

[2] – التفكير العلميّ، د. فؤاد زكريا، ص/ ٣٠.

ولما كانت اللغة ظاهرة على جانب من التعقيد، فإنَّ العناصر أو الوحدات التي تؤلف نسيجها تنتظم منها صورٌ أو أشكالٌ لغوية لا حصر لها، حتى ليبدو من المستحيل أن نصل إلى أية نتائج صحيحة من فحصها إلّا إذا دُرِسَتْ بمنهجٍ على درجة عالية من التنظيم، إذ إنَّ الظواهر اللغوية خاضعة للملاحظة المباشرة،" وسبيل الملاحظة الاستقراء، ويتطلب الاستقراء عددًا هائلًا من المفردات التي يتناولها، وقد تكون هذه المفردات أصواتًا عند دراسة الأصوات، أو حروفًا أو مقاطع، أو ظواهر موقعية عند دراسة التشكيل الصوتيّ (الفونولوجيّ) أو صيغًا عند دراسة الصرف، أو أبوابًا عند دراسة النحو أو غير ذلك "[1].

٢- الغرض أو القصد – Intention:

ليس البحث العلميّ نشاطًا عفويًا، بل هو نشاطٌ مقصود، يرمي إلى الوصول إلى النتائج لحلِّ مشكلة معينة، أو يجيب عن تساؤل. ويتولى الباحث الظواهر ومسبباتها بحسب تخصصه العلميّ، ويضيف تلك المحاولات لما يمهد له الإجابة عن سؤالٍ: لماذا تأخذ الأشياء والظواهر ذلك الوضع؟ وما السبب في نشوئها؟ وللإجابة عن ذلك يلجأ الباحث إلى اختبار مادته العلميّ نظريًا أو تطبيقيًا.

والقصدية في البحث العلميّ تجعل الباحث وموضوعه عنصرين متفاعلين، أحدهما يضيف للآخر؛ وصولًا إلى القوانين والنظريات التي تفسر حصول الظواهر وانحسارها، كما أنَّها تُعنى بمعرفة عوامل ذلك الظهور والانحسار؛ ذلك أنَّ معرفة أسباب حدوث الظواهر تمكننا من معرفة التحكم فيها وفي مجرياتها على نحوٍ أفضل، وأنَّ وصولنا إلى نتائج وإجابات علمية بالقصدية، أفضل بكثيرٍ ممّا نتعرف به من خلال التنبؤ والصدفة. والقصدية غالبًا من تتولد من حاجة اجتماعية، أو فضول علميّ، أو سلوك تحسبيّ وغير ذلك.

٣- الدقة – Accuracy :

تتميز صياغة البحث العلميّ بالدقة في تعبيرات كمية أو عبارات دقيقة مع استعمال المفاهيم والمصطلحات المقررة في المجال العلميّ (موضوع البحث)، فللعلم لغته الخاصة في مختلف العلوم والاختصاصات، ولا يتعامل العلم مع التخمينات ووجهات النظر الشخصية، وتتبع الدقة في هذا السياق من خلال:

أ- الدقة في جمع المعلومات ونقلها.

---

[1] – اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص/١٥٨-١٥٩.

ب- التثبت من مصادرها الأصلية (سواء كانت كتبًا أم مخطوطات أو إجراءات أو غير ذلك).

ت- الدقة في استعمال الأدوات البحثية (استمارات التحليل وأدلته) بكلِّ أشكالها البسيطة والمعقدة، على أنْ تستوفي صحة النتائج وثباتها.

ث- الدقة في استعمال المعطيات النظرية والتطبيقية، على نحوٍ منطقيٍّ مبوبٍ، على وفق خطة البحث ومتطلباته.

ج- صياغة المعلومات بلغة علمية (اصطلاحية)، ليست خطابية أو وعظية، اتساقًا مع ذكر قنوات الاسناد (مصادر، مراجع، مقابلات تثبت في سياق البحث).

وينبغي للباحث أن يصل إلى النتائج الحقيقية من خلال التقصي المنظم والفحص الدقيق والملاحظة الموضوعية، وعلى الرغم من ضرورة الأخذ بآراء الخبراء والمتخصصين، لكن ذلك لا يجيز للباحث التصديق بها من دون إجراء من يثبِّت صدقها([١]).

ويرى بعض العلماء من أنصار المدرسة الرياضية في العلوم أنَّ بالإمكان الوصول إلى درجة عالية من الدقة في تحليل الظواهر وتفسيرها من خلال (التكميم – Quantity)، وكانت العلوم الطبيعية قد حسمت موضوع الشك وعدم اليقين في القياس والتصنيف من خلال صياغتها طرق قياس([٢]) مختلفة ومتجددة، و دقة استعمالها.

وقد أفاد علم اللغة من هذا المسلك العلميّ في بعض مجالات الدراسة اللغوية، فلم يعد مقبولًا في دراسة الأصوات أن نتحدث عن علو الصوت أو درجته من دون استعمال لغة الكم، فنحدد مثلًا الطاقة التي تنتج الصوت، والطاقة الأكبر تنتج سعة أكبر للذبذبة، وصوتًا أعلى، وتكون درجة الصوت أعلى كلما كانت الذبذبات أسرع، وعددها في الثانية أكثر.([٣])

لكن الصعوبة تنبع في إخضاع الظواهر الاجتماعية – من ضمنها اللغة – إلى مستوى من الدقة في التفسير واستقراء الأحكام والنتائج – كما في العلوم الصرفة – وقد استُعمل في عقود سالفة المعيار الكميّ الرياضيّ، والمعالجات الاحصائية في بعض العلوم الاجتماعية، في حين استحال

---

[١] – ينظر: مناهج البحث الاجتماعيّ، د.عمر الشيبانيّ، طرابلس، الشركة العامة للتوزيع،١٩٧٥، ص/٥٥.

[٢] – كأجهزة الميكروسكوب، والحاسب، والبارومتر، وأجهزة قياس الضغط والوزن والحركة والصوت...وغيرها، ممّا ساعد على اختزال وقت القياس ودقته.(ينظر: مناهج وأساليب كتابة البحث العلمي في الدراسات الإنسانية، ص/٧١)

[٣] – ينظر: دراسة الصوت اللغويّ، د. أحمد مختار عمر، ص/١٢–١٣.

ذلك في العلوم الأخرى([1]). ولا يخلو النحو العربيّ – مثلًا – من من ظاهرة التجريد والمعيار الكميّ، فالإعراب – مثلًا – نظام مجرد يعتمد على بيان الموقع والحالة والعلامة، ففي قولنا: (الحق منتصرٌ) نجد في إعراب الجملة ما يأتي:

الحقُّ: مبتدأ (موقع) مرفوع (حالة) وعلامة رفعه الضمة (العلامة).

منتصرٌ: خبر(موقع) مرفوع (حالة) وعلامة رفعه الضمة (العلامة).

ومن هنا نجد أنَّ المصطلحات: (الموقع والحالة والعلامة) لا تختصّ بكلمة (الحقّ) وكلمة (منتصر)، وإنما هي صفة تستحقها أيٍّ كلمة يمكن أن تشغل هذا (الموقع) أو ذاك، بل إنَّ الحالات الإعرابية: (الرفع والنصب والجزم والجر) على درجة عالية من التجريد، إذ إنَّها موضوع للتميز بين المواقع الممكنة في اللغة العربية، فالرفع يميز الفاعل من المفعول به، والنصب يميز المفعول به من الفاعل، والرفع والنصب لا وجود لهما إلّا في أذهان النحويين الذين يدرسون المواقع النحوية، وإنَّ النحويين في الحقيقة لا يتعاملون مع مفردات، وإنَّما يتعاملون مع أقسام، وهم في النهاية يحددون علاقات كمية مجردة([2]).

فإذا قلنا مثلًا: إنَّ الجوانب المادية لنشر الثقافة تتغير بسرعة أكبر من الجوانب المعنوية، فإنَّ هذا القول يعبر تعبيرًا كيفيًا عن الاختلاف في سرعة التغيير، من دون يعبر بالمقياس الكميّ الدقيق عن مستوى هذا الاختلاف، أو أنْ نقول: ترتبط القرارات الخارجية للطالب الجامعيّ ارتباطًا شديدًا بالمستوى العلميّ، وهنا كلمة: (شديدًا) قد أشارت إلى شدة الارتباط، ولكن هذه الشدة مطلوبة في العلم – كمستوى – رقميّ لبيانٍ مضبوطٍ ودقيق لها، وقد يستعمل البعض كلمات أو أوصافًا مهمة جدًا ويطلق لها العنان جزافًا، لوصف العلاقات أو التأثيرات أو الأحكام، كما في الكلمات: (قليلًا، وشديدًا، وكبيرًا، ومرغوبًا، ومؤثرًا) وغير ذلك.

٤- الشمول (التعميم بين المتماثلات – Generalization):

ويُقصد بالتعميم أنَّ نتائج البحث العلميّ لا تقتصر عن حالة جزئية واحدة بل تشمل الحالات الأخرى المماثلة والمشابهة لها، في حالة تماثل الجزئيات، وتشابه الظروف والتكوينات، ذلك أنَّ مبدأ العلم يسير على مبدأ (مسلمة الثبات)، أي أنَّ هناك ظواهر تُعاد وتتشابه فيما لو توافرت

---

[1] – ينظر: المصدر السابق نفسه.

[2] – ينظر: علم اللغة الحديث، ص/٤٠.

الظروف نفسها، والحالات ذاتها، ومن هنا وجب على المشتغلين في البحث العلميّ أن يخضعوا أنموذجًا أو جزءًا بسيطًا من المجموع الكليّ لمجتمع البحث يسمى (العينة)، التي تخضع للدراسة والتطبيق، لإمكانية السيطرة عليها من جهة، ولأنَّها تحتمل تشابهًا في الظروف والعوامل من جهة أخرى، ومن ثمَّ تعميم ذلك على الأجزاء الأخرى المشابهة لـ(لعينة).

ومن هنا تُختزل كثيرٌ من النظريات والمفاهيم والقوانين والقواعد على وفق طريقة التعميم، فتتخذ المشابهة والمماثلة في سياق العلوم الطبيعية (الصرفة) شكل القوانين والنظريات والحقائق العلمية الشاملة والثابتة، وتتخذ في سياق العلوم الإنسانية، ولا سيما اللغوية منها شكل القواعد ذات اللغة المختزلة([١]).

ولما كان علم اللسانيات لا يتعامل مع الصور الفردية للكلام، بوصفها بعيدة جدًا عن الوحدة والتجانس، فلا تصلح للدراسة؛ لأنَّه لا يمكننا تحديد صور الكلام الفردية، ومن ثمَّ لا يمكننا وصفها إلَّ إذا كان هذا الوصف بلا حدود أيضًا، وهذا ما لا سبيل إليه، وإنَّما يتعامل الباحث اللسانيّ مع الظواهر العامة المشتركة؛ لأنَّ موضوعها محدد، يمكن إجراء إحصاءٍ بأجزائه، وإجراء تحليلٍ له.

يختزل التعميم والشمول كثيرًا من الجهود المعرفية المنظمة باتجاه وصف الظواهر المشابهة للتجربة أو الميدان، أو المجتمع البحثيّ في ضوء التنبؤ، ولولا التعميم لما استطعنا دراسة الظواهر والمشكلات الجزئية والمتكررة كلّها، ولكانت بنا حاجة إلى جيوش من الباحثين لإتمام ذلك. ولكننا لا نقول بأنَّ كلَّ ما يتصف بالعموم ينبغي أنْ يتصف بالشمول، ويتضح لنا ذلك من خلال الأسس التي ينبغي إتباعها في وضع القاعدة، وهي:

أ- القاعدة وصف لسلوكٍ عمليّ في تركيب اللغة، وينبغي أنْ يُلحظ أن يكون هذا السلوك مطردًا، حتى يُعبر عنه بالقاعدة.

ب- القاعدة جزءٌ من المنهج لا جزءٌ من اللغة.

ت- لا بُدَّ أنْ تتصف القاعدة بالعموم، وليس من الضروري أنْ تتصف بالشمول.

ث- أنْ تكون القاعدة مختصرة قدر المستطاع.

[١] – ينظر: البحث العلميّ في الدراسات الإعلامية، ص/ ١٨.

ج- من الضروري أن ترد عددٌ من الشواهد والأمثلة التي جرى عليها الاستقراء، لتكون سندًا إلى القواعد، وإيضاحًا لها([1]).

٥- التحقق – Materialization:

يتصف البحث العلميّ بإمكانية اختبار صدق النتائج ومراجعتها من خلال إمكانية الرجوع به إلى الواقع ثانيةً، أو إجراء عملية تحليل ثانية، أو من خلال التثبت من عدم التناقض في النتائج والأحكام الواردة في ثني البحث، ولكي تسمى النتائج علمية عليها أنْ تخضع للاختبار من الباحث نفسه أو من آخرين، فكلما كانت إمكانية مراجعة نتائج البحث ممكنة ومتطابقة وقريبة، كلما اكتسبت مصداقيةً ووثوقًا أكثر؛ لأنَّ العلم بصرامة إجراءاته ووحدة نتائجه.

إنَّ ما يميز المنجز العلميّ من غيره هو ثباته ورسوخ نتائجه، وإذا كانت التفرقة بين الأحكام الشخصية أو التصورات الذاتية، تسير بخطى بطيئة ومتناقصة أمام (هيمنة العلم) فإنَّ ذلك مرده إلى إمكانية التحقق من مخرجاته، ومراجعة خطواته، ومن ثمَّ نتمكن من أثبات ما يتمخض عنه (الجهد البحثيّ) على أنَّه علم لا غير. أما نتائج الصدفة أو الخيال أو التصور أو الحدس... وسواها، فإنَّها لا تستعمل للسيطرة على الظاهرة فحسب، بل تسعى لوصفها، والتعبير عنها([2]).

٦- المرونة – Flexibility:

وتعني المرونة هنا اتصاف البحث العلمي ونتائجه بمرونة الفكر ما دامت النتائج قابلة للمراجعة والتحقق والتطور، وقد ساعدت هذه السمة العلم على أن يبقى بعيدًا عن الجمود، على يتوصل إلى قوانين جديدة، لذا يقال: إنَّ البحث العلميّ لا يقود إلى حقائق أزلية ونهائية، بل يقود إلى شكٍّ منظّم، فما يُعتقد أنَّه حقيقة في لحظة معينة قد تتغير بظهور عوامل وظروف أخرى تغيّر منه، ويعني هذا أنَّه لا حتمية في العلم، ويتأكد هذا المنحى ويبان بنحوٍ خاص، والإنسان كائنٌ متغيرٌ بنحوٍ سريع تبعًا لظروفه النفسية المادية والسياسية، وهكذا نستطيع أنْ نقول: إنَّ كلَّ شيءٍ يخضع إلى تغيير دائمٍ حتى أدوات العلم نفسها([3]).

---

[1] – ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص/١٦٣-١٦٤.

[2] – ينظر: مناهج وأساليب كتابة البحث العلميّ في الدراسات الإنسانية، ص/٧٦-٧٧.

[3] – ينظر: مناهج وأساليب كتابة البحث العلميّ في الدراسات الإنسانية، ص/ ٧٨.

٧- الواقعية – Realism:

من السمات المهمة التي يتصف بها البحث العلميّ (الواقعية)، إذ لا يمكن البحث في موضوعات غير موجودة فعلًا في الواقع، أي أنَّ العلم لا يتمكن أنْ يُدرس أو يُخضع علاقات أو حقائق غير موثوقة أو موجودة أو متصلة بالواقع، فلا يمكن التعرف بنحوٍ محددٍ لظواهر فوق قدرات الحواس الإنسانية الظاهرة والمحسوسة، بل والقريبة أيضًا موضوعيًا وماديًا، فلا يمكن أن نقيس الخيال مثلًا، أو التأمل، بشيءٍ من الدقة أو الموضوعية.

٨- الموضوعية – Objectivity:

تعدُّ سمة الموضوعية في البحث العلميّ بأنَّها غير ذاتية، أي إنَّه ينصرف إلى الموضوع بكلِّ أبعاده وعناصره، ويبتعد قدر المستطاع عن كلِّ ما يتعلق في الباحث نفسه، أي على الباحث أنْ لا يتأثر بنزعته الخاصة وأفكاره الجاهزة وأحكامه السالفة وتمنياته، وذلك بأنْ يتناول الظواهر والأشياء والعلاقات كما هي، ويركز في الموضوع البحث، ويستخلص النتائج على وفق الحقائق وكميتها وموجوداتها، بصرف النظر عن طبيعتها، سواء كانت مرغوبة أم غير مرغوبة([١]).

والموضوعية سمة علمية تناقض الذاتية، وتعني أن يكون التفكير مرتبطًا بسلوك الظواهر الخاضعة للملاحظة، بحيث تصبح طبيعة موضوع الدراسة هي الفيصل في الحكم على الظواهر من دون الاعتماد على ميول الذات الباحثة ونوازعها وعواطفها وآرائها الشخصية ومعتقداتها([٢]). لكن هذا لا يعني أنَّ الملاحظة الذاتية في كلِّ الحالات مرفوضة ومخطئة، فهناك دراسات في اللغة والأدب والنقد تستند إلى في بعض أحكامها على فروض ذاتية، كنشأة اللغات، فعلى الرغم من أنَّها غير علمية لكنها مهمة في البحث التاريخيّ، والذي يعني الباحث هو التحقق من هذه الفروض علميًا بوساطة الاختبار والبرهنة.

وقد قيل قديمًا: إنَّ اللغة العبرية أقدم اللغات، وقيل أنَّ اللغة الألمانية أقدم اللغات... وغير ذلك من الفروض الذاتية، التي لا سبيل للبرهنة عليها علميًا، ونجد الأمر نفسه عند الحديث عن أفضل اللغات، وأكملها، وأغناها، فهذا ابن فارس يقرر أنَّ اللغة العربية خُصت بالبيان، وأنَّ سائر اللغات قاصرة عنه، وواقعة دونه، ولو احتجت إلى التعبير بها عن شيءٍ – مثلًا – لوجدت عشرات من

[١] – ينظر: المصدر السابق، ص/ ٧٩.

[٢] – ينظر: الأصول، د. تمام حسان ، ص/١٤.

الألفاظ تدلُّ غليه، ولو أردت ذلك بغيرها من اللغات لما أمكنك ذلك([1])، ومثل هذا القول كثيرٌ في الدرس اللسانيّ القديم، ومنه ما قرره (جالينوس) عن اللغة اليونانية، من أنَّها أفضل اللغات؛ لأنَّ سائر اللغات إنما تشبه نباح الكلاب أو نقيق الضفادع([2]).

٩- التراكمية – Accumulation:

يتسم النشاط العلميّ بالتراكم المعرفيّ، الذي يعني أنَّ كلَّ حقيقة أو محاولة أو إضافة علمية يمكن أن تحقق لغيرها مستقبلًا نتائج أعمق وأدق، فالمعرفة ابتدأت أولًا حسية بسيطة، هذه المعرفة البسيطة الحسية المجردة من اليقين العلميّ فد فتحت للإنسان أبواب التفكير والتساؤل العلميّ التجريبيّ... وهكذا، وهذا يعني أنَّ العلوم والمعارف وإنْ تشعبت وتعمقت ما هي إلّا تراكمات لجهود سابقة لم يكتفِ ببصيرتها الإنسان، لذا ذهب إلى بناء افتراضات وتساؤلات ساعدته على الاكتشاف ووضع القوانين والنظريات، فكلُّ باحثٍ او عالمٍ يضيف مقدارًا من المعرفة، يتم على وفقها السير إلى اكتشافات جديدة... وهكذا الجميع يؤدي دوره بحسب مثابرته وقدرته، ودقة أدوات قياسه([3]).

تجعل التراكمية العلمية من العلم خيارًا، لا ينتهي ولا يبطل، إنما يفجر مشكلات وتساؤلات متواصلة ومتواترة بحسب الاكتشافات والنتائج المستحصلة سلفًا، والتي توصَّل لها الإنسان، وغدت موروثًا إنسانيًا مهما كان مصدرها.

إنَّ ما نطمح إليه في مرحلة أولى هو السمو بالبحث اللسانيّ إلى مستوى علميّ ممنهج ومواكب لحركة تطور اللسانيات العلمية العامة بدلًا من الإبقاء عليه في طور التأمل الشخصيّ، المبني على التعصب الفكريّ ،أو التجاهل للمبادئ الأساس في البحث العلميّ الحديث.

ويجمع العلماء على أنَّ مصطلح اللسانيات (علم اللغة) حديث النشأة جدًا، إذ أرسى دعائمه العالم السويسريّ الشهير (فرديناند دو سوسير ferdinand de saussure ١٨٥٧- ١٩١٣) بيد أنَّ هذا لا يعني أنَّ البحث في اللغة بدأ منذ ذلك التاريخ، أو أنَّ الناس قديمًا لم ينظروا في اللغة ولم يدرسوها، بل إنَّ تاريخ البحث في اللغة قديمٌ جدًا، يعود به بعض المؤرخين إلى اكتشاف أول

[1] – ينظر: الصاحبي، ص/١٦-٢٥.
[2] – ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، ج١/٣٩.
[33] – ينظر: المصدر السابق، ص/ ٨٠.

نظامٍ كتابي في الحضارتين: المصرية والسومرية، ولكن الشائع في تاريخ البحث اللغويّ أنَّ الهنود والإغريق كانت لهم اهتمامات باللغة منذ أكثر من ألفين وخمسمائة سنة، وكثيرًا ما يشير مؤرخو البحث اللغويّ الغربيون إلى جهود الهنود والإغريق، ولكنهم يغفلون جهود العرب والمسلمين في هذا المجال.

استعمل اللغويون العرب القدماء مصطلح (علم اللغة) وأرادوا به **العلم الذي يختصُّ بجمع مفردات اللغة وتصنيفها وبيان معانيها أو موضوعاتها، وبخاصة الغريب منها**، وكانت كتب الطبقات تميز بين المشتغلين بالنحو أو العربية من جانب والمشتغلين باللغة من جانبٍ آخر، فهم يعدون ابن أبي إسحاق ويونس وسيبويه وأضرابهم من النحويين، على حين يعدون الأصمعيّ وابن الأعرابيّ والشيبانيّ وأضرابهم من اللغويين.

وضع ابن خلدون تعريفًا لـ(علم اللغة) مفادهُ: بيان الموضوعات اللغوية – أي معاني المفردات– وذكر أنَّ الخليل كان سابق الحلبة في ذلك فألف كتاب (العين)، ثم جاء بعده الزبيديّ والجوهريّ والزمخشريّ فوضعوا المعجمات([1]).

ويرى الدكتور كمال محمد بشر أنَّ عددًا من الباحثين المحدثين ما زالوا يستعملون مصطلح(علم اللغة) بالمعنى القديم المذكور آنفًا، في حين يرى أغلبهم أنَّ علم اللغة اليوم أصبح يعني مجالًا أوسع ممّا كان يعنيه قديمًا من البحث في المفردات، وأصبح له منهجٌ مخالفٌ لمنهج القدماء في الدراسة، وأصبح موضوعه اللغة بجوانبها المتعددة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية([2]).

❖ **الفيلولوجيا (philology):**[3]

قرر (دي سوسير) أنَّ موضوع علم اللغة هو دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، غير أنَّ مفهوم هذا المصطلح يختلط بمفهومٍ آخر أقدم منه استعمالًا في مجال دراسة اللغة وهو مصطلح (الفيلولوجيا– philology) المقتبس من جذرين يونانييْن يُراد بأحدهما "حبّ"، وبالآخر "لغة"،

[1] – ينظر: المقدمة، ابن خلدون/ ص/٥١٦–٥١٩.

[2] – ينظر: دراسات في علم اللغة، د.كمال محمد بشر، ص/٣٩.

٣ – ينظر :علم اللغة الحديث ،ص/١٧٠–١٧٧ .

والذي قد يردف(علم اللغة) عند عددٍ من الباحثين والدارسين، ومن هنا فالحاجة ماسة إلى بيان الفرق بين المصطلحين، وهذا يقتضي بدوره أن نعود إلى الماضي البعيد لنستكشف هذا الفرق.

كانت حضارة الإغريق والرومان هما دعامتا النهضة الأوربية، وكان الأوربيون يرون أنَّ نهضتها لم تكن إلّا ميلادًا أو بعثًا جديدًا لتراث اليونان الذي تمثل في فلسفتهم وفي دراستهم اللغوية وتراث الرومانية. ولا جرم وهاتان اللغتان بهذه الأهمية أن تنصرف الهمم إلى إحياء دراستهما ونقد ما جاء من نصوص قديمة نقدًا لغويًا في طابعه، وأصبحت هذه الدراسات الشارحة والناقدة للنصوص القديمة باللغتين المذكورتين تُعرّف باسم(الفيلولوجيا-philology) وبهذا المعنى أصبح مصطلح الفيلولوجيا يعني دراسة النصوص القديمة من حيث القاعدة ومعاني المفردات وما يتصل بذلك من شروحٍ ونقدٍ وإشاراتٍ تاريخيّةٍ وجغرافيّةٍ...وسواها، وكان عنصر(القِدْم) من أبرز العناصر التي يتكون منها معنى الفيلولوجيا.

وفي نهاية القرن الثامن عشر اكتُشِفَ أنَّ السنسكريتية لغة الهنود القديمة المقدسة لها علاقة لغوية باللاتينية وبلغات أخرى في أوربا، وأنَّ وجوه الشبه الملحوظة بين اللغات الكلاسيكية في أوربا والسنسكريتية واضحة جدًا بحيث لا تحتاج إلى توضيح([1]). ثم عرف الأوربيون اللغة السنسكريتية بعد المقال الذي كتبه عنها السير وليام جونز(١٧٤٦-١٧٩٤) مبينًا أوجه الشبه بينها وبين اللغات الإغريقية واللاتينية والقوطية، معلنًا عن اعتقاده أنَّ هذه اللغات جميعًا انحدرت من أصل واحد ،حينئذٍ فطن اللغويون إلى وجود علاقات تركيبية بين أفراد فصيلة من اللغات أطلقوا عليها اسم (اللغات الهندية الأوربية)، فأوضحوا الصلة فيما بينها بوساطة دراسات مقارنة أطلقوا عليها اسم (الفيلولوجيا المقارنة – Comparative Philology).

ظلَّ مصطلح (الفيلولوجيا) مرتبطًا بمفهوم اللغات القديمة، واكتسب ظلًا جديدًا بإضافة فكرة المقارنة إليه. ولقد كان هذا الظل الجديد (ظلُّ فكرة المقارنة) هو الطريق الخلفي التي تسللت منه الفيلولوجيا إلى الدراسات الحديثة وإلى دراسات اللغات الحديثة فيما بعد، كانت بداية المقارنة على يد اللغوي المجرى G.Gyarmathi الذي أجرى مقارنة بين لغات المجموعة (الفنلندية – الأوغرية) التي تنتمي إليها لغته القومية (اللغة المجرية)، وتلاه غيره من المهتمين بالفصيلة الهندية الأوربية،

[1] - ينظر: ص/٢٥٢.

وفي نهاية عصر النهضة أبدى الأوربيون بعض الاهتمام باللغتين العربية والعبرية، لإنشاء موازنات بينها.

وتطور هذا الاهتمام حتى نشأ عنه حقل المقارنات السامية فيما بعد، ثم توسع اللغويون في مدلول (الفيلولوجيا) من دون أن يجردوه من ارتباطه باللغات والدراسات القديمة، فأطلقوا هذا المصطلح على نوعين من أنواع النشاط والتحقيق العلميّ، هما :[١]

أ – فك رموز الكتابات القديمة التي يعثر عليها الباحثون في حقل الآثار مرقومة على الحجارة أو جدران المباني في صورة نصوص بلغات مجهولة أو لغات معلومة ولكن الرموز مجهولة، ومن ذلك ما كان من فك رموز حجر رشيد وألواح عين الشمرة والنقوش المسارية وغيرها من النصوص القديمة، ولا شك أن قدم هذه النصوص ينسجم مع المعنى الأصلي للفظ (فيلولوجيا) ومع ارتباطه باللغات القديمة .

ب – أطلق اللفظ كذلك على تحقيق الوثائق والمخطوطات القديمة، بغية نشرها، والانتفاع بها في النشاط العلميّ، وفي الدراسات التاريخية والأثرية، ومن هذا النوع أوراق البرديّ التي عثر عليها في جزيرة (فيلا بأسوان)، وهي تشتمل على نصوص آرامية، ومن ذلك أيضًا ما نعرفه في وقتنا الحاضر من تحقيق المخطوطات وطبعها، على نحو ما يقوم طلاب الدراسات العليا في أقسام اللغة العربية بالجامعات من نشر التراث برسائلهم العلمية.

ومن الشائع على ألسنة المهتمين بالوثائق في الوقت الحاضر أن يطلقوا على دراساتهم اسم (الفيلولوجيا)، ممّا يبرز الزعم أنَّ هذا اللفظ لم يفقد يومًا دلالته على الدراسات المتعلقة بفكرة القدم، وإنْ كانت بعض الجامعات الأوربية – كجامعة لندن مثلا – ما زالت تسمي المؤهل العلميّ في اللسانيات– Linguistics مؤهلًا في الفيلولوجيا المقارنة Comparative –Philology بحسب التسمية القديمة.

وتُعدُّ الفيلولوجيا هي الأصل الذي تفرع عنه علم اللغة أو اللسانيات Linguistics في أوربا، كما تعدُّ الأنتروبولوجيا هي ذلك الأصل بالنسبة للدراسات اللغوية الأمريكية، فإذا كانت العبارة التي ألقاها (وليام جونز) أمام أعضاء الجمعية الملكية الآسيوية في (كلكتا) بالهند، وأعلن فيها عن كشفه للعلاقات التركيبية بين السنسكريتية واللغات الأوربية القديمة ،أقول إذا كانت هذه العبارة هي

١ – ينظر : علم اللغة الحديث. ص١٩٠ .

الصيحة التي بدأت الزحف في حلبة علم اللغة، فإنَّ هذه الصيحة قد صدرت عن فيلولوجيّ، وقد وجهها إلى طائفة من الفيلولوجيين، وعدَّت مساهمة منه في الدراسات الفيلولوجية، وكان على حقٍّ؛ لأنَّه انطلق من دراسة النصوص السنسكريتية القديمة، وهي موضوع دراسة الفيلولوجيا.(1)

إنَّ (الفيلولوجيا) بهذا المعنى الذي أصبح فيما بعد يعرف باسم (علم اللغة) اتجهت اتجاهًا آخر لم يقنع الدارسون فيه بالنصوص القديمة والوثائق فقط، ولم يصبحوا مرتبطين بالقدم وحسب، وإنما حولوا (تحليل النصوص) إلى (مقارنة الظواهر)، ثم تخطوا الظواهر التاريخية، بأن ضموا إليها وصف الأنظمة القائمة باللغات الحيّة، هكذا كانت نشأة اللسانيات (علم اللغة) من منطق (الفيلولوجيا)، ولكن علم اللغة إنْ لم يتحلل تمامًا من فكرة (القِدم) أو فكرة (المقارنة) فقد زاد عليهما فكرتي (المعاصرة، والوصف)، ووضع القِدم والمعاصرة جنبًا إلى جنبٍ، وخصص لكلٍّ منهما منهجًا، فـ(القِدم) يُدرس بمنهج تطوريّ تاريخيّ، والمعاصرة تُدرس بمنهج وصفيّ أشبه ما يكون بمناهج العلوم الطبيعية، بل إنَّه يستعين بحقائق هذه العلوم.

وهكذا انتفع علم اللغة بمناهج العلوم الأخرى من حوله، حتى استطاع أن ينشئ لنفسه طريقة خاصة في النظر إلى موضوعه، وأصبح بحق يستحق أن يعرف بأنُّه الطريقة العلمية لدراسة اللغة، واستقل علم اللغة بعد أن كان موضوعه في الماضي يدور في فلك الكتب المقدسة كما في السنسكريتية، أو في فلك الفلسفة كما في الإغريقية، أو في حظيرة الأدب ونقده كما حدث في لغات أخرى... وهلم جرا.

أسقط علم اللغة من موضوعه ما لا يمكن أن يخضع للنظر العلميّ، كالكلام في أصل اللغة أتوقيف ذلك أم اصطلاح؟ وكذلك الكلام في تقويم اللغات، وتفضيل بعضها على بعض، والكلام في موضوعات تتصل بالسحر والشعوذة، وتنسب قوة غيبية للكلمات، تلك موضوعات كان على علم اللغة أن يستبعدها من التراث الذي ورثه من أفكار الأقدمين.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ يظهر ما يسمى بـ(الفيلولوجيا المقارنة_ comparative philology) وتعني دراسة اللغة السنسكريتية وعلاقتها باللغات (الهندية – الأوربية) وشرحها والمقارنة فيما بينها، ونظرًا؛ لأنَّ دراسة النصوص القديمة – وقد كان معظمها ذات مكانة أدبية مميزة – كان يتطلب معارف كثيرة تتصل بتاريخ الشعب وثقافته وبالعلوم والفنون التي يبتدعها وما إلى ذلك، ممّا يساعد

(1) – ينظر : المصدر السابق . ص/ ١٩ .

في توثيق النصوص وشرحها، فإنَّ الفيلولوجيّ كان يدرس هذه الموضوعات أيضًا، لذلك فُهِمَتْ الفيلولوجيا على أنَّها تعني – فضلًا عمّا سبق – دراسة الأدب والحضارة.(1) وهكذا يمكن أن يقال: إنَّ الفيلولوجيا مصطلحٌ غربيٌّ، يعني ثلاثة أمور:

١- الدراسة المقارنة للغات.
٢- تحقيق النصوص القديمة وشرحها، وما يتطلبه ذلك من دراسة للجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية.
٣- دراسات تشمل الثقافة والتقاليد والتاريخ والآداب الخاصة باللغة المدروسة.

الفرق بين علم اللغة والفيلولوجيا:

فرَّق العالم اللغويّ(ماريو باي) بين المصطلحين بقوله: " إنَّ موضوع (الفيلولوجيا) لا يختصُّ بدراسة اللغات فقط، وإنما يجمع إلى ذلك دراسات تشمل الثقافة والتاريخ والتقاليد والنِتاج الأدبيّ للغات موضوع الدراسة، أما (علم اللغة) فيركز في اللغةِ نفسها، ولكن مع إشارات عابرة أحيانًا إلى قيم ثقافية وتاريخية، ويُولي (علم اللغة) معظم اهتمامه إلى اللغة المتكلمة، وإن كان يولي كذلك إلى اللغة المكتوبة شيئًا من الاهتمام(2)، وإنَّ (الفيلولوجيا) مصطلحٌ غربيٌّ، في حين أنَّ (علم اللغة) مصطلحٌ عربيٌّ(3).

والجدير بالذكر أنَّ علماء اللغة المعاصرون ينظرون إلى (علم اللغة المقارن) على أنَّه تطورٌ للفيلولوجيا المقارنة، لهذا قال(هارتمان): إنَّ الفيلولوجيا هي المصطلح القديم لعلم اللغة المقارن(4)، وهذا يعني أنَّ الدراسات التاريخية والمقارنة التي كانت موضوع اهتمام الفيلولوجيين في القرن التاسع عشر أصبحت الآن– مع اختلاف المنهج – فرعًا من فروع (علم اللغة) يُعرف بـ(علم اللغة التاريخيّ) و (علم اللغة المقارن).

❖ **فقه اللغة:**

وهو مصطلح عربي خالص لا يعرفه الغربيون في لغاتهم، **ويُعنى بدراسة القضايا اللّغوية من حيث أصواتها ومفرداتها وتراكيبها، وفي خصائصها الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة والدّلاليّة، وما يطرأ**

1 – ينظر : المصدر السابق / ١٩٢ .
2 – ينظر: أسس علم اللغة، باي(ماريو)، ص/٣٥.
3– ينظر علم اللغة الحديث، ص/١٩٢_١٩٤.
4- hartmann and stork, dictionary of language and lin guistics.

عليها من تغييراتٍ وما ينشأ من لهجاتٍ، فيبحث في المعجمات والمفردات من حيث المعنى والأصالة والاشتقاق والنحت والمشترك والترادف وغيرها، كما يبحث في وظيفة اللّغة وأصلها ومصادرها. بمعنى أنَّهُ العلم الّذي يهتمّ بفهم اللغة ودراستها.

وقد شهد استعماله بعض الغموض، على نحو ما يبدو من المعاني التي نسبت إليه، وهي:

١- بدأ هذا الفرع في التراث العربيّ تحت اسم (اللغة)، فكان العلماء يفرقون بين ما يسمونه (العربية) وما يسمونه (اللغة)، فكانوا يقولون مثلًا: كان فلانٌ متقدمًا في العربيةِ، متبحرًا في اللغةِ، أو كان الخليلُ إمامًا في العربيةِ واللغةِ، ويقصدون بهما (النحو) و(فقه اللغة) على نحوِ ما نعرفهما في زماننا، وكان الغالب على موضوع اللغة ما يُعرف باسم "المتن"، والمقصود به مفردات اللغة، وما يختلف عليها من ظواهر، وما تدلُّ عليه من المعاني، ويدخل في ذلك استعمال الكلمات في حقول معينة ممّا تشتمل عليه البيئة العربية الصحراوية، سواء أكانت هذه الحقول ظواهرَ طبيعية كالأنواءِ والسحابِ والغيثِ والمطرِ، أم نباتية، كالنباتِ والنخيلِ والشجرِ، والكرمِ، أم حيوانية كالإبلِ والخيلِ... وهلم جرًا.

وربما دخل تحت ذلك (الغريب) كما في (غريب اللغة) لابن قتيبة، و(مفردات غريب اللغة) للراغب الأصفهانيّ، ونحوها، بل ربما دخل الترادف والتضاد والمشترك اللفظيّ والفروق وأنواع المعاجم تحت هذا الاسم. ولم يطلق على هذه الدراسة اسم (فقه اللغة) إلّا في القرن الرابع الهجريّ، ولعل أول تسجيل لهذه التسمية كان في كتاب: (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها) لأحمد بن فارس(ت/٣٩٥هـ) بعد ذلك ظهر كتاب:(فقه اللّغة وأسرار العربيّة) للثعالبيّ(ي/٤٢٩هـ) وفيه يرى أنَّ (فقه اللّغة) علم خاص بفقه المفردات وفهمها، والفروق الدّقيقة في دلالاتها.

٢- يطلق البعض (فقه اللغة) أحيانًا على الدراسة المقارنة للغة العربية واللغات السامية كما في كتاب: (اللغات السامية) لثيودور نولدكه، و(تاريخ اللغات السامية) لإسرائيل ولفنسون.

٣- يطلق البعض "فقه اللغة" على مقارنة الألفاظ الفصيحة وغير الفصيحة، سواء أكانت هذه الألفاظ من لهجات قبلية قديمة أم من لهجات عامية حديثة. ويبدو ذلك في كتب مثل: (درة الغواص في أوهام الخواص) للحريري، و (لحن العوام) لأبي بكر الزبيديّ، والكتب التي تدور حول لحن العامة التي كتبها أبو عبيدة، والكسائيّ، وابن السكيت، والكلبيّ، واللخميّ، والمازنيّ، وغيرهم.

٤- يطلق البعض (فقه اللغة) على دراسة اللهجات العربية على نحو ما نرى في كتاب (اللهجات العربية) للدكتور إبراهيم أنيس، و(القراءات واللهجات) لعبد الوهاب حمودة.

٥- يطلق البعض(فقه اللغة) على دراسة الأصوات العربية على نحو ما تبدو في كتاب: (سر صناعة الإعراب) لابن جني، وكتاب: (أسباب حدوث الحروف) لابن سينا، وكتاب: (النشر في القراءات العشر) لابن الجزري، وبعض مباحث كتاب (المزهر) للسيوطيّ.

وحين اتصل المحدثون العرب بالدراسات اللغوية الحديثة التي سميناها من قبل (علم اللغة)، أطلقوا على هذه الدراسات أول الأمر (فقه اللغة)، ولكنهم أخذوا يتخلون عن هذه التسمية، ولكنهم مع تخليهم عن هذه التسمية، لم يتفقوا على اسم للدراسات الحديثة، إذ أطلقوا عليها طائفة من الأسماء مثل: علم اللغة، والألسنية، واللسانيات، واللغويات الحديثة، والدراسات اللغوية. ومازال المحدثون يختلفون في نظرتهم إلى هذا المصطلح، فهناك فريق تأثر بالدراسات العربية القديمة، فجاءت نظرته متأثرة بنظرتهم التي لا تفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة، ومنهم:

١- د.علي عبد الواحد وافي ، يقول في مقدمة كتابه (فقه اللغة): " فقد عرضنا في كتابنا (علم اللغة) لدراسة النواميس العامة التي تسير عليها اللغات الإنسانية في نشأتها، وانتقالها من السلف إلى الخلف... وسندرس في هذا الكتاب فصيلة خاصة من اللغات السامية وهي فصيلة (اللغات السامية) مفصلين بعض التفصيل في لغة منها، وهي اللغة العربي... فمؤلفنا هذا في منزلة الجزء الثاني من كتابنا (علم اللغة). مما تقدم يتبيّن أن الدكتور وافي يجعل (فقه اللغة) و(علم اللغة) شيئًا واحدًا مع اختصاص فقه اللغة بالعربية وحدها.([1])

٢- الأستاذ محمد المبارك، يقول في مقدمة كتاب (فقه اللغة، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة المقارنة): " إنَّ علمًا بهذا المفهوم الذي بسطناه والذي آل إليه الأمر في تطور البحث اللغوي نرى أن نطلق عليه أحد الاسمين: علم اللغة أو فقه اللغة، وكلاهما يفيد المقصود".([2]).

٣- الدكتور صبحي الصالح، لا يفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة في مقدمة كتابه:(دراسات في فقه اللغة) إذ قال: " من العسير تحديد الفروق الدقيقة بين علم اللغة وفقه اللغة، لأنَّ جلَّ مباحثهما متداخل لدى طائفة من العلماء في الشرق والغرب... وإذا التمسنا التفرقة بين هذين

[1] - ينظر : علم اللغة ، د. علي عبد الواحد وافي ،ص/ ٦ .
[2] - ينظر : فقه اللغة ، محمد المبارك ، ص/ ٣٩ .

الضربين من ضروب الدراسة اللغوية، من خلال التسميتين المختلفتين اللتين تطلقان عليهما، وجدناها تافهة لا وزن لها " ثم قرر فكرته بقوله: " وإنَّه ليحلو لنا أن نقترح على الباحثين المعاصرين ألا يستبدلوا بهذه التسمية القديمة – يقصد فقه اللغة – شيئًا، وأن يعمموها على جميع البحوث اللغوية؛ لأنَّ كلَّ علمٍ لشيءٍ فهو فقه، فما أجدر هذه الدراسات أن تسمى فقهًا"([1]).

وفريق آخر تأثر بالدراسات اللغوية الغربية، فجاءت نظرته شاملة لما هو موجود في الدراسات الغربية، ومنهم: د. محمود السعران([2]) و د.محمود فهمي حجازي([3]) ود. عبده الراجحيّ([4]).

ونخلصُ ممّا تقدم أنّ المحدثين من علماء العربيّة قد وجدوا أنفسهم أمام مصطلحين لغويين غربيين فرّق الغربيّون بينهما؛ الأوّل يعنى بدراسة النصوص اللغويّة القديمة واللغات البائدة، ويهتم بالتراث والنِتاج الأدبيّ واللغويّ، أطلقوا عليه مصطلح (**philology**) فترجمه العرب باسمه **الفيلولوجيا** أو (علم اللّغة المقارن) وهو فرعٌ مهمٌ من فروع المصطلح الآخر(**linguistics**) الذي يُعنى بدراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها وصفًا تاريخيًا ومقارنًا، على وفق منهجٍ علميٍّ محكم، أطلقوا عليه (**علم اللغة**) أو(**فقه اللغة**).

---

١ – دراسات في فقه اللغة .

٢ – في كتابه: علم اللغة مقدمة للقارئ العربيّ.

٣ – في كتابه: المدخل إلى علم اللغة .

٤ – في كتابه: فقه اللغة في الكتب العربية.

المبحث الثاني

فروع اللسانيات

مدخل:

إنَّ علم اللغة ليس علمًا واحدًا وإنَّما هو علوم مختلفة تفرعت عن الدراسة العلمية للغة، بحيث أصبح الآن لكلِّ فرع منها علماء متخصصون في هذا الفرع أو ذاك من هذا العلم، كما أصبح لكلِّ فرع دراساته وأبحاثه وكتبه ودورياته التي تصدر بانتظام وبأعداد هائلة على الرغم من اختلاف فروع علم اللغة وتشعبها إلّا أنَّ هناك صلات وثيقة بين فروع هذا العلم، بحيث لا يجد الباحث أو العالم في أي فرع من فروعه بُدًا من معرفة الفروع الأخرى؛ لكي يحقق تقدمًا أو يصدر أحكامًا عن بَيّنة في فرع تخصصه، فعالم الأصوات مثلًا لا بُدَّ أن يكون على معرفة كافية ببقية الفروع الأخرى لاسيما الصرفيَّة والنحويَّة والدلاليَّة، ومثل ذلك عالم النحو لا بُدَّ له أن يكون ملمًا بعلم الأصوات والفنولوجيا والصرف والدلالة... وهكذا؛ لأنَّ تحليل البنية اللغوية لنظام واحد يتطلب من الباحث أنَّ يجمع أنظمة اللغة الأخرى المتمثلة في الصوت والصرف والنحو والدلالة. ونتيجة للتقدم الذي أحرزه علم اللغة في الفروع المختلفة اتفق أغلب علماء اللغة على تقسيم علم اللغة إلى فرعين كبيرين هما:

١- اللسانيات النظرية :(theoretical linguisties)[١])

وهو العلم الذي يدرس الظواهر اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بصفة أساسية، وهي الظواهر التي تشترك فيها جميع اللغات، فضلًا عن دراسته لمناهج البحث اللغويّ.

إنَّ علم اللغة النظريّ على مدى أكثر من نصف قرن لم يَعد علمًا واحدًا بل أصبح عدة علوم تتخللها نظريات مختلفة، ومعنى هذا أنَّ علم اللغة أو اللسانيات ليس علمًا أحادي النظرة والاتجاه، أو يتمتع بنوعٍ من التجانس، فهناك نظريات لغوية مختلفة ذات أصولٍ متداخلة أحيانًا ومتعارضة أحيانًا أخرى.

ولا يخفى على اللبيب أنَّ علم اللغة النظريّ قد استقر على عددٍ من العلوم تدرس جوانب أساسية من اللغة، يطبق علماء اللغة مناهج مختلفة في دراستها:(تاريخية، ومقارنة، ووصفية، وتقابلية)، وتسعى هذه الدراسات إلى وضع أصول عامة لدراسة اللغة الإنسانية.

---

[١] ينظر : دراسات في اللسانيات التطبيقية ، ص ١٤-١٨ .

فروع اللسانيات النظرية:

أولًا – علم الأصوات: وهو العلم الذي يدرس الصوت اللغوي بعيدا عن البنية من حيث طبيعته وكيفية حدوثه، ومواضع نطق، الأصوات المختلفة، والصفات النطقية المصاحبة للصوت وغير ذلك. ويدرس جهاز النطق والأعضاء التي يتكون منها، ومواضع النطق، وطريقة نطق الأصوات الكلامية، ويصنفها طبقا للمخارج والصفات، وذلك في ضوءِ تحليل الخصائص الصوتية المتنوعة ودراستها التي يتألف منها النظام الصوتيّ للغة. ثم ما لبث أن اتصل هذا العلم بالعلوم الطبيعية الأخرى، عندما شرع علماء الأصوات في استعمال الآلات، مثل: (الاسبكتروجراف – spestrograph وغيره من الآلات في تحليل الصوت وقياسه، ومن ثم أصبح علم الأصوات عدة علوم منها:

١- **علم الأصوات النطقيّ:** وهو العلم الذي يدرس جهاز النطق الإنسانيّ، ويتمثل في أعضاء النطق ابتداءً من الحجاب الحاجز مرورًا بالرئتين والقصبة الهوائية والحنجرة والوترين الصوتيين، والحلق والتجويف الفمويّ واللسان والأسنان حتى الشفتين.

٢- **علم الأصوات الفيزيائيّ:** وهو العلم الذي يدرس انتقال الصوت في الهواء من فم المتكلم إلى إذن السامع ويحلله من حيث طبيعة الموجات الصوتية وطولها وترددها والذبذبة والعوامل المؤثرة في ذلك.

٣- **علم الأصوات السمعيّ** وهو العلم الذي يدرس الجهاز السمعيّ، أي (الأذن) من حيث تشريحها، وما يحدث فيها عند استقبال الكلام وإدراكه وعلاقة ذلك بالمخ، وما يحدث فيها من فك الشفرة الصوتية وإدراك الكلام وفهمه.

ثم أصبحت دراسة الكلام سواء من حيث إنتاجه أو استقباله بما له من صلة بعمل المخ الإنسانيّ علمًا مستقلًا يُعرف بـ(علم اللغة الإدراكيّ أو العصبيّ neurological lingistics).

٤- **علم الأصوات التجريبيّ – experimeutal phonetics: وهو العلم الذي يدرس** خصائص الأصوات اللغوية باستعمال أجهزة القياس والآلات الإلكترونية الحديثة لمعرفة الخصائص الصوتية للجهر أو الهمس أو غيرها من الملامح الصوتية، ويطلق عليه أحيانًا بـ(علم الأصوات الآليّ أو علم الأصوات المعمليّ).

٥- **علم الفونيمات – phonology:** وهو العلم الذي يدرس الصوت في ضوءٍ ما يؤديه من وظيفةٍ داخل البنية اللغوية ،أي من حيث علاقته بالأصوات السابقة عليه واللاحقة به، كما يدرس علاقة الصوت بالدلالة والمعنى والملامح والخبرة لكلِّ صوتٍ، والوحدة التي تُستعمل في التحليل هي الفونيم– phoneme.

ثانيًا/ علم الصرف(علم المورفيمات): وهو العلم الذي يبحث في تصنيف المورفيمات وأنواعها ومعانيها المختلفة ووظائفها، ويدخل في إطاره علم الصرف بالمفهوم التقليديّ ويستخدم وحدة أساسية في التحليل هي المورفيم– **morpheme.**

ثالثًا/ علم النحو(التركيب) أو علم النظم: وهو العلم الذي يدرس أحكام نظم الكلمات وقوانينها داخل الجمل، والعبارات، وأنواع الجمل، والعلاقات النحوية التي تربط بين مكونات الجمل. ويطلق عليه أحيانًا بـ(علم القواعد– grammar) علم القواعد الذي يشمل هذا العلم فضلًا عن علم الصرف.

رابعًا/ علم الدلالة وفروعه: وهو العلم الذي يدرس الطبيعة الرمزية للغة، ويحلل الدلالة من حيث علاقتها بالبنية اللغوية، وتطور الدلالة وتنوعها، والعلاقات الدلالية بين الكلمات والحالات الدلالية.

وفيه عدة فروع:

١–**علم المفردات:** وهو العلم الذي يدرس حركية الثروة اللغوية كما تتمثل في المفردات من حيث مقدارها، وتنوعها، وعدد الكلمات التي تستعمل في مجالٍ معين، والكلمات المقترضة من لغات أخرى، والكلمات الحيَّة النشطة التي يستعملها المتكلم بلغة معينة وتلك التي لا يستعملها ولكن يعرف معناها وغير ذلك ممّا يتصل بالمفردات.

٢–**علم المعجمات النظريّ:** وهو العلم الذي يدرس الكلمات ويحللها من حيث طبيعتها ومكوناتها وتطورها وتغيرها؛ لذلك فهو يتداخل أحيانًا مع علم الدلالة لاشتراكهما في بعض الموضوعات ولكنه أضيق مجالًا من علم الدلالة، إذ لا يهتم علم المعجمات بوضع النظريات الدلالية، وإنَّما يكتفي بدراسة دلالة الكلمات وأنواع الدلالة وما يتصل بذلك.

٣–**علم اللغة الرياضيّ – Mathematic:** وهو العلم الذي يقوم بتحليل المادة اللغوية باستعمال أساليب العلوم الرياضية في الإحصاء والتحليل وقد يسمى علم اللغة الإحصائيّ حين يستعمل

العقول الآلية في عمليات الإحصاء والتحليل، ويدخل في إطار علم اللغة الرياضيّ أيضًا استعمال المنطق الرياضيّ في تحليل اللغة.

٤-علم الجرافيمات (الكتابة)- Graphemic: وهو العلم الذي يدرس نظم الكتابة المختلفة في اللغات من حيث القواعد المستعملة في التعبير الخطيّ عن الكلام، ويستعمل في هذا العلم وحدة تحليلية تسمى (الجرافيم) تقابل الوحدة الصوتية (الفونيم) على المستوى النطقيّ؛ وذلك لبيان الفروق بين تحليل اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة.

٥-علم الحركة الجسمية المصاحبة للكلام- Kinemics: وهو العلم الذي يدرس الحركات الجسمية المصاحبة للكلام التي تسدُّ مسدَّ الكلام أو تسانده في تأدية المعنى المطلوب من أجل إفهام المتلقي والتأثير فيه، ولهذه الحركات معنى معين لدى كلَّ جماعة لغوية، وتتخذ هذه الحركات أشكالًا مختلفة، وتتم أحيانًا باليد أو الرأس أو العين أو بالحسم، ويستعين هذا العلم بالرسم أو التصوير لتحديد الحركات المصاحبة للكلام.

أما من حيث دراسة اللغة من وجهة نظر منهجية معينة فهناك علوم لغوية تُصنف من علم اللغة النظريّ طبقًا للمنهج الذي يُستعمل في دراسة اللغة، وهي:

أ-اللسانيات التاريخيةّ : وهو العلم الذي يدرس التطورات اللغوية في مراحل زمنية متعاقبة على المستويات: (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) ومعنى هذا أنَّ هناك علم الأصوات التاريخي وعلم الصرف التاريخيّ وعلم النحو التاريخيّ، وابرز ما يسفر عنه هذا العلم من نتائج تتمثل في القوانين التي تحكم التطور اللغويّ على هذه المستويات المختلفة، وكلُّ ذلك بالنظر إلى لغة معينة أو عدة لغات في مراحل زمنية مختلفة، أي وهي في الحالة الحرجة.

ب- اللسانيات المقارنة -Descriptive Linguistics : وهو العلم الذي يدرس الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية دراسة مقارنة في عدد من اللغات التي تنتمي إلى أصلٍ واحد أو عائلةٍ لغويةٍ واحدة؛ ومعنى هذا أنَّ هناك فروعًا أخرى لهذا العلم تتمثل في علم الأصوات المقارن وعلم الصرف المقارن وعلم النحو المقارن وعلم الدلالة المقارن؛ لأنَّهُ من النادر أن يدرس الآن عالم واحد كلَّ هذه الظواهر دفعة واحدة، وإنَّما الشائع التخصص في دراسة مستوى من هذه المستويات.

وبناءً على هذه الدراسات المقارنة يستطيع علماء اللغة استخلاص بعض الصور اللغوية المشتركة بين اللغات ذات الأصل الواحد، وقد يسعى بعضهم لبناء اللغة الأم التي انحدرت منها هذه اللغات، وكان هذا هو الهدف الرئيس لهذا العلم.

ج- السانيات الوصفية - Prescriptive Linguistics: وهو العلم الذي يدرس اللغة كما هي مستعملة في زمانٍ أو مكانٍ معين، أي يدرس اللغة وهي في حالة ثبات، وتتم الدراسة أيضًا على المستويات: (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) أو على مستوى واحد منها، وهو بهذا المعنى يقابل علم اللغة التاريخيّ الذي يدرس اللغة عبر مراحل زمنية من تاريخ اللغة، أي يدرس اللغة وهي في حالة حركة.

هـ- اللسانيات التقابليةّ - Contrastive Linguistics: وهو العلم الذي يدرس أوجه الشبه والاختلاف بين لغتين أو أكثر لا تنتميان إلى عائلة لغوية واحدة، مثل: العربية والإنجليزية، ويتم ذلك على المستويات: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

و- علم اللهجات: وهو العلم الذي يدرس خصائص اللهجات في اللغة الواحدة كما تظهر في الفروق الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، ويرجع الفضل في ظهور هذا العلم واستقراره إلى علم اللغة التاريخيّ والمقارن.

ي- السانيات الكليةّ- Universal Linguistcs: وقد يسمى علم اللغة الكليّ أو الشامل وهو العلم الذي يدرس اللغات المختلفة صوتيًا وصرفيًا ونحويًا ودلاليًا بهدف الوصول إلى القواعد والأصول اللغوية العامة التي تشترك فيها اللغات الإنسانية المختلفة بصرف النظر عن القواعد الخاصة التي تنفرد بها كلُّ لغة عن الأخرى، أو كلُّ مجموعة أو عائلة لغوية عن الأخرى.

٢- **اللسانيات التطبيقيّة Applied Linguistics** ([١]).

فرعٌ من فروع علم اللغة العام، وهذا الفرعُ يُعنى بتطبيق النظريات اللغوية ومعالجة المشكلات المتعلقة باكتساب اللغة وتعليمها. كما يُعنى بالتحليل التقابليّ بين اللغات للاستفادة منه في تحسين ظروف تعلم اللغات وتدريسها.

وفي الستينيات من القرن الماضي تأثر هذا الحقل من اللسانيات بنظريات العالم اللغويّ الأمريكي المعروف (ناعوم تشومسكي) لاسيما في نظرية النحو الكليّ، التي فسَّرت قدرة الإنسان على اكتساب أي لغة بشرية بصرف النظر عن عرقه أو لونه أو معتقده أو ديانته، ومن ثم محاولة توظيف هذه النظرية في سبيل الوصول إلى فهم أكثر لعملية الاكتساب اللغويّ.

ويُعدُّ عقد التسعينيات من القرن العشرين هو عقد ازدهار حقل علم اللغة التطبيقيّ، إذ أصبح بعض الشيء حقلًا مستقلًا عن علم اللغة النظريّ، وأصبحت عددٌ من الجامعات تقدم برامج للدراسات العليا المتخصصة في علم اللغة التطبيقيّ، وأصبحت هناك عددٌ من المراكز والمنظمات التي تُعنى بهذا الحقل كالجمعية الأمريكية لعلم اللغة التطبيقيّ، ومركز علم اللغة التطبيقيّ بالولايات المتحدة وغيرها من المنظمات بأمريكا والمملكة المتحدة.

ويندرج تحت هذا العلم فروعٌ هي :

١- **اللسانيات الجُغْرَافِيَّة Geolinguistics:** وهو العلم الذي يقوم بدراسة اللغات واللهجات ويصنفها طبقًا لموقعها الجغرافيّ؛ وبالنظر إلى خصائصها اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، التي تفرق لغة عن لغة أو لهجة عن لهجة، في البلد الواحد، أو في عدة بلدان تتكلم لغة واحدة. وهو يستند في ذلك إلى علم اللهجات النظريّ، وغالبًا ما تنتهي هذه الدراسة في علم اللغة الجغرافيّ بوضع الأطالس اللغوية، حيث توزع الخصائص اللغوية على الخرائط الجغرافية برموز خاصة؛ توضح الخصائص والفروق بين كل لغة وأخرى أو بين كل لهجة وأخرى على المستوى الأفقيّ.

٢- **اللسانيات الاجْتِمَاعيَّة Sociolinguistics:** يُعدُّ علم اللغة الاجتماعيّ فرعًا مهمًا من فروع علم اللغة العام أو علم اللسانيات، فهو يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع؛ لأنَّهُ ينظم كلَّ جوانبِ بنيةِ اللغةِ وطرائقِ استعمالها، التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية، وليس المقصود بهذا

[١] – ينظر : دراسات في اللسانيات التطبيقية ، ص / ٢٠-٢٥ .

العلم أنَّهُ تركيبة أو توليفة من علمي اللغة والاجتماع، أو أنَّهُ مزيجٌ منهما أو تجمع لقضاياهما ومسائلهما، وإنَّما هو الذي يبحث عن الكيفية التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع[1]، فهو ينظر في التغييرات التي تطرأ على بنية اللغة استجابة لوظائفها الاجتماعيّة المختلفة، مع بيان هذه الوظائف وتحديدها، لذا يمكن تعريفه بأنَّهُ لعلم الذي يبحث في التفاعل بين جانبي السلوك الإنسانيّ، أي استعمال اللغة والتنظيم الاجتماعيّ للسلوك[2]، ويركِّز في موضوعات ترتبط بالتنظيم الاجتماعيّ لسلوك اللغة وسلوكيات مستعمليها.

من المعلوم أنَّ علم اللغة العام على قسمين: أولهما النظريّ، والآخر التطبيقيّ، وينتمي علم اللغة الاجتماعيّ إلى الأخير، فهو يدرس مشكلات اللهجات الجغرافيّة والاجتماعيّة أو الطبقيّة من حيث خصائصها الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة والدلاليّة وتوزيعها في داخل المجتمع ودلالاتها على المستويات الاجتماعيّة المختلفة، ويدرس مشكلات الازدواج اللغويّ، مثل الفصحى والعامية، واللغة الرسميّة وغير الرسميّة، لذا هو أحد مجالات النمو والتطور في الدراسات اللغويّة من منظور مناهج البحث والدراسة[3].

ويطلق عليه علماء الاجتماع علم الاجتماع اللغويّ Sociology of Language، ولكن هناك فرقًا بين تناول كلٍّ من علماء اللغة وعلماء الاجتماع لهذه العلاقة بين اللغة والمجتمع.

٣- **عِلْمُ الأُسلوب Stylistics**: ويهتم هذا العلم بدراسة مظاهر التنوع والاختلاف في استعمال الناس للغةٍ ما وتحليلها، وبخاصةٍ على مستوى اللغة الأدبية أو الفنية، وهو يطبق في هذه الدراسة نتائج ودراسات علم اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وقد يدرس اللغة المكتوبة، كما تتمثل في لغة شاعر أو كاتب ويحاول أن يرصد الملامح اللغوية التي تنفرد بها لغة هذا الكاتب أو ذاك الشاعر، ويدرس أيضًا اللغة المنطوقة التي تتمثل في لغة الخطابة أو الإذاعة أو لغة الإعلان المكتوبة والمسموعة وغير ذلك من أوجه التنوع والاختلاف في الاستعمال اللغويّ. ويستعمل هذا العلم أحيانًا الطرائق الإحصائية في حصر الصيغ والمفردات التي تميز مستوى لغويًا عن آخر، وحينئذ قد يسمى علم الأسلوب الإحصائيّ، وهو بصورة عامة البديل عن علم البلاغة التقليديّ؛ لأنَّ

---

[1]- ينظر: علم اللغة الاجتماعيّ- المدخل -، د. كمال محمد بشر/ ٤٧.

[2]- ينظر: نفسه /٤١.

[3]- ينظر: علم اللغة الاجتماعيّ، د. هدسن /١٢.

من وظائفه أيضًا دراسة الاستعمالات المجازية للغة وتحليلها، ولكن بطرائق ومناهج تتصل بعلم اللغة ومفاهيمه في التحليل، ويطلق عليه أحيانًا في العربية علم الأساليب أو الأسلوبية.([١]).

٤- **اللسانيات النَّفسيّة Psycholinguistics**: يختصُّ هذا العلم بدراسة العوامل النفسية المؤثرة في اكتساب اللغة الأم، ولاسيما عند الأطفال، أو تعلم لغة أجنبية، كما يدرس عيوب النطق والكلام والعلاقة بين النفس البشرية واللغة بشكل عام؛ من حيث الاكتساب والإدراك عند المتكلم أو السامع، وذلك على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، ويرجع الفضل في استقرار هذا العلم لنظرية تشومسكي البنائيَّة .

٥- **عِلْمُ أمراضِ الكلام Pathology Speech**: ويَعدُّه بعض العلماء جزءًا من علم اللغة النفسيّ، وهو يهتم بدراسة وعلاج الأمراض المتصلة بعيوب الكلام والنطق عند الأطفال والكبار على السواء.

٦- **فَنُّ صِنَاعةِ المعجمات Lexicography**:وهو الفرع التطبيقيّ لعلم المعاجم Lexicology ويدرس فن صناعة المعجم وتأليفه؛ من حيث طرائق ترتيب المفردات، واختيار المداخل، وإعداد التعريفات والشروح للكلمات داخل المعجم، والصور والنماذج المصاحبة للشروح، وغير ذلك من العمليات الفنية حتى يتم إخراج المعجم في صورته النهائية.

٧-**عِلْمُ اللّغةِ التّعْلِيْمِيُّ Linguistics Pedagogical**: ويهتم هذا العلم بالطرائق والوسائل التي تساعد على تعليم اللغة الأم أو اللغات الأخرى التي يتعلمها الطلاب في المدارس، بالإفادة من نتائج علم اللغة: (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) فضلًا عن إعداده البرامج والخطط التي تؤهل معلم اللغة للقيام بواجبه على الوجه الأكمل سواء بنفسه أو بمساعدة المعامل اللغوية- Language Laboratories.

[١] - ينظر : علم اللغة الحديث ، ص/٩٧.

الفصل الثالث

تاريخ الدرس اللسانيّ ومراحل تطوره

الفصل الثالث
تاريخ الدرس اللسانيّ ومراحل تطوره

مدخل...

يُعدُّ تاريخ نشأة البحث اللغويّ قديمًا جدًا يعود به بعض الباحثين إلى اكتشاف أول نظامٍ كتابي في الحضارتين (المصرية السومرية) ومن هؤلاء الباحثين (مونين) الذي أرّخ لتاريخ البحث اللغويّ في هاتين الحضارتين في كتابه (تاريخ علم اللغة)، في حين ذهب عددٌ من الباحثين أمثال: (بلومفيلد، وجسبرسن، وروبنز) إلى أن يبدؤوا هذا التاريخ بالهنود، وذلك لقلة الوثائق التي بين أيدي الباحثين عن الحضارتين المذكورتين آنفًا، فضلًا عن وجود أول تفكير واضح يتصل باللغة عند الهنود.

إنَّ البحث في تاريخ علم اللغة يكشف عن العلاقة الوثيقة التي تربطه بالعلوم والاتجاهات الفكرية السائدة، لقد نشأ علم اللغة عند الهنود للمحافظة على كتابهم المقدس (الفيدا) ونشأ عند الإغريق متأثرًا بفلسفتهم، ونشأ عند العرب من أجل المحافظة على القرآن الكريم، وفي الغرب أسدل الستار عن منطق أرسطو وفلسفة الإغريق بانبثاق عصر النهضة، وظهرت العلوم التجريبية، وتسابق علماء اللغة للاستفادة من هذه العلوم، فنبعت أفكار لـ(شلايشر) في ضوء نظرية دارون مفادها: أنَّ اللغة جهازٌ عضويٌّ، وكان النحويون الشبان حريصين أشد الحرص على أن يربطوا علم اللغة بالعلوم الطبيعية، ويجعلون للتطور اللغويّ قوانين ثابتة ثبات القوانين الطبيعية، الأمر الذي جعل (دوسوسير) ينتفع بعلم الاجتماع، واصطنع منهجًا لدراسة اللغة متأثرًا في دراسة الظواهر الاجتماعية، ومن ثم قرر(تشومسكي) أنَّ علم اللغة ما هو إلّا فرعٌ من فروع علم النفس الإدراكيّ([1]).

من هنا تبرز أهمية عرض مراحل التطور في علم اللغة، إذ إنَّ الباحث المعاصر حين يتتبع حركة التاريخ اللغويّ، وهي تمضي في سيرها تقفه على المشكلات التي اعترضته، والحلول التي قُدِمَتْ، والنظريات التي اعتنقت، والمناهج التي استُعملت، وفي هذا قال مونين: "...ربما كانت بُغية اللغويّ الشاب حين أقبل على تاريخ علم اللغة أن يطلع اطلاعًا واعيًا على هذا الماضي المديد من الأخطاء والعقبات الكأداء، وأسباب الفشل التي عاناها الأسلاف، وهذا لا يقلُّ فائدة عن معرفة

[1] – ينظر: علم اللغة الحديث، د. محمد حسن عبد العزيز، ص/٢٤٧–٢٤٨.

نجاح المؤلفين وتقدمهم فيما يخصُّ نفسية الباحث وخلقه بوصفه عالمًا مقدرًا لواجباته"([1]). ومن هنا يمكن تقسيم دراسة تاريخ علم اللغة على ثلاث مراحل، تمثل كلُّ مرحلة مدة زمنية على وفق ثلاثة مباحث، هي:

[1] – تاريخ علم اللغة، جورج مونين ص/١١–١٢.

المبحث الأول / الدرس اللسانيّ القديم:

أولًا/ الهنود (اللغة السنسكريتيّة):

كان الهنود أول من تناولوا اللغة بالتأمل الواعي في طبيعتها، وبالدرس المنهجيّ لخصائصها، فظهر عندهم أول وصف وافٍ مبني على الملاحظة الدقيقة لا على النظريات.

وكان البحث اللغويّ عندهم وليد شعورٍ دينيٍّ راسخ يدفعهم إلى المحافظة على كتابهم المقدس (الفيدا) وإلى تلاوته تلاوة صحيحة، ومن ثم نظروا إلى لغة هذا الكتاب نظرة التقديس(اللغة السنسكريتية) ووسموها بالكمال، وكانت دراسة هذه اللغة والعناية بها لونًا من ألوان العبادة، ويرجع تاريخها إلى حوالي ١٢٠٠ق.م، ولكن ما لبث الهنود أن تخلو عن استعمالها في الحياة اليومية، وحلت محلها لغة تدعى (براكريت) وظلت اللغةُ السنسكريتيةِ لغةً رسميةً أدبيةً، تُستعمل في التراتيل الدينية، وفي الموضوعات العلمية والفنية، وهي بذلك تشبه اللغة اللاتينية القديمة في أوربا واللغة العربية الفصحى اليوم([1]).

كانت القواعد التي وضعها الهنود لهذه اللغة غير مُدوَّنة، يتوارثها الباحثون جيلًا بعد جيلٍ، إلى أن ألف (بانيني – القرن الخامس أو الرابع ق.م) إمام النحاة الهنود فيها كتابًا سماه (المُثمّن) يقول عنه (مونين): لا نجد له مثيلًا في ذلك التاريخ سواء في مصر أو في سومر أم عند اليونان([2]). ويعني كتاب (المُثَمَّن) ذو الثمانية أجزاء، وتضم هذه الأجزاء أربعة آلاف قاعدة منظومة بلغت من الدقة مبلغ المعادلات الرياضية، وهي – مع دقتها وإيجازها – استوعبت اللغة السنسكريتية استيعابًا وافيًا، حتى وصفها (بلومفيلد) بأنَّها من ابرز مظاهر الذكاء الإنسانيّ على الرغم من تاريخها الغابر(٣٥٠–٢٥٠ق.م) فهي تصف – بكلِّ دقةٍ وتفصيلٍ – كلَّ ما يتصل باللغة السنسكريتية من الاشتقاق والتصريف والتركيب، وكلَّ الخصائص النحوية للمتحدث باللغة([3]).

عالج كتاب المُثَمَّن القضايا الصوتية والصرفية والنحوية في أجزائه الثمانية وعلى وفق ما يأتي:

١- الجزء الأول: ضمَّ تعريفات عامة وقواعد للشرح، ويعالج مشكلات صوتية متنوعة.

[1] – ينظر: المصدر السابق، ص/٦٤.

[2] – ينظر:المصدر السابق، ص/٦٥.

3- bloomfield, ganguage p.11.

٢- الجزء الثاني: ضمَّ موضوعات الإبدال والتصريف وقواعد الجنس(المذكر والمؤنث) والعدد.

٣- الجزء الثالث: ضمَّ موضوع اللواحق الأساسية.

٤- الجزءان الرابع والخامس: ضمَّا اللواحق التي يمكن إضافتها للأصل غير الفعليّ مُكونة جذرًا غير أساسيّ ولواحق تصريفية.

٥- الجزءان السادس والسابع: ضمّا بحوثًا صوتية وصرفية.

٦- الجزء الأخير: ضمَّ موضوعات متنوعة من النحو([١]).

منهجية (بانيني) الصوتية:

قسَّم (بانيني) الأصوات على أربعة أقسام، هي الحركات ومنها: الفتحة والضمة والكسرة والسواكن كالباء والتاء والدال... وغيرها وسواكن الصفير كالسين والشين، وأنصاف الحركات وهي عنده: الياء والراء واللام.

ورتَّب الأصوات ترتيبًا مخرجيًا بدأه بأعمقها مخرجًا، وتدرج بالصعود حتى وصل بها إلى الشفتين، ثم حدد مجاري الأصوات، وعلى أساسها استعرض الأصوات الانحباسية والاحتكاكية والمنطلقة(الحركات)...وسواها. ثم بيّن مخارج الأصوات وقسمها تبعًا لتلك المخارج: (شفوية وأسنانية...وغيرها). تعرض لعددٍ من خصائص الأصوات ومن تنتجه من ظواهر صوتية كالغنة الأنفية والنبر، والحركات طويلها وقصيرها، بسيطها ومركبها([٢]).

منهجيته في الصرف والنحو:

قسَّم الكلام على قسمين، هما:(الأفعال) و(والأسماء والحروف) وذلك على أساس ما يلحق الكلمة من زوائد في نهايتها. ومن الطريف أنَّه تنبه إلى ما يلحق أصوات الكلمة من تغيير نتيجة اتصالها بهذه الزوائد، ومثل ذلك في العربية ما يُعرف بقلب تاء الافتعال طاءً حين يكون فاء الكلمة صوتًا مفخمًا نحو: اصطبر. وكذلك ابتدع (بانيني) مفهوم الصفر اللغويّ، وهو ما يماثل في العربية

[١] – ينظر: البحث اللغويّ عند العرب، ص/٢٣٦.

[٢] – ينظر: أئمة النحاة في التاريخ، د.محمد محمود غالي، ص/٩٤-٩٥.

من تأنيث الفعل الماضي عندما تلحقه تاء التأنيث الساكنة، وتذكيره حين خلوه منها، وبهذا يتعرف الجنس بأحد أمرين: تاء التأنيث، أو خلوه منها()[١].

ومن المفاهيم اللغوية التي أظهرها (بانيني) أيضًا مفهوم الجذر اللغويّ وما يلحق به من حركات وأدوات، وما يعتريه من صور مختلفة من التصرف، على نحو ما هو معروف في العربية، فكاتب ومكتوب وكتب وكاتب...وسواها، يجمعها جذرٌ لغويٌّ واحد من السواكن: (ك،ت،ب) وبإضافة الحركات أو حروف الزيادة إلى الجذر اللغويّ تتنوع الصيغ وتختلف المعاني. وبهذا " أمكن للعلماء أن يبحثوا بحثًا لغويًا صرفًا في تكوين الكلمات، وحل هذا محل الثرثرة المسماة بالدراسات الاشتقاقية، التي شغلت أوربا أكثر من ألفي عام. إنَّ اكتشاف تلك المفاهيم – بعد دراسة السنسكريتية – كان نقطة الانطلاق لدراسةٍ علميةٍ في الاشتقاق ضمن نطاق القواعد المقارنة "([٢]).

أما منهجية (بانيني) النحوية فقد وصفها أحد علماء الألسنية الهندية المحدثين بأنَّها طريقة رياضية كلية تأخذ من أصحاب النحو الحديث اهتمامهم بسياق الكلام، وترتيب الكلمات بالجملة، كما تأخذ من غيرهم اهتمامهم بتتبع الكلمة في صيغها المختلفة من اسمٍ أو ضميرٍ أو أداةٍ، شارحًا ما يعتريها من تغييرٍ صوتيٍّ وصرفيٍّ. ثم حدد هذا العالم مكانها من المناهج المعاصرة قائلًا: " قد يسميها بعض المحدثين الطريقة الظاهرية؛ لأنَّها تدرس اللسان كظاهرة إنسانية متكاملة phenomenon، وقد يسمي بعضهم هذا المذهب التحويليّة التي تتبعها المدرسة التحويلية، وعلى رأسها تشومسكي "([٣]).

وممّا ينبغي الإشارة إليه أنَّ أول ترجمة ظهرت لكتاب(المُثَمَّن) بين عامي(١٨١٥–١٨٤٠م) قام بها (بوتلينج) وقد أحدثت هذه الترجمة آثارًا عميقة في التفكير اللغويّ الأوربيّ، وبخاصة في القرن التاسع عشر، فـ(بلومفيلد) – مثلًا– يرى أنَّ النحو الهنديّ قد أطْلَعَ الأوربيين ولأول مرة على

[١] – ينظر :تاريخ علم اللغة، مونين، ص/٦٩.

[٢] – المصدر السابق، ص/٦٨.

[٣] – أئمة النحاة في التاريخ ، ص/١٠١.

وصفٍ كاملٍ دقيقٍ للغةِ، يعتمد على الملاحظة لا على النظرية، فضلًا عن ذلك أنَّ اكتشاف اللغة السنسكريتية قد جعل من الممكن عقد دراسة مقارنة بين اللغات([1]).

في حين أشار اللغويّ (فولرز) إلى نقاط التماس بين (بانيني) والعلوم الصوتية اللغوية التي أنشأها الجيل الأول من النحويين العرب كالخليل مثلًا([2]). ولم يغفل عبد الرحمن أيوب عن وجود تأثيرًا هندي في المنهج والتبويب في كتاب سيبويه، ويتمثل ذلك في العناية بدراسة الأصوات ومخارجها وعدم الاهتمام بالنظريات والتقسيمات العقلية([3]). وثمة باحثون آخرون ينكرون هذا التأثير أو يقللون من شأنه، ويرون أنَّ التفكير اللغويّ عند العرب من نِتاج العقلية العربية حسب.

ثانيًا/ الإغريق (اللغة اليونانيّة):

لقد عُرِفَ عن الإغريق عنايتهم الشديدة بدراسة(اللغة اليونانيّة) وقد بحثوا بجد ومثابرة في أصولها وتاريخها، وفصَّلوا القول في بنيتها، وإليهم يعود الفضل في كثيرٍ من معارفنا اللغوية، بيد أنَّ هذه العناية قد صرفتهم عن دراسة اللغات الأجنبية، وفي ذلك يقول أحد الباحثين: " إنَّ الإغريق أعتنوا ببنية اللغة ونشأتها أكثر من عنايتهم بتطور اللغات وتنوعها "([4]) وقد أطلقوا لفظة(برابرة) على الذين لا يتكلمون اليونانية، وهذه الكلمة تشير بالأصل إلى صراخ الطيور([5]).

ومن ابرز نِتاج اللغويين الإغريق محاورات (أفلاطون) التي تُظهر لنا نقاش لغويّ، له طابعه الفلسفيّ بين متحاورين هما: (كراتيلاس) و(هرموجينس)، يدور حوارهما في طبيعة العلاقة بين الأشياء والألفاظ التي تدلُّ عليها، أهي علاقةٌ طبيعية ضرورية أم علاقة عرفية واتفاق بين الناس. يرى(كراتيلاس) أنَّ اسم الشيء ما هو إلّا نتيجة لطبيعة الشيء المُسَمَّى، وينبغي أن يكون البناء الصوتيّ انعكاسًا لبناء الشيءِ المُسَمَّى، ومن ثم فالأسماء ليست رموزًا للأشياء، بل هي جزءٌ لا يتجزأ من جوهر المُسَمَّى، في حين يدعي (هرموجينس) أنَّ الألفاظ رموزٌ نستعملها في التعبير عن

2- bloomfield, language p,11.

[2] – ينظر: علم اللغة الحديث، د. محمد حسن عبد العزيز، ص/٢٥٤.

[3] – ينظر: التفكير اللغويّ عند العرب، د.عبد الرحمن أيوب، ص/١٣٤–١٣٥.

[4] – لغات البشر، ماريو باي، ص/٨.

[5] – ينظر: علم اللغة الحديث ،ص/٢٥٥.

الأشياء، والعلاقة بين الألفاظ والأشياء علاقة عرفية قائمة على اتفاق بين المتحدثين باللغة، وينبني على هذا أن يحدث اختلاف بين في معاني الألفاظ متى حدث اختلاف في هذا الاتفاق([1]).

وقد كان هذا الحوار بدايةً لجدلٍ لا يهدأ، استمر زهاء قرنٍ بين مدرسة (الشذوذيين) ويتزعمها (كراتيس) الذي يرى أنَّ اللغة فطرية إنسانية لا تخضع للقواعد والقوانين المطردة، ومدرسة (القياسيين) ويتزعمها (أرستراخوس) الذي يرى أنَّ اللغة أمرٌ طبيعيٌّ، وهي لذلك منتظمة ومنطقية، أي أنَّها نظامٌ مترابط تحكمه قواعد وقوانين مطردة([2]).

ويُعرف أفلاطون الجملة logos بأنَّها تعبيرٌ عن أفكارنا بوساطة الأسماء والأفعال، والاسم والفعل عنده هما العنصران الأساسيان فيها، ويُعرف الاسم بأنَّه اسم فاعل الحدث، ويُعرف الفعل بأنَّه اسم الحدث.

أما أرسطو فقد قال بالعلاقة العرفية بين الألفاظ والأشياء، وهذا القول هو ما يرجحه اللغويون المعاصرون منذ (سوسير) وإلى اليوم، إذ إنَّ اللغة في نظره نظام وضعيّ، وإنَّها تخضع لقوانين ثابتة، وهذه القوانين عندهم قريبة ممّا نسميه اليوم بـ(القوانين الصوتية)([3]).

كانت لأرسطو في اللغة نظرةٌ عامةٌ، حيث وضع لها مستويات مختلفة يمكن على أساسها أنْ تُدرس اللغة، وأن تتميز أشكال الكلمات والجمل، وأن تتحدد معاني الكلمات في حال إفرادها وتركيبها، وأن تُذكر الفروق بين أنماطها المنطوقةِ والمكتوبةِ. ويعود الفضل لأرسطو في إرساء أسس تحليل النحو مع نظرية في بنية العبارة المؤلفة من قطبين هما: المسند والمسند إليه([4]). ومن ذلك يتبيّن لنا معنى الجملة عنده أثباتًا أو نفيًا بالإسناد فحين نقول: زيدٌ يلعبُ. يتبيّن أنَّ المنطوق السابق يتألف من عنصرين هما: الاسم المسند إليه، والفعل المسند، وكلٌّ واحدٍ منهما له معنى في ذاته، ويتبيّن هذا المعنى بالإسناد، أي حين نُسند حدث اللعب إلى زيدٍ([5]).

1- dinneen,an intoroduction to general linguistics, p.p.74-75.

[2] – ينظر: لغات البشر، ص/٩.

[3] – ينظر: اللغة والتطور، ص/١١.

[4] – ينظر: تاريخ علم اللغة، ص/٩٠–٩١.

[5] – ينظر: أرسطو: ماجد فخري، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م، ص/١٤٤.

وضع أرسطو عدة تعريفات لمصطلحات لغوية، **منها:** أنَّ الاسم لفظٌ مفردٌ يدلُّ على معنىً بالاصطلاح، ولا يدلُّ على زمنٍ ولا يفيد أي جزءٍ من أجزائه معنىً على انفراد، فكلمة (أرنب) مثلًا تدلُّ على معنىً عرفيّ متفق عليه بين المتحدثين بالعربية، ولا يدلُّ المقطع (أر) منفردًا على معنىً. **ومنها:** أنَّ الفعل لفظٌ مفيدٌ يدلُّ على حدثٍ، وليس لأي جزءٍ من أجزائه معنىً قط، وهو أبدًا يدلُّ على معنىً يُسْنَدُ إلى شيءٍ ما، فكلمة (الضرب) اسم؛ لأنَّها لا تدلُّ على زمنٍ. أما كلمة (يضرب) ففعلٌ، إذ إنَّها تدلُّ على حدثٍ حاصل الآن على وجه التخصيص.

أما الجانب الصوتيّ عند أرسطو فقد تحدث عن الأجزاء التي تتألف منها الكلمة والجملة، وتحدث أيضًا عن الجانب الدلاليّ فحدد مدلول الاسم والفعل والجملة، وعند حديثه عن الأصوات اليونانية فرَّق بين الأصوات الانفجارية والأصوات الاحتكاكية، وبين الأصوات المجهورة والأصوات المهموسة، وعند حديثه عن أقسام الكلام جعلها ثمانية وهي: (الاسم، والفعل، واسم الفاعل، وأداة التعريف، والضمير، وحروف الجر، والظرف، وأدوات العطف)([1]).

وقد قدر لهذا التقسيم أن انتقل إلى عددٍ من اللغات الأوربية من دون أن يحدث فيه سوى تغيراتٍ طفيفة جدًا، حتى أنَّ علماء الإسكندرية لم يفعلوا – على صعيد القواعد اللغوية – سوى التوسع في تلك الموضوعات التي أشار إليها كلٌّ من أفلاطون وأرسطو حول تصنيف الحروف، وأقسام الكلام، وتحليل حالات الإعراب وبنية العبارة، وأنَّ الفائدة الحقيقية لهذه المسائل أنَّها حفزَّت الفلاسفة الغربيين وبصورة مستمرة على النظر في شؤون اللغة([2]).

ثالثًا/ الرومان(اللغة اللاتينية):

لم يكن للرومان فضلٌ كبيرٌ في تاريخ علم اللغة إذا أخذنا بالحُسبان الجدة والابتكار، وكلُّ ما يُذكر لهم من الفضل أنَّهم نقلوا إلينا تراث اليونان اللغويّ، وألف (بريشيان – القرن السادس ق.م) كتابًا في (قواعد اللغة) يتكون من ثمانية عشر جزءًا، وهو صاحب التعريف الذائع للجملة: **(نظم من الكلام يدلُّ على معنىً كاملٍ)**([3]). وقد ألف (فارون – القرن الأول ق.م) كتابًا أسماه (اللغة

---

[1] – ينظر: أئمة النحاة في التاريخ، ص/٨٦–٨٧.

[2] – ينظر: تاريخ علم اللغة، ص/٩١.

[3] – ينظر:علم اللغة الحديث، ص/٢٥٩.

اللاتينية) قسَّم فيه الكلام أربعة أقسام مُخالفًا بذلك التقسيمات المعروفة في عصره. وألف (كونيليان– القرن الأول الميلاديّ) كتابًا في (فن الخطابة) ضمَّنه موجزًا في قواعد اللغة اللاتينية، وأصبحت هذه الكتب مرجع قواعد اللغات الأوربية جميعًا في هذه القرون([١]).

والجدير بالذكر أنَّ اللغة الدارجة في الحياة اليومية كانت تختلف عن اللغة الرسميّة، وعمّا تنادي به القوانين النحوية، وفي ذلك قال ماريوباي: " وقد قام كلٌّ من الرومان والإغريق بكتابة قواعد للغتين اليونانية واللاتينية، وكانت كلّها تتحدث عمّا ينبغي أن تكون بدلًا من وصف ما هو كائن، فحاولوا أن يخضعوا اللغة لقوانين وضعية، مع أنَّ اللغة الدارجة في ذلك الوقت كانت تختلف اختلافًا بيّنًا عن اللغة الفصحى، وعمّا تنادي به القوانين النحوية، وهذا الاختلاف ثابتٌ بالدليل الكتابيّ "([٢]).

إنَّ السمة الواضحة عند اللغويين الرومان عدم اهتمامهم باللغات الأجنبية، وهم بذلك قد تابعوا اليونانيين، فلم ينتهزوا فرصةَ إجراءِ دراسات مقارنة بين اللغتين الإغريقية واللاتينية، وإنَّما وجد في تراثهم اللغويّ ملاحظاتٍ قليلة لا غناء فيها، بل إنَّ موضوع التطور اللغويّ لم يشغل بالهم اللهم إلّا ملاحظات يسيرة تتصل باللهجات المحلية التي تعيش إلى جوار اللغة اليونانية أو اللاتينية([٣]).

رابعًا/ العصر الوسيط (من القرن الرابع الميلاديّ _ القرن الرابع عشر الميلاديّ):

في هذه الحقب الطويلة انتشرت المسيحية في شعوبٍ وثنيةٍ، إذ قام المبشرون بها بترجمة النصوص الدينية كالتوراة والإنجيل إلى لغات هذه الشعوب، ولم تكن هذه الشعوب تعرف الكتابة، ممّا حدا بهؤلاء المبشرين أن يستحدثوا لها أبجديات كالأبجديات الكلتية والجرمانية، وكان المتوقع أن يؤدي هذا النشاط إلى تقدم حقيقي في مجال التحليل الصوتيّ، ولكن شيئًا من هذا لم يحدث، وكلُّ ما حدث هو ظهور كتيبات تساعد الحجاج والمسافرين والجنود على التفاهم مع الأجانب([٤]).

---

[١] – ينظر :تاريخ علم اللغة، ص/٨٨–٨٩. وأئمة النحاة في التاريخ، ص/٨٦–٨٧.

[٢] – لغات البشر، ص/٣.

[٣] – ينظر: المصدر نفسه، ص/٣. وتاريخ علم اللغة، ص/٨٩.

[٤]– ينظر: تاريخ علم اللغة، ص/١٠٤.

ولم تخرج كتب القواعد التي انتشرت آنذاك عمّا ذكره (دونات وبريشيان)، وكانت كلها تدرس قواعد اللاتينية، أما كتب القواعد التي تدرس اللغات الأوربية الأخرى فقد تأخر ظهورها، لقد كانت اللاتينية وحدها هي التي تستحق أن تكون لغة، بل إنَّ علماء هذا العصر وطلاب العلم كانت عنايتهم موجهة إلى اللاتينية القديمة كما تظهر بالكتب، ولم نلحظ إلّا اهتمامًا ضئيلًا بصور الكلام المنطوق، لقد كان هؤلاء يرون أنَّ اللغات الأوربية لا ترقى إلى مرتبة الفن والعلم، يعنون بذلك العلم الثابت، أي علم القواعد، أما اللاتينية فقد ضُبِطَتْ قواعدها وثُبِتَتْ منذ أكثر من ألف عام، وخلال العصر الوسيط كلّه كانت كلمة(grammar) تعني اللغة اللاتينية القديمة([1]).

وكانت اللاتينية في أثناء هذه الحقبة الطويلة من الزمن تتطور من شكلها القديم إلى أشكالها التي نعرفها اليوم باللغات الرومانسية، ومع ذلك لم يتنبه العلماء إلى هذا التطور، وظلوا ملتزمين بتقاليد الكتابة التي تمثل اللاتينية القديمة([2]).

وقد عُنِي (دانتي) – وهي عناية غريبة في عصره – بدراسة اللهجات الإيطالية في كتابه: (بلاغة العوام) وقام بمحاولة جادة في مجال المقارنة بين اللغات، واستنتج بأنَّ اللغة الإيطالية وأخواتها من اللغات الرومانسية ترجع إلى أصلٍ لاتيني([3]).

وقد شاع في هذه العصور النظرية التي تستند إلى تصور يهوديّ– مسيحيّ، والتي تعتقد أنَّ العبرية هي أم اللغات الإنسانية جميعًا، وربما كانت هذه الفكرة من الأسباب التي صرفت الأذهان عن عقد المقارنات بين اللغات على أساس علميّ واقعيّ([4]).

خامسًا/ الدرس اللسانيّ عند العرب:

كانت نشأة العلوم العربية أثرًا من آثار الإسلام، فلم يُعرف عن العرب قبل الإسلام جهدًا يذكر في دراسة لغتهم، فظهر علم النحو ليضع القواعد التي تصون المتكلم عن الخطأ في الإعراب الذي

[1] – ينظر: المصدر نفسه، ص/١٠٩.

2 - see:bloomfield, language p.p.6,7.

[3] – لغات البشر، ص/٤.

[4] – ينظر: علم اللغة الحديث، ص/٢٦٢.

كان قد بدأ ظهوره بانتشار الإسلام بين شعوب غير عربية، كما ظهرت جهود علماء اللغة في تقييد ألفاظ العربية وضبط شكلها وتحديد معانيها.

أخذت ظاهرة لغوية غريبة تتفشى في هيكل اللسان العربي ، شكّلت خطراً كبيراً على نسقه البنائي المثالي ، فعملت هذه الظاهرة على تحريك بنية اللغة و العدول بأغلب مستوياتها . ولاسيما النطقية منها . عن المسار القاعدي الذي تعارف عليه العرب في تخاطباتهم و مكاتباتهم.

وعرف علماء العربية هذه الظاهرة بـ(ظاهرة اللحن)، وحاولوا حدّها و تحديد ملامحها المعرفية ليستطيعوا وضع العلاج الأمثل لها، فعرفت بأنّها: " عيب لساني يقوم على تحريف الكلام عن قواعد الصرف و النحو، كما يقوم على مخالفة النطق الفصيح و اللفظ السليم. من أبرز حالاته: استبدال كلمة بأخرى، نحو: (افتحوا سيوفكم)، بدل (سلّوا سيوفكم)، و العجز عن لفظ الحروف كتحويل (الراء) إلى (ياء)، نحو: شيّف أي شرّف أو العجز عن لفظ الكلمات، أو عن تهجيتها، أو الخطأ في تحريك بعض الحروف بغير حركتها الأصلية، أو الخطأ في إلزام قواعد الصرف والنحو "[١].

ومن المعروف أنّ اللغة العربية تتكون من مستويات معينة، تعمل على تشكيل هيكلها، وتساعد على تسهيل تداولها بين الناطقين بها، وقد حصر علماء اللغة هذه المستويات في ثلاثة هي:

أولًا/ المستوى النطقيّ (الأصوات): لم يدرس العلماء العرب أصوات العربية دراسة مستقلة إلّا حديثًا، وقد تناولها قديمًا مختلطة بغيرها من البحوث النحويّة، أو في مقدمات معجماتهم، كالمقدمة التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيديّ (١٠٠ – ١٧٥هـ) لمعجمه (العين) الذي رتبه على وفق مخارج الحروف، وفقد بين في مقدمته هذه أنَّ حروف العربية تسعة وعشرين حرفًا، ثم مضى يحدد مخارج هذه الحروف حرفًا حرفًا.

ثم جاء سيبويه تلميذ الخليل فتعرض للأصوات في نهاية كتابه: (الكتاب) مرتبًا الحروف العربية ترتيبًا مخالفًا لترتيب الخليل، ثم حدد صفة كلِّ حرفٍ وبين مخرجه، وأوضح مجراه بدقة عظيمة، وكذلك فعل النحاة من بعده حين عالجوا موضوع الإدغام.

[١]– المعجم المفصل في علوم العربية " الألسنيات " : ٤٩٧/١ .

وكان لعلماء التجويد والقراءات القرآنية جهود كبيرة في مجال البحث الصوتيّ، فقد اشتملت كتب التجويد مثلًا على فصول في مخارج الحروف وطريقة نطقها وصفاتها كما فعل (ابن الجزريّ) في كتابه: (النشر في القراءات العشر).

ولعلماء البلاغة والأدب ملاحظات صوتية مفيدة حين كانوا يتحدثون عن فصاحة الكلمة، ومن هؤلاء (الباقلانيّ) في كتابه (إعجاز القرآن) وابن سنان في كتابه: (سر الفصاحة)، والجاحظ في كتابه: (البيان والتبيين).

ولابن سينا الفيلسوف رسالة طريفة في الأصوات هي: (أسباب حدوث الحروف) بيّن فيها سبب حدوث الأصوات بعامة بوصفها (ظاهرة طبيعية) ثم تحدث باستفاضة عن أصوات العربية ووصفها وصفًا دقيقًا مفصلًا، ثم تحدث عن الأصوات الشبيهة بأصوات العربية في اللهجات العربية وفي اللغات الأخرى، وفي نهاية الرسالة قارن بين أصوات العربية وغيرها من أصوات اللغات الأخرى.

وألف (ابن جني) كتابًا في الأصوات هو: (سر صناعة الإعراب) أجمل فيه ما يأتي:

١ – بيان صفاتها العامة وتقسيمها على وفق اعتبارات مختلفة.

٢ – عدد حروف المعجم وترتيبها ووصف مخارجها.

٣ – ما يُعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير.

٤– نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد ورجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج.

ثانيًا/ المستوى التركيبيّ (النحو والصرف): يرى البعض أنَّ النحو العربي نشأ متأثرًا بالنحو السريانيّ، إذ كانت السريانية منتشرة في المناطق المجاورة للبيئة العربية، ويميل دارسون آخرون إلى أنَّ النحو العربيّ نشأ عربيًا أصيلًا، وتبرز رواية نسبة نشأة النحو العربيّ إلى أبي الأسود الدوليّ بتكليفٍ من الإمام علي(عليه السلام) الذي وضع بعض أبواب النحو في رقعةٍ، وحدد فيها أقسام الكلام من اسمٍ، وفعلٍ، وحرفٍ، ثم دفعها إلى أبي الأسود، الذي نحا ذلك النحو فسمي نحوًا، ثم وضع التنقيط ليضبط أواخر الكلمات في القرآن الكريم، وتمم عمل أبي الأسود (نصر بن عاصم)

الذي أضاف نقط الإعجام كي يميز الحروف بعضها من بعض، وبذلك أُحيط القرآن بسياج قوي يحميه من اللحن.

ثم برز النحو علمًا على أيدي تلامذة أبي الأسود الدوليّ، وعلى رأسهم القرَّاء ومنهم: عيسى بن عمر، وأبو عمر بن العلاء، وعبد الله بن إسحق، والخليل بن أحمد الفراهيديّ... وهؤلاء أول مَن روى عنهم سيبويه في (الكتاب).

وقد اصطلح المؤرخون على أن يتحدثوا عن هؤلاء النحاة الأوائل ومَن جاء بعدهم في إطار مدرستين لغويتين هما: (البصريّة) و(الكوفيّة)، وتعرَّف **المدرسة** بأنَّها تجمّعٌ معرفيٌّ يتأسّس على تآلف فكريّ مُعيّنن، يدعو إلى تحقيق وظيفة محددة في ضوء إتباع سبيل معين، ونوجز الحديث عن هاتين المدرستين بما يأتي:

١ – **مدرسة البصرة:** ويتزعم هذه المدرسة أبو الأسود وتلامذته الذين أشرنا إليهم آنفًا، ويُعدُّ سيبويه (ت/١٨٠هـ) أول مَن ألف كتابًا بالنحو نقل فيه الآراء والتعليلات النحويّة التي توضح أصول النحو، وأهم مصطلحاته التي تمثل أصول المدرسة البصريّة. وقد بلغ افتتان العلماء بكتاب سيبويه حتى وسموه بـ(قرآن النحو) وتلقفته أيدي الدارسين والباحثين وأخذوا في درسه جيلًا بعد جيلٍ، فكان مدار البحث منذ ظهوره حتى اليوم.

٢ – **مدرسة الكوفة:** نشأت مدرسة الكوفة متأخرة قليلًا عن مدرسة البصرة، وقد أخذ علماؤها النحو عن البصريين، ويروى أنَّ أبا جعفر الرؤاسيّ – مؤسس هذه المدرسة – أخذ النحو عن عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء. ومن أعلام هذه المدرسة (الكسائيّ) و(الفراء)، فإليهما يرجع الفضل الحقيقي في وضع النحو الكوفيّ، ففي كتاب (معاني القرآن) للفراء تتضح معالم المدرسة الكوفيّة في النحو على الرغم من أنَّه في الأصل كتابٌ في التفسير، إذ كانت يتخير من الآيات بحسب ترتيب السور ما يدير حولها مباحثه اللغويّة والنحويّة.

ثالثًا/ المستوى الدلاليّ (المعجميّ):

تتنوع المعجمات العربية وتتعدد مدارسها وتختلف مناهجها على نحوٍ رائع أدهش المستشرقين، يقول (فيشر): " إذا استثنينا الصين لا يوجد شعبٌ آخر يحق له الفخر بوفرة كتب علوم لغته، وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها بحسب أصول وقواعد غير العرب "([1]).

والمعجمات العربية قسمان:

١ – **معجمات الألفاظ:** وتترتب مادتها على أساس الشكل أو اللفظ، ويمكن وضعها في مدارس على النحو الآتي:

أ – **مدرسة الترتيب المخرجيّ** الذي تترتب فيه الكلمات بحسب المخرج، ويطلق عليه بعض الدارسين مدرسة (التقليبات) وقد أبتكر الخليل بن أحمد هذا الترتيب، ووضع على أساسه أول معجم عربي يضم بين دفتيه ألفاظ العربية، وهو معجم (العين)، وسار على نهجه الأزهريّ صاحب معجم (تهذيب اللغة)، والقالي صاحب معجم (البارع)، وابن سيده صاحب معجم (المحكم والمحيط الأعظم).

ب – **ترتيب الكلمات على وفق حرفها الأخير**، وقد ابتدع هذا الترتيب الجوهريّ في معجمه (الصحاح) الذي حاز شهرة واسعة لسهولة استعماله ووضوح منهجه، واتبعه ابن منظور في معجمه (لسان العرب)، والفيروز آبادي في معجمه (القاموس المحيط)، والزبيديّ في معجمه (تاج العروس).

ت – **مدرسة الترتيب بحسب الأبنية**، وقد ظهر أول معجم بهذا الترتيب هو معجم (ديوان العرب) لأبي إسحق بن إبراهيم الفارابيّ في القرن الرابع الهجريّ، وتبعه على ذلك ابن القوطية في معجمه (الأفعال)، وابن القطاع في معجمه (الأفعال) أيضًا.

٢ – **معجمات المعاني:** وتترتب مادتها على أساس المعنى بحيث تجتمع ألفاظ موضوعٍ مُعيّن في بابٍ بعينه، فكان العرب قبل ظهور معجم (العين) يضمون ما يجمعونه من ألسنة العرب في رسائل

[1] – علم اللغة الحديث، ص/٢٦٩.

في موضوعات معينة، كـ(الإبل) و(الخيل) و(السلاح)... وسواها، ومن أضخم معجمات المعاني وأوفاها معجم (المخصص) لابن سيده.

وقبل أن نختم هذا الحديث المقتضب عن الدرس اللساني العربيّ في نشأته ومراحل تطوره الأولى، لا بُدَّ من الإشارة إلى الكتب التي عُنيت باللغة وخصائصها بنحوٍ عام ومنها: (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها) لأحمد بن فارس، و(الخصائص) لابن جني، و(فقه اللغة وسر العربية) للثعالبيّ.

وتبعًا لهذا التصنيف حاول علماء العربية تأسيس حقول معرفية تضم مفردات هذه المستويات، غير أنَّ ظهور اللحن في العربية وخوف أولي الأمر على القرآن منه لم يكن وحده الذي دعاهم إلى وضع العلوم العربية، بل دعتهم إلى ذلك دواعٍ كثيرة، لقد توفرت لديهم رغبة شديدة في فهم القرآن الكريم وتعرف أسراره، ووجدت لدى المسلمين من غير العرب حاجة ملحة إلى تعلم العربية والتعبد بكتابها الخالد، وأنَّ العربية قد بدأت تحتك بلغاتٍ أخرى وتدخل في صراع معها وتأثر فيها وتتأثر بها، وبدأت العرب حينئذ ينظرون إلى لغتهم نظرة المتأمل الباحث، ومن هنا يمكن أن يقال أيضًا: إنَّ نشأة العلوم العربية كانت أثرًا من آثار نضج العقلية العربية واحتكاكها بالحضارات الأخرى والاستفادة منها([١]).

[١] – ينظر: المدارس النحويّة، د.شوقي ضيف، ص/١١-١٢.

المبحث الثاني

الدرس اللسانيّ الحديث

أولًا/ من عصر النهضة حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلاديّ:

اتسع نطاق العلاقات الدولية في هذه الحقب اتساعًا كبيرًا، وبتأثير ذلك أُنشئت معجمات وكتب مدرسية في اللغات الأجنبية، ثم ظهرت حركة الإصلاح الدينيّ التي وجهت الناس إلى دراسة اللغات العبرية والأرمية والسريانيّة، تلك اللغات التي حفظت كثيرًا من النصوص الدينية. ولما ظهرت المطبعة ظهرت معها مشكلة الكتابة، ممّا أسهم في تنمية الوعي بالظواهر الصوتية والعناية بوضع أبجديات جديدة أو بإصلاح الإملاء القديم([1]).

وقد سادت في عصر النهضة فكرةٌ مستمدةٌ من التوراة مفادها أنَّ اللغات الإنسانية كافة مصدرها واحد، وأنَّ العبرية هي هذا الأصل المشترك، لذلك كثرت البحوث التي ترمي إلى إثبات ذلك بعقد المقارنات بين العبرية واللغات الأخرى، ومن ابرز هذه البحوث بحث (كانيوس) الذي أذاع فكرة القرابة بين اللغات الساميّة، تلك القرابة التي اعترف بها اليهود والعرب على سواءٍ في العصر الوسيط.

ويرى مونين أنَّ الملاحظ على الآراء اللغويّة التي ظهرت في هذه المرحلة أنَّها لم تكن مستندة إلى أساسٍ لغويٍّ صحيح، إلَّا أنَّها ذو فائدة عظيمة، فقد أثارت بعض الأسئلة التي لم تُطرح من قبلُ، وكشفت عن بعض المشكلات التي ينبغي أن تتوجه إليها البحوث في المستقبل([2]).

وفي القرن السابع عشر وضع الراهبان (أرنولد) و(لانسلو) الأساس لما أسمياهُ (القواعد اللغويّة العامة) المعللة تعليلًا عقليًا، وكان معتمدهم في الوصول إلى هذه القواعد مقارنة اللغة الفرنسيّة باللغة الإيطاليّة، تلك المقارنة التي أحدثت تأثيرًا كبيرًا في تطور علم اللغة المعاصر، فقد وجد (تشومسكي) فيما بعد ضالته فيها، دعمًا لنظريته في القواعد التحويليّة([3]). وكذلك حفزت هذه المقارنة على تبني قضية اللغات العالمية المصطنعة، فقد سعى اللغويون إبان هذا القرن إلى إيجاد

---

[1] – ينظر: تاريخ علم اللغة، مونين، ص/١١٩–١٢٧.

[2] – ينظر: المصدر السابق.

[3] – ينظر: علم اللغة الحديث، ص/٢٨٠.

لغة فلسفيّة عامة تجمع بين مزايا التصنيف المنطقيّ لجميع المفاهيم مع تعبير مشترك عالميّ يتحقق ببعض الرموز، أو بأبجدية مصطنعة اصطناعًا([1]).

وفي القرن الثامن عشر ظهر (الاتجاه العقلانيّ) في دراسة اللغة، واستمر البحث النحويّ في هذا الاتجاه الذي أرسته مدرسة (بور رويال) والقائم على أنَّ اللغات جميعها تعبر عن أفكار، وأنَّ ثمة علاقة قوية بين الجملة في النحو والقضية في المنطق، وأنَّ تحليل الجملة ينبغي أن يقوم على أساسٍ واحد بغض النظر عن اللغة المعينة الخاضعة لهذا التحليل، ولهذا كانت تجري البحوث لوضع القواعد العامة التي تصلح لكلِّ اللغات، وفي هذه المرحلة ازدهرت الدراسات المقارنة.

أما البحوث التاريخيّة فقد غلبت عليها أيضًا النزعة العقلانيّة، وكان البحث في أصل اللغات هو مقصد الفلاسفة في تلك المرحلة، فظهرت كتابات لغوية متعددة بهذا الشأن، منها كتابات: (روسو، وآدم سميث، وهوبز، وكونداياك)، وأقيمت آراء هؤلاء على فروض تخمينيّة في علم النفس التوليديّ المعروف آنذاك أكثر من قيامها على تحقيقات تاريخيّة، وسجلت دراسات (لايبنتز) خطوة مهمة في دحض النظرية السائدة في حينها والقائلة بأنَّ العبرية هي أم اللغات، وبدأ يبني تلك اللغة التي يعتقد أنها كانت سابقة لكلِّ اللغات المعروفة، وبذلك أخذ البحث التاريخيّ يأخذ مكانه شيئًا فشيئًا، ممَّا عُدَّ تبشيرًا بظهور علم القواعد التاريخيّ والمقارن في مطلع القرن التاسع عشر([2]).

وفي القرن التاسع عشر شهد الدرس اللسانيّ الغربيّ تطورًا ملحوظًا في المفاهيم الحديثة النظرية والمنهجية لعلم اللغة التاريخيّ والمقارن، وتركز اهتمام الباحثين في دراسة اللغات (الهندوأوربية) بعد أن اكتشف العالم اللغويّ وليم جونز (اللغة السنسكريتية) الذي نبأ بهذا الاكتشاف العظيم، وفي ذلك يقول مونين: " إنَّ جونز هو الذي أهدى السنسكريتية إلى أوربا وطرح المسألة طرحًا مباشرًا في البحث الذي قدمه للجمعية الآسيوية التي أسسها في البنغال بقوله: إنَّ للغة السنسكريتية، مهما كانت قدمها، بنيةٌ رائعة أكمل من الإغريقيّة وأغنى من اللاتينية، وهي تنم عن ثقافة أرقى من ثقافة هاتين اللغتين،لكنها مع ذلك تتصل بهما بصلة وثيقة من القرابة سواء من ناحية جذور الأفعال أم

[1] – ينظر: تاريخ علم اللغة، مونين، ص/١٣١–١٣٧.

[2] – ينظر: علم اللغة الحديث، ص/٢٨١.

من ناحية الصيغ النحويّة، بحيث لا يمكن أن نعزو هذه القرابة إلى مجرد الصدفة، ولا يسع أي لغويّ بعد تفحصه هذه اللغات الثلاث إلّا أن يقرَّ بأنَّها تتفرع من أصلٍ مشترك زال من الوجود "([1]).

إنَّ اكتشاف اللغة السنسكريتية جعل اللغويين الألمان، مثل: (شليجل، وهمبولدت، وبوب) يعتقدون بأنَّ نحو اللغات متماثل في جوهره مختلف في مظهره، وثبتت الفكرة التي مؤداها، أنَّ تطور اللغات كان تحريفات متعاقبة حدثت بمرور الزمن، فاللاتينية مثلًا كانت تحريفًا لليونانية، أما السنسكريتية، فقد كانت أكثر كمالًا من اليونانية، الأمر الذي جعل من الممكن دراسة اللغات الشرقية والغربية، التي قد تكشف عمّا بينها من علاقات قرابة – relationship، ونقصد بعلاقة القرابة وجود صلات قرابة تاريخية بين اللغتين تطورتا من لغة أقدم منهما، اي انهما ينتميان إلى عائلة لغويّة واحدة. ([2]).

وفي عام ١٨١٦م نشأة مصطلح (القواعد المقارنة) على يد (ف. شليجل) لدراسة علاقات القرابة بين اللغات اللاتينية واليونانية والألمانية، والقواعد المقارنة في الأصل وسائل يستعملها علماء التشريح في التوصل إلى الحلقات الأولى من الكائنات في التاريخ الطبيعيّ، لذا يُعدُّ شليجل أول من وضع بذرة الدراسات المقارنة، بيد أنَّ العالم الدنيماركي (راسك ١٧٨٧ –١٨٣٢م) كان هو أول من جعل تلك الدراسات المقارنة قائمة على أسس ثابتة، أي ينبغي أن تستند تلك الدراسات إلى أسس نحوية، إذ قرر أنَّ التجارب أثبتت أنَّ التوافق بين المفردات لا يعول عليه دليلًا على الأصل المشترك أو العلاقة بين اللغات، بل إنَّ هذا التوافق قد يرجع إلى الافتراض أو الصدفة الخالصة، لذا فإنَّ أفضل طريق للمقارنة هو أن نعتمد على: (جذور اللغات، والتوافق الصوتيّ بين تلك الجذور)، وقد وضع (راسك) قوانين التحول الصوتي التي تخضع لها الحروف الصامتة في الجرمانية. ثم جاء (جريم ١٧٨٥–١٨٦٣م) مؤسس علم اللغة التاريخيّ([3])، فقابل بين الأصوات

[1] – تاريخ علم اللغة، مونين، ص/١٦٢.

2 – dinneen, an introduction to general linguistics, p.181.

[3] – يذهب عدد من الدارسين والباحثين إلى هذا القول، في حين أنّ باحثين آخرين يرون أنَّ (ماييه) هو مؤسس علم اللغة التاريخيّ، وأنَّ ظهور هذا العلم جاء بعد عام ١٨٧٠م، وهو أول مَن فرّق بين القواعد المقارنة وعلم اللغة التاريخيّ.(ينظر: علم اللغة الحديث، ص/٢٩٣).

المشتركة في اللاتينية واليونانية والسنسكريتية في ضوء قانون (التحولات الصوتية) الذي يُنسب إليه.

ثم جاء (بوب ١٧٩١ – ١٨٦٧م) ليقرر أنَّ اللغة السنسكريتية هي ليست اللغة الأصلية الأم التي تفرعت عنها اللغات الهندوأوربية، بل يعدها أقربها إلى هذه اللغة. ثم تابع (بوب) أبحاثه المقارنة طوال نصف قرن، هُدِيَ من خلالها إلى المنهج الوصفيّ في الدراسة، حين قال: " إنَّ اللغات التي نتناولها في بحوثنا قد درسناها لذاتها بوصفها غرضًا من الأغراض العلمية، ولم ندرسها كوسيلة من وسائل المعرفة "([1])، وهي عبارة تذكرنا بما قاله (دوسوسير) مؤسس علم اللسانيات الحديث في القرن العشرين: (تدرس اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها).

ومن العلماء أيضًا (شلايشر ١٨٢١– ١٨٦٨م) الذي يُعدُّ من أعظم العلماء تأثيرًا، وأكثرهم أهميةً في منتصف القرن التاسع عشر، متأثرًا بفلسفة (هيجل)، وبنظرية دارون التطورية، وبوصفه عالمًا طبيعيًا، يرى أنَّ اللغة جهاز عضويّ ينبغي أن يدرس على وفق مناهج العلوم الطبيعيّة، فهي من العلوم الطبيعيّة وليست من العلوم الإنسانية، ولا ظاهرة اجتماعيّة، وأنَّها قابلة للتطور، تنمو وتتطور ثم تنحل وتموت كأي كائنٍ عضويّ حي.

وفي عام ١٨٧٦م ظهرت جماعة النحويين الشبان (الجدد)، وهم جماعة من اللغويين التفوا حول أحد العلماء البارزين في (لايبزغ) وهو (كورتيوس) وكانت لهم اهتمامات في الموضوعات المقارنة، ومن ابرزهم: (بروكمان) و(أستهوف) ولكن ما لبثوا أن اختلفوا مع أستاذهم، وأصدروا مجلة لغوية تعبر عن آرائهم ومواقفهم المعارضة لكثيرٍ من أفكار معاصريهم. وقد أدت هذه المواقف المعارضة إلى نشوء حركة فكرية لغوية، وظهر في أعقابها عددٌ من الاتجاهات في البحث والتفكير كاستجابة مباشرة لما قالوه، وفي ذلك يقول (روبنز): " إنَّ نظريتنا اللغوية في معظمها وبخاصة نظريتنا في علم اللغة التاريخيّ ما كانت لتحمل شكلها الحالي لو لم تعتمد اعتمادًا على النحويين الجدد "([2])، الذين رغبوا في أن يجعلوا من علم اللغة التاريخيّ علمًا دقيقًا له مناهج العلوم الطبيعيّة، تلك العلوم

[1] – تاريخ علم اللغة، ص/١٨٣.

2 – robins. A short history of linguistics p.182.

التي حققت تقدمًا واضحًا في القرن التاسع عشر، أدت إلى ظهور البحوث والتقارير اللهجيّة ونشر الأطالس اللغويّة في ذلك العصر([١]).

ثانيًا/ الدرس اللسانيّ الحديث في القرن العشرين:

وضع (دوركايم الأسس النظرية لعلم الاجتماع وحدد الخطوات والقواعد التي ينبغي اتخاذها لدراسة موضوعاته في كتابه: (قواعد المنهج في علم الاجتماع)، وكان يريد دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية، ولكي تكون كذلك لا بُدَّ من تحديد مجالها تحديدًا واضحًا، وكان طريقه إلى ذلك أن يُعرِّف الظاهرة الاجتماعية موضوع هذا العلم.

ومن أهم القضايا التي أعلنها (دوركايم) وأثارت اعتراضات معاصريه أن قال بوجوب دراسة الظواهر الاجتماعية على أنَّها أشياء، فقد اعتقد هؤلاء أنَّه يريد أن يشبه حقائق العالم الاجتماعية بحقائق العالم الخارجيّ.

وقد ردَّ (دوركايم) على معارضيه وقرر أنَّه لا يقول بأنَّ الظواهر الاجتماعية أشياء مادية ولكنه يرى أنَّها جديرة بأن توصف بأنَّه أشياء كالظواهر الطبيعية، وذهب إلى القول بأنَّ: " الظاهرة الاجتماعية هي كلُّ ضربٍ من السلوك ثابتًا كان أم غير ثابتٍ يمكن أن يباشر نوعًا من القهر الخارجيّ على الأفراد، أو هي كلُّ سلوك يعم المجتمع بأسره وكان ذا وجود خاص مستقل عن الصور التي يتشكل بها في الحالات الفردية([٢]).

ثم نبّه (دوركايم) في أوائل القرن الماضي على أنَّ الظاهرة اللغويّة صنو الظاهرة الاجتماعيّة، يمكن أن تُرصد وتُلحَظ كما يَلحظ عالم الطبيعة (الشيء) ويتخذه موضوعاً لدراسته ([٣])، لذا يصح أنْ نقول: إنَّ أغلب مباحث علم اللغة ولد في أحضان علم الاجتماع، وكان صدى لمباحثه، التي أسبغ عليها (دوركايم) صفة العلم، ونقلها إلى مصافّ العلوم الطبيعية من حيث الموضوعية، وإتباع المنهج العلميّ في دراستها([٤]).

---

1 – see, robins... p,186.

[٢] – قواعد المنهج في علم الاجتماع، ص/٦٧–٦٨.

[٣] – ينظر: النحو العربي والدرس الحديث، /٢٦، دار النهضة العربية ،١٩٨٩م .

[٤]– ينظر : مناهج البحث اللغويّ بين التراث والمعاصرة /٤٩

ثم جاء سوسير متأثرًا بـ(دوركايم) فاتخذ اللغة موضوعًا لدراساتهِ، وأسس نظامًا معرفيًا متكاملًا ومتماسكًا، أصبحنا من طريقه نفرق بين اللغة(langue) والكلام(language) واللفظ (parole)، بعد أن كانت هذه المصطلحات غارقة في الغموض، ذلك أنَّ علماء النفس من أتباع المدرسة السلوكيّة كانوا لا يميزون بين اللغة والكلام، بل يعدون اللغة الكلام المنطوق فعلًا، وقد عدوا التفكير نوعًا من السلوك الداخليّ المنطوق، وتابعهم العالم اللغويّ النفسيّ سكينر(skinner)[١] الذي يرى أنَّ التفكير نوع من السلوك البشريّ، كالسلوك اللغويّ تمامًا، لذلك ذهب إلى عدم التمييز بين اللغة والكلام[٢]،أما (دوسوسير) الذي ميّز بين الكلام الإنسانيّ وهو(التحدث) و(اللسان) وهو اللغة المعيّنة، فقد حدد ميدان كلٍّ واحد منهما، فالكلام الإنسانيّ عنده له أشكال كثيرة غير متشابهة، تبعًا لمجالات مختلفة، فهو فيزيائيّ ونفسيّ وتشريحيّ في الوقت نفسه، ويتبع – فضلًا عن ذلك – المجال الفرديّ والمجال الجماعيّ، ولا ينتظم في فصيلة من العلاقات الإنسانية، لأنَّنا لا نعرف كيف اشتقت وحدته، لذلك يقال: إنَّ (الكلام الإنسانيّ) لا يمكن أنْ يكون موضوعًا لعلم اللغة؛ لأنَّهُ فرديّ، أما اللغة المعيّنة (اللسان) فهي التي تُدرس؛ لأنَّها اجتماعيّة.

---

[1] ١– سكينر (١٩٠٤ – ١٩٩٠) عالم نفس أمريكي، شغل درجة أستاذ في جامعة أوكسفورد لغاية وفاته (ينظر:معجم أعلام التربية والعلوم الإنسانية/١٢١) .

[٢] – ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، د.نايف خرما /٢١٦.

لذا قرر (دوسوسير) أنَّ اللغة المعيّنة (اللسان) جزءٌ اجتماعيّ من الكلام الإنسانيّ، مستقل عن الفرد لا يمكن أن يخلقها، ولا أن يغيرها بنفسه وحده، فهي تنشأ على أساس نوع من الاتفاق بين الجماعة[١]، لذا يمكننا أنْ نقول: إنَّ اللغة عند سوسير هي نظام، أما الكلام في منظوره؛ فنشاط، أو إنَّ اللغة " نظام من الرموز الصوتيّة المتفق عليها في البيئة اللغويّة الواحدة، وهي حصيلة الاستخدام المتكرر لهذه الرموز التي تؤدي المعاني الصوتيّة، أما الكلام فالكيفية الفردية للاستخدام اللغويّ "[٢]، وقد أوجز تمّام حسّان الفروق بين اللغة المعيّنة (اللسان) والكلام الإنسانيّ (التحدث) بقوله:" الكلام عمل واللغة حدود هذا العمل، والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك، والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط والكلام حركة واللغة مظاهر هذه الحركة، والكلام يُحسُّ بالسمع نطقاً والبصر كتابةً، واللغة تُفهم بالتأويل في الكلام، والكلام هو المنطوق وهو المدوّن، واللغة هي الموصوفة في كتب القواعد والمعجمات ونحوها، والكلام قد يكون عملًا فرديًا، ولكنَّ اللغة لا تكون إلَّا اجتماعيّة"[٣].

استطاع (دوسوسير) أن يحدد موضوع علم اللغة ودراسة اللغة بقوله في عبارة جامعة: "**إنَّ موضوع علم اللغة الصحيح والفريد، هو دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها** "([٤]). وهو يقصد بذلك أنَّ عالم اللغة يدرس اللغة كما هي، أو كما تظهر، فليس له أن يُغيّر في طبيعتها أو يدرس جوانب منها دون جوانب أخرى، لأنَّه يستحسن هذا الجانب أو ذاك، أي أنَّه يدرس اللغة لغرض الدراسة نفسها، يدرسها دراسة موضوعية تسعى إلى الكشف عن حقيقتها، فليس من موضوع دراسته أن يحقق غرضًا تعليميًا أو أية أغراض عملية أو تطبيقية، كما أنَّه لا يدرس اللغة بهدف ترقيتها أو تطويرها أو تصحيح جوانب منها، أو تعديل جوانب أخرى. ومعنى هذا أنَّ عمل عالم اللغة يقف عند حدود الوصف والتحليل والتفسير بطريقة علمية موضوعية. ومن هنا أخذت اللسانيات الحديثة تشق طريقها من حيث هي علم مثل بقية العلوم الأخرى، فالمنهجُ العلميُّ واحدٌ، وإن اختلفت طبيعة اللغة الإنسانية عن موضوع العلوم الطبيعية أو غيرها.

---

١ – ينظر : مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي ، بريجيته بارتشت /٥٦،ط١، ٢٠٠٤م.

٢ – علم اللغة العربية ، د.محمود حجازيّ /٢٦.

٣ – اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمّام حسّان/٩١،١٩٧٣م ،

4- De Saussure, op.cit, p.232.

غير أنَّ هذه الأصول والمبادئ التي أرساها (دوسوسير) لم تقف عند هذه الحدود، وإنما نشأت مدارس لغوية متعددة؛ طوّر بعضها من هذه الأصول، وغيَّر البعض الآخر من هذه الأصول. ومن هذه المدارس:

أولًا/ المدارس الأوربـيـة المشهورة:

١ – **مدرسة (براغ – praug school)** التي وضعت نظرية كاملة في التحليل الفنولوجيّ – phonology، ظهرت في أوربا، ومن ابرز روادها العالمان:(نيكولاي تروبتسكوي (١٨٩٠م–١٩٣٨م) – N.Trubetskoy) و(رومان ياكبسون(١٨٩٦م– ١٩٨٢م)– R.Jakobson) اللذان وضعا أصول علم اللغة البنيويّ–structural linguistics انطلاقًا من التحليل الفنولوجيّ للغة ولاسيما عند (تروبتسكوي) الذي أقام تصوره للفونيم– phoneme على أساس التفرقة بين (اللغة) و(الكلام) عند (دوسوسبر)، إذ إنَّ الفونيم ينتمي إلى مفهوم (اللغة)، أما الأصوات فتنتمي إلى مفهوم (الكلام).

وهذا يعني أنَّ (مدرسة براغ) قد فرقت بين علم الأصوات والفنولوجيا، على أساس أنَّ علم الأصوات يختصُّ بدراسة الأصوات ويحللها وهي منعزلة وظيفيًا أو مجردة عن غيرها من الأصوات، أي بغض النظر عن وظيفتها اللغوية ودورها في المعنى. أما الفنولوجيا، فهو العلم الذي يختصُّ بمعالجة الظواهر الصوتية بالنظر إلى وظيفتها داخل البنية اللغوية، وبناءً على ذلك حدد (بوتسكوي) مفهوم الفونيم بأنَّه النموذج الصوتيّ الذي يميّز الحدث الكلاميّ المعين– speech event من غيرِه([1]).

٢ – **مدرسة كوبنـهاجن**، وهي التي أسسها العالم اللغويّ الدنماركيّ (هلمسليف (ولدعام١٨٩٩م) – Hielmslev، وهو اسمٌ مشتقٌ من الكلمة اليونانية (glossa) التي تعني (اللسان) أو (اللغة)، وقد أُسست هذه المدرسة في أوربا على أصول رياضية mathematical صورية، احتيج للتعبير عنها إلى مصطلحاتٍ جديدة غير المصطلحات المعروفة المتداولة، بحيث كانت هذه المصطلحات من الغرابة والغموض ما جعلها سببًا في الحدِّ من انتشارها، ومن أشهر روادها (أتو يسبرسن (١٨٦٠م–١٩٤٣م) – Otto jespersen)([2]).

---

[1] –ينظر: دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص/٢٠–٢١.

[2] – وهو صاحب كتاب (اللغة بين الفرد والمجتمع) الذي ترجمه عام ١٩٥٤م عبد الرحمن أيوب، وقد أشار إلى هذه الترجمة وعلق عليها الدكتور محمود السعران. (ينظر: اللغة والمجتمع، د. محمود السعران، ص/١٦.)

وقد انطلق (بلمسليف) في نظريته من أصلين، هما:

الأول/ أنَّ اللغة ليس مادة Substanc، وإنما هي صورة أو شكل form.

والآخر/ أنَّ اللغات كافة تشترك في كونها تعبيرًا expression ثم محتوى Content([1]).

٣ – **مدرسة فيرث (١٨٩٠م–١٩٦٠م)– .Firth, J.R:** وهي مدرسة أوربية لغوية أيضًا تهتم بالمعنى، تكونت منها مدرسة لغوية في بريطانيا أطلق عليها (المدرسة اللغوية الاجتماعية)، وهي مدرسة أثرت في التفكير العربي الحديث تأثيرًا واضحًا، إذ تتلمذ على يد (فيرث) عددٌ من أساتذة اللغة العربية في مصر([2]).

كانت نظرية (فيرث) محصلةً للدراسات اللغوية التي بدأت في بريطانيا منذ نهاية القرن الثامن عشر، حينما كشف العالم (وليم جونز ١٧٤٦م– ١٧٩٤) علاقة اللغة السنسكريتية باللغتين اليونانية واللاتينية، فضلًا عن مخلفات الفكر اللغويّ في أوربا ولاسيما نظرية الفونيم التي صاغها علماء (مدرسة براغ).

ويُعدُّ (فيرث) أول عالم بريطانيّ وضع نظرية لغوية حديثة، بعد أن كان اهتمام علماء اللغة في بريطانيا لا يعدو وضع المعجمات والدراسات الصوتية واللهجية، متأثرًا في ذلك بجهود العالم الانثربولوجيّ (مالينوفسكي (١٨٨٤م–١٩٤٢م .Malinowski,B) الذي جرت معظم أبحاثه في جنوب المحيط الهادي بين سكان جزر (تروبرياند)، إذ وجد هذا الباحث نفسه أمام مشكلة ترجمة العبارات اللغوية التي يستعملها سكان هذه الجزر إلى اللغة الانكليزية، وبخاصة العبارات التي تتعلق بدينهم، أو التي لها أهمية ثقافية خاصة، وحين حاول حلَّ هذه المشكلة وجد نفسه – من دون قصد – يصوغ نظرية في اللغة والمعنى، سميت بـ(نظرية السياق).

وكان لـ(فيرث) اهتمامٌ خاص باللغات الشرقية، فقد عاش مدة من الزمن في الهند، وتأثر بجهود علماء اللغة الهنود القدماء، ووصفهم للغة السنسكريتية وبخاصة من الناحية الصوتية، ممّا أهله إلى وضع نظرية لغوية قامت عليها مدرسة لغوية مستقلة في تاريخ الفكر اللغوي في بريطانيا، وكان حجر الزاوية في هذه النظرية هو فكرة السياق – Cotext([3]).

ثانيًا/ المدارس الأمريكية: تمثلت هذه بادي الأمر بآراء (إدوارد سابير ١٨٨٤م–١٩٣٣م E.Sapir) الذي ولد في أوربا، وانتقل إلى الولايات الأمريكية المتحدة، وأصبح رائدًا للبنيوية، وعلم أجيالًا من علماء اللغة الأمريكيين، إذ كان ذا ثقافة علمية ولغوية واسعتين، فقد انطلق في دراسته

---

1 - Todorov, Ency. Dict, ofsciences of lang, p20.

[2] – منهم: د. محمود السعران، ود. إبراهيم أنيس، ود. كمال محمد بشر، ود. عبد الرحمن أيوب، ود. تمام حسان، ود. محمد أحمد أبو الفرج.(ينظر: دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص/٣٠).

[3] – علم اللغة الحديث، ص/٣٢٦–٣٢٧.

للغة من فكرة (النماذج اللغوية– linguistic patterns) التي تعني أنَّ كلَّ إنسانٍ يحمل في داخله الملامح اللغوية لنظام لغته، وهي نماذج ثابتة، وذلك في قبالة الاستعمال الفعليّ للغة المتمثل في المادة اللغوية المنطوقة([1]). وهو بذلك ينحو نحو ثنائية (دوسوسير) المتمثلة بـ(اللغة والكلام)، وقد أفاد منها فيما بعد (نعوم تشومسكي) بثنائيته المتمثلة بالقدرة اللغوية – Competence، في قبالة الأداء اللغويّ – Preformans.

بقية أراء (سابير) تدور في فلك الجوانب الحضارية والثقافية والاجتماعية للغة الإنسانية، لم ترتقِ إلى مصافِ المدرسة. وفي ذلك الوقت برزت ثلاث مدارس أمريكية هي:

١ – **المدرسة السلوكية أو (مدرسة ييل – yale):** وهو اسم الجامعة التي كان يعمل فيها مؤسسها العلم اللغويّ (وليونارد بلومفيلد ١٨٨٧م– ١٩٤٩م – L,Bloom field) أستاذًا الى الدراسات اللغوية، فقد استطاع هذا العالم أن يكوّن لنفسه مدرسة لغوية واضحة ومستقلة في تاريخ الفكر اللغويّ الإنسانيّ بعامة، والفكر اللغويّ الأمريكيّ بخاصة.

التزم (بلومفيلد) بالمنهج البنيويّ الوصفيّ، ولكن بطريقة خاصة، أصبحت علمًا عليه وعلى مدرسته اللغوية، إذ كان يفهم مصطلح (العلمية) على أنَّه يتضمن رفض أية مادة غير قابلة للملاحظة المباشرة، أو بالأحرى غير قابلة للقياس الماديّ، وكان متأثرًا في ذلك بـ(علم النفس السلوكيّ – behaviourism) لاسيما (واطسون ١٨٧٨م– ١٩٥٨م – B. Watson) الذي رأى أنَّ علم النفس ليس بحاجة إلى التسليم بوجود العقل، أو أي شيءٍ آخر، لا يمكن ملاحظته ملاحظة مباشرة أو قياسه.

إنَّ اللغة عند (بلومفيلد) ومن تبعه من السلوكيين ليست إلّا نوعًا من الاستجابات الصوتية لحدثٍ معينٍ، فالإنسان يسمع كلامًا أو يرى شيئًا أو يشعر بشعورٍ ما، فيتولد عن ذلك استجابة كلامية، من دون أن ترتبط هذه الاستجابة بأية صورة من صور التفكير العقليّ، والإنسان – عنده – في هذا يشبه الحيوان. وبذلك رفضت السلوكية دراسة المعنى أو البحث في الدلالة، بل ركزت في الجانب المادي للغة.

٢ – **مدرسة هارفارد – Harvard University:** ويتزعمها ياكبسون الذي هاجر من أوربا إلى أمريكا عام١٩٥٠م، متبنية آراء (دوسوسير)، وقد كان (نعوم تشومسكي) واحدًا من تلاميذ هذه المدرسة في مقابل مدرسة (ييل) السلوكية التي كان يتزعمها (زيلج هارس– Zellig Harris) الذي ولد عام (١٩٠٩م)، وقد وقعت صدامات عنيفة بين المدرستين، ولكن (ياكبسون) وتلاميذه حاولوا الاستفادة من المنهج التوزيعيّ في التحليل اللغويّ، غير أنَّهم تمسكوا في الوقت نفسه بمبدأ (الملامح

[1] –ينظر: دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص/ ٣٨.

المميزة – distinctive features) التي تميزت بها مدرسة (براغ)، وكان لنمو نظرية المعلومات – information theory) وتطورها، ودخول الرياضيات في مجال التحليل اللغويّ، أكبر الأثر في إزاحة الخلافات التي كانت قائمة بين المدرستين، وامتزج ذلك كله في نظرية تشومسكي([1]).

٣ – مدرسة التوليدية التحويلية – Transformational Generative Linguistics– : انطلق (نعوم تشومسكي – Noam CHomske) مؤسس هذه النظرية من اعتقاده بأنَّ الهدف الأول من دراسة اللغة الإنسانية هو معرفة طبيعة العقل البشريّ، وكيف يعمل، وأنَّ تركيب اللغة يتحدد بتركيب العقل الإنسانيّ، وأنَّ وجود خصائص لغوية عامة تجمع كل اللغات لهو دليلٌ على أنَّ هذا الجانب من الطبيعة البشرية واحد وعام عند جميع البشر، بغض النظر عن الأصل والعرق والطبقة والفروق العقلية أو الطبيعية، لذلك رفض الأنموذج اللغويّ السلوكيّ الذي وضعه (بلومفيلد)؛ لأنَّه يتعامل مع الإنسان كأنه حيوان أو آلة، حينما يقول إنَّ الحدث اللغويّ ما هو إلّا استجابةٌ لمثيرٍ، وهو بذلك _أي بلومفيلد– قد غفل عن قوى أعمق أثرًا وراء انتاج الحدث اللغويّ، تتمثل بالعقل من ناحية والقدرة الإبداعية للغة الإنسانية من ناحية أخرى، أي قدرة اللغة غير المحدودة التي تجعل أبناء اللغة الواحدة قادرين على أنتاج عددٍ غير محدود من الجمل وفهمها وتكوينها، لم يسمعوا بها قط من قبلُ، ولم ينطق بها أحدٌ من قبلُ([2]).

يَعدُّ (تشومسكي) نفسه لغويًا عقلانيًا، لأنَّه يرى أنَّ للإنسان قدرة عقلية لا يمتلكها الحيوان ولا الآلة،تُعدُّ أنموذجًا فريدًا، وأنَّ هذه القدرة تتمثل في هذا الجانب الخلاق أو الإبداعيّ من العقل البشريّ، التي تُعدُّ اللغة الإنسانية من ابرز مظاهره([3]).

قسم (تشومسكي) النظام اللغويّ العام المجرد على مفهومين هما([4]):

الأول– القدرة أو الكفاية اللغوية – Competence: وهي المعرفة اللغوية المختزنة في أذهان أبناء اللغة، وتتمثل بمجموعة القوانين والمعادلات والعناصر الشكلية التي تكوّن الجهاز اللغويّ التوليديّ، وهذا الجهاز يتكون من العينات اللغوية الفعلية الأدائية.

والآخر: الأداء اللغويّ – Performance: وهو ما يتولد عن النظام اللغويّ (القدرة اللغوية)، وتتمثل الأداءات اللغوية فيما نقوله بالفعل(ما نكتبه أو نسمعه أو نقرؤه) وتوصف هذه الأداءات بأنَّها لا نهائية.

---

[1] – ينظر: دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص/٤٥–٤٦.

[2] – ينظر: نظرية تشومسكي اللغوية، ص/٨.

3 – Chomsky, Cartesian linguistics, pp.3-5, pp.60-63.

[4] – ينظر: علم اللغة المعاصر (مقدمات وتطبيقات)، ص/٦١.

وهكذا توالت النظريات والمدارس شيئًا فشيئًا بعد نظرية (تشومسكي) التوليدية التحويلية، بحيث أصبحت هذه المدرسة ذات اتجاهات متعددة ونظريات متنوعة، طرحها عددٌ من علماء اللغة، بعضهم من تلاميذ (تشومسكي) وبعضهم من غير تلاميذه، وكان أغلب ما قدموه، إما إضافة أو تعديل للنظرية الأصلية، وهو ما أطلق عليه بعض من مؤرخي الفكر اللغويّ: (التطورات المعاصرة للمدارس التشومسكية في علم اللغة)([1]).

وفي السبعينيات من القرن العشرين ظهر (علم لغة النص) أو ما يسمى بـ(اللسانيات النصية) على يد (زيليج هارس) تلميذ (بلومفيلد) وأستاذ (تشومسكي)، وذلك حينما أشار إلى ضرورة تحليل توزيع المورفيمات في نصٍّ ما، طبقًا لعلاقة التعادل والتكافؤ بينها، وأطلق على هذا التحليل مصطلح (تحليل الخطاب – discourse Analysis)، ويُقصد به توزيع المورفيمات في الجملة داخل نصٍّ يتألف من عدد من الجمل([2])، ومبدأ التوزيعية مبدأ أصيل من مبادئ التحليل الشكليّ في نظرية (بلومفيلد) السلوكية.

وتأتي جدة هذا العلم (علم لغة النص) حين تخلى عن الجملة من حيث هي الوحدة الأساسية للتحليل اللغويّ إلى النصّ – Text، بعدما كانت الجملة هي الوحدة الأساسية عند علماء اللغة القدماء والمحدثين والمعاصرين قبل ظهور علم لسانيات النصّ.

هذا إجمالٌ لتاريخ الدرس اللسانيّ ومراحل تطوره، وسوف نفصل القول في مفاهيمه ومصطلحاته ونظرياته في محاضراتٍ لاحقة.

---

[1] – ينظر: نظرية تشومسكي اللغوية، ، ص/١٦٧-٢٠٥.

1 – De Beaugrand, and Dressler, Introducation to Text linguistics,P.21.

الفصل الرابع

مستويات الدرس اللساني

الفصل الرابع
مستويات الدرس اللسانيّ

١ – المستوى الصوتيّ:

وهو المستوى الذي يدرس أصوات اللغة بوصفها أثرًا سمعيًا تنتجه أعضاء النطق، وتُعدُّ الدراسة الصوتية عماد الدراسة اللغوية، إذ لا يمكن تصور العملية التواصلية من دون وجود الجانب الصوتيّ، الذي يشكل اللبنة الأساس التي يتألف منها بناء الكلام.

ويشير الدارسون الى أن للصوت اللغوي عدة جوانب يمكن ان ينظر اليه من خلالها ويشمل كلا النوعين المعروفين: الفوناتيك – phonetics والفونولوجيا – phonemics.

وأما الأصوات في الدرس اللساني الحديث؛ فقد قُسِمَتْ على قسمين: قسم يدرس طبيعة الصوت من حيث مخرجه، وصفته، وتأثيره في غيره من الأصوات أو تأثره بها، ويسمى (الفونتيكا–PHONETIQUE)، وهو علم يتناول دراسة الظواهر الصوتية وطبيعتها كأحداث فيزيائية، ويبحث في الصوت من حيث هو حركة تنتجها أعضاء النطق، وتتلقاها أعضاء السمع. وهو يعالج مخارج الحروف، وصفاتها، وكيفية النطق بها([١]). وانتقالها من المتكلم إلى السامع، بوساطة نشاط لغويّ وحركيّ يظهر في علم التشريح والفيزيولوجيا، كما يبحث في تأثير الصوت في غيره من الأصوات وفي تأثره بها، من دون الاهتمام بمعنى الأصوات أو بوظائفها. وتتعدد أنواع (الفونتيكا) فمنها: الفونتيكا الفيزيائية، والفونتيكا التشريحية، والفونتيكا التجريبية في تحويل الصوت اللامادي إلى صورة مسجلة ومكتوبة، والفونتيكا التاريخية التي تختصُّ بالتغييرات التي طرأت على صفات الحروف عبر التاريخ، والفونتيكا الوصفية التي تهتم بالجهاز الصوتيّ، وبمخارج الحروف، وعددها، وصفاتها([٢]).

[١]– ينظر: محاضرات في اللسانيات وعلم النفس اللغوي، د. مزوز بركو، بحث منشور على شيكه الانترنيت

[٢]– ينظر: مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط١، ١٩٩٩م، ص/٦٣.

وقسمٌ يدرس وظائف الأصوات وقيمتها كمدلولات، ويسمى (الفونولوجيا – PHONOLOGIE)([1]) أو علم الأصوات الوظيفيّ، وهو علم يُعنى بالأحداث الصوتية من حيث وظائفها ومعانيها ويؤلف التنظيم الفونولوجي وحدة متكاملة، ويخضع لنظرية التوزيع، ويقوم بوظيفة خاصة([2])، ويسمى هذه الحدث أو الصوت المشكلة للكلمة (فونيم – Phoneme) أو الصُوَيْت، أو الصوتيم، أو اللّافظ، (فالراء، الجيم، واللام) في كلمة (رجل) كلٌّ منها فونيم أو صوت، وتعرف الصوتية أو (الفونيما) على حدِّ تعبير بلومفيلد الذي يُعدُّ أول من عرَّفها بأنَّها أصغر وحدة من وحدات السمات الصوتية المتمايزة([3])، أو هي أصغر صورة صوتية تخضع للتحليل الألسنيّ، وتؤدي إلى فرق في المعنى، إذا استبدلت بصوت آخر في البيئة الصوتية نفسها([4]).

وتبعث صورة الفونيم اختلافات صرفية ونحوية (ضربتُ، ضربتَ، ضربتِ)، ودلالية (سال، وزال)، فالوحدة الصوتية / س /تختلف تمامًا عن الوحدة الصوتية / ز/ في الكلمتين: (سال زال). ويرجع سبب الاختلاف إلى اختلاف الصوت الأول في كلِّ منهما، لذلك يمكن القول بأنَّ عملية استبدال فونيم مكان فونيم آخر يؤدي إلى تغيير في معنى الكلمة. والملاحظ أنَّه وإن لم يكن للفونيم (الصوتم) إلّا الوظيفة الصوتية، فإنَّ أهميته تكمن في أنَّه يعين صاحب اللغة على التفريق بين المعاني، ومن ذلك على سبيل المثال قولنا في العربية: (بات) و(مات)، إذ لا سبيل للتمييز بين معنى الفعلين إلّا من التمييز بين الفونيمين: (الباء) في(بات) و(الميم) في (مات).

ويتفق اللسانيون مع ما ذهب إليه بلومفيلد حيث يستخدمون مصطلح الفونيم للدلالة على أصغر وحدة في السلسلة الكلامية محددة بصفاتها المميزة، وقد تختلف الصفات المميزة للفونيم الواحد من

---

[1]- يترجم هذا المصطلح بـ(التشكيل الصوتي)، ينظر: مناهج البحث في اللغة، د.تمام حسان، ص١١١، ويترجم Phonological بـ(تشكيلي) أو (تشكيلية)، ونحن نؤثر استعمال (الفونولوجيا) و(فونولوجي) أو (فونولوجية) حتى يظهر مصطلح عربي محدد مرن.

[2]- ينظر: ويكيبديا الموسوعة الحرة.

[3]- ينظر: اللسانياتك: المجال والوظيفة والمنهج، د. سمير شريف استيتة، عالم الكتب الحديث، عمان الأردن، ٢٠٠٨، ص/٦٤.

[4]- ينظر: الألفون من داخل اللسانيات الصوتية، الودغيري محمد، بحث منشور على شبكة الانترنيت، موقع: مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية.

لغة إلى أخرى([1]). وممّا عليه إجماع الباحثين أنَّه ليس للفونيم – باستثناء الوظيفة أو القيمة الصوتية – أية قيمة أو وظيفة أخرى يؤديها، ذلك أنَّ المستوى الصوتي كما يرى مارتيني " تخلو عناصره من المعنى"([2])، وهذا ما ينطبق في العربية على العناصر المشكلة للكلمة المجردة أو ما يعرف بـ" الجذر" الذي لا تتغير صورته الصوتية والبنيوية والإعرابية إلا في حالة تصريفه أو إسناده.

والجدير بالإشارة أنَّ الفونيم نوعان:

الأول/ (فونيم مقطعي Segmental) : ويشمل كل الصوامت والصوائت، ويسمى بـ(الفونيم الرئيس أو التركيبيّ)، ويُعرف بأنَّه الوحدة الصوتية التي تكون جزءًا من أبسط صيغة لغوية ذات معنىً، منعزلة عن السياق أو قل: هي ذلك العنصر الذي يكون جزءًا أساسيًا من الكلمة المفردة، كالباء و التاء و الثاء([3]).

والآخر/ (فونيم فوقمقطعي Suprasegmental) : ويسمى أيضًا بـ(الفونيم الثانويّ أو ما فوق التركيبيّ): وهو ظاهرة أو صفة صوتية ذات مغزى في الكلام المتصل، ويتمثل في كلِّ من الفاصل Junctureوالنغم Pitch والنبـرة Stress وطول الصوتWord – length ([4]).

أما الألوفون؛ فيعرف الألوفون بأنَّه أصغر وحدة صوتية في بيئة نطقية واحدة، تغيرها لا يؤدي إلى تغيير في المعنى، هو بمنزلة تنوِّع نطقيّ للفونيم، أو الصوت الأصليّ لا يؤثر في الدلالة([5]).

وللتفريق العملي بين الفونيم والألفون نأخذ: (سار – زار) كلمتين متماثلتين عدا الفونيم أو الصوتيم الأول، ولكن الكلمتين مختلفتان في المعنى، ولهذا نقول أن [س] فونيم و [ز] فونيم. وهو مانجده في كثير من الكلمات مثل: (نمل ورمل) و (بقرة وبكرة) وغيرها من الكلمات. أما في قولنا: (يقولُ اللهُ، وبسمِ اللهِ)؛ فإنّنا ننطق (لام) لفظ الجلالة في الأولى مفخمة، وفي الثانية مرققة، فهناك

[1]– ينظر: اللسانيات العامة وقضايا العربية، مصطفى حركات، ص/١٤.

[2]– ينظر: الصوتيات والفونولوجيا، مصطفى حركات، دار الآفاق، الجزائر،(ب. ت)، ص/٨٠.

[3]– ينظر: اللسانيات، النشأة والتطور، أحمد مؤمن، ص/١٣٨.

[4]– ينظر: المصدر نفسه.

[5]– ينظر: مستويات التحليل اللغويّ، ندى سعود عبد العزيز الدايل، جامعة الملك سعود، بحث منشور على شبكة الانترنيت .

اختلاف فعلًا في النطق، ولكن هذا الاختلاف لا يؤثر في المعنى، وهنا نقول: إنَّ الصور المختلفة لنطق اللام ماهي إلّا الفونات لفونيم اللام.

وتقسم الألوفونات على قسمين هما([1]):

أ- الألوفونات المتكاملة: و تعني أنَّ لكلِّ ألوفون سياقًا صوتيًا يظهر فيه ولا يمكن لأي ألوفون آخر يمثل الفونيم نفسه أن يظهر في هذا السياق الصوتيّ .

ب- الألوفونات الحرة : وهي التي تحلُّ محل بعضها في السياق نفسه ، و تستعمل الألوفونات الحرة في اللهجات. ولا تُظهر الكتابة صور التنظيم الصوتيّ بنحوٍ صحيح، وإنما اللغة المحكية هي التي تمثل فقط انعكاسات الأصوات كافة، لذا اهتمت الكتابة العربية بالأصوات الصامتة فقط، فرمزت لها برموز خاصة. ولكنها لم تهتم بالأصوات اللينة، لاسيما القصيرة منها. وتتألف اللغة العربية من ستة وعشرين فونيمًا صامتًا، وثلاثة لينة. وهذا يعني أنَّ للغة العربية ستة وعشرين فونيمًا صامتًا، وثلاثة فونيمات لينة.

ويرى مارتينيه أنَّ المصوتات تمثل الصوت، وأنَّ الصوامت هي الأصوات التي تدرك بصعوبة دون مساعدة حركة أو مصوت سابق أو لاحق، وهو يؤكد أنَّ الحد بين الاثنين ليس واضحًا تمام الوضوح دومًا، في حين تخضع مدرسة تشومسكي التوليدية GENERATIVISTE الصوامت والمصوتات (الحروف، والحركات) لمعالجة واحدة.

وتنقسم الأصوات - من حيث طبيعتها - على قسمين، هما([2]):

١ - أصوات صائتة أو أصوات لين VOYELLES: وهي الأصوات التي ينفتح مجرى الهواء في أثناء مرورها من دون عائق، ومن دون أن ينحبس النفس، ممَّا يؤدي إلى سهولة نطقها. وفي اللغة العربية ثلاثة صوائت قصيرة: (هي الضمة، والفتحة، والكسرة)، وثلاثة صوائت طويلة: (هي الواو، والألف، والياء).

[1]- ينظر: الفونيم والالفون، منتدى بلقاسم حسيني على شبكة الانترنيت.

[2]- ينظر: المظاهر الاقتصادية في صوائت العربية، حمزة بوجمل، جامعة سيدي بلعباس- الجزائر، بحث منشور على شبكة الأدب واللغة، ص/٢.

٢ – أصوات صامتة أو ساكنة CONSONNES، وهي التي يقوم عائق في جهاز النطق حين التلفظ بها، ويتخطى النفس ذلك العائق. وقد صنف علماء الصوتيات الظواهر العضلية التي تصحب النطق، وميّزوا الصوامت الثقيلة من الصوامت الخفيفة، والقوية من الناعمة.

وكذلك تقسم الأصوات من حيث صفاتها على: (مجهورة، ومهموسة) فالمجهورة: هي التي أشبع الاعتماد في موضعها، ومنع النفس أن يجري معها، ويهتز معها الوتران الصوتيان، أما المهموسة: فهي التي ضعف الاعتماد على مخرجها حتى جرى النفس معها، ولا يهتز معها الوتران الصوتيان، ويجمعها قولك: (فحثه شخص سكت).

وفي مجال الصوتيات العربية الحديثة بذلت جهود متعددة في الكشف عن التراث الصوتيّ العربيّ، ومقاربته مع الصوتيات الغربية الحديثة، ونتجت عن ذلك دراسات تنظيرية وتطبيقية، بحثت الأولى في مسائل عامة في التواصل، والتعبير، والعبارة، والمرجع اللغويّ، وطبيعة نظام الإشارات، وأسباب تغاير التعبير الشفهيّ عن التعبير الكتابيّ...وسواها، ودرست الأبحاث التطبيقية الصوائت في بعض اللهجات المحكية([١]).

وقد كان لعلماء اللغة وعلماء الأصول العرب أن تنبهوا على هذه المسألة، حيث التفتوا في معرض حديثهم عن الكلام وقيوده إلى الصوت، إذ أخرجوا الحرف الواحد من دائرة الكلام، وهو عندهم ما انتظم من الحروف المسموعة المميزة المتواضع على استعمالها، الصادرة عن مختار واحد، وقصدوا بالقيد الاحتراز عن الحرف الواحد، كالزاي من (زيد)([٢])، فالزاي من زيد إذاً صوتٌ، أو حرف، أو وحدة غير دالة، أو فونيم على حدِّ تعبير مارتيني، ومثلها (إنْ) في قولنا: (إنسان)، وإنْ دلت على الشرطية؛ لأنَّ دل الألفاظ ليست لذواتها، بل هي تابعة لقصد المتكلم وإرادته، ونعلم أنَّ المتكلم حيث جعل (إنْ) الشرطية لم يقصد جعلها غير شرطية، فـ(إنْ) من لفظ (الإنسان) وإنْ كانت تشكل مقطعًا طويلًا له دلالته خارج اللفظ الذي وردت فيه، فهي غير دالة ولا يمكن عدُّها (إنْ) الشرطية؛ لأنَّها في هذه الحالة جزء من كلمة، ولا تدلُّ على شيءٍ من معناها، وهذا ما يتفق والاتجاه اللسانيّ المعاصر.

[١]– ينظر: فوتولوجيا اللغة العربية، أوديت بتي، مجلة (الفكر العربي) – العدد ٨–٩ – عام ١٩٧٩.

[٢]– ينظر: مفهوم الفونيم، منتديات ستارتايمز، ارشيف لغة الضاد.

٢- المستوى الصرفيّ:

هو المستوى الثاني من مستويات التحليل اللسانيّ، ويسمى العلم الذي يعنى بدراسة هذا الجانب من اللغة بـ(علم الصرف)، ويقابله باللغة الأنكليزية مصطلح: (Morphologie)، وهو علم دراسة الكلمة من حيث الوحدات الصرفية، وأحوال الكلمة من حيث أفرادها، وتثنيتها، وجمعها، وتعريفها وتنكيرها، وتذكيرها وتأنيثها، وأحوال الفعل في دلالته على الزمن، والجنس، والعدد والهيئة، والشخص. أو هو العلم الذي يبحث في التغيرات التي تلحق بنية الكلمة؛ لغرض معنويّ أو لفظيّ، ويراد ببنية الكلمة هيئتها أو صورتها الملحوظة، من حيث حركتها، وسكونها، وعدد حروفها([١]). والمستوى الصرفيّ أيضًا: هو المورفولوجيا الذي يُعنى بالاشتقاق والتصريف، إذ تُعدُّ الكلمة الموضوع الأساسيّ في هذا المستوى، فيدور البحث حول أصلها، وصيغتها، ووزنها، ومعرفة الزائد والأصليّ من أصواتها. وهو قسمان:

١- قسم يدرس وصفية بنى الكلمة.

٢- قسم يدرس وظيفة الأصوات.

وقد برز في اللسانيات الحديثة مصطلح (المورفيم) ليحلَّ محل مصطلح الكلمة في الدراسات اللغوية القديمة، إذ كانت الكلمة هي الموضوع الأساسيّ في الدرس الصرفيّ عند علمائنا القدماء، أما في علم اللغة الحديث؛ فقد سلك المحدثون مسلكًا آخر، حاولوا الوصول فيه إلى نظام يمكن تطبيقه على أكبر عددٍ من اللغات، إنْ لم يمكن تطبيقه على اللغات كلها، وكان أهم ملامح هذا النظام تقسيم البناء الكلاميّ على وحدات بنائية ذات معنى، تمثل كلُّ وحدةٍ منها أصغر ما يمكن الوصول إليه في هذا التقسيم. ومن هنا جاءت أهمية مصطلح (المورفيم) المأخوذ في الأصل من الكلمة اليونانية: (مورف) بمعنى شكل أو صورة.([٢]).

والجدير بالذكر أنَّ من الباحثين من فرق بين ثلاثة أنماط للكلمة من حيث الاستعمال، هي([٣]):

[١]- مدخل إلى علم الصرف، عبد العزيز عتيق، ص/٧٠ .

[٢]- ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربيّ، محمود السعران، ص/٣٦.

[٣]- ينظر: اللسانيات العامة وقضايا العربية،مصطفى حركات، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، ط١، (١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، ص/٤٦-٤٧.

١- الكلمة الصوتية: وهي وحدة مكونة من فونيمات وعناصر نغم، ينظر إليها من الناحية الصوتية بغض النظر عن المعنى الذي تدلُّ عليه، مثل: على (ala) وفي (Fi) في اللغة العربية. و(Son) و (so) في الفرنسية.

٢- الكلمة المعجمية: وتتمثل في جذر الكلمة الذي يمثل المادة الخام التي نستعملها في تأليف الكلام، وهي بهذا الاعتبار كلمة مجردة، تتنوع بحسب تنوِّع استعمالاتها، تبعًا لتنوِّع المعاني المراد تبليغها، والسياقات التي ترد فيها هذه الكلمة، فيمكننا أن نأخذ من كلمة (علم) مثلًا: عدة صيغ، مثل: عالم ومعلوم، وأعلم وعلمنا وأعلمتُ، وغير ذلك.

٣- الكلمة الواحدة: وهي التي قد تدلُّ على معنيين مختلفين أو أكثر، مثال ذلك حرف الجر (على) والفعل (علا) من (علا يعلو علوًا)، فالكلمتان متطابقتان من الناحية الصوتية لكنهما مختلفتان اختلافًا مطلقًا من الناحية النحوية، وكذلك كلمة (فتى) التي تدلُّ على مرحلة من مراحل العمر، والفعل: (فتا) الذي يدلُّ على بلوغ مرحلة زمنية معينة.

لكن ما تجدر إليه الإشارة هو أنَّ مباحث علم الصرف في العربية لم تكن مستقلة بذاتها، وإنَّما كانت تدرس ضمن مباحث علم النحو الذي كان يعتمد في دراسته للغة على منهج معياريّ تعليميّ، يقوم على مبدأ الخطاء والصواب([1]). وقد أشار القدامى إلى التصريف وعلاقته بالنحو، حين تناولوا موضوع المعاني الوظيفية لصيغة الكلمة داخل التركيب ودلالتها، وربطوا بين الصيغة والدلالة، أو بين الصيغة والحكم الشرعي، حيث كان لآراء الأصوليين دلالات لصيغ الأمر، وغيرها من القضايا([2])

لم تحظَ التعريفات التي وضعت للكلمة بالقبول، ووصل الأمر عند عددٍ من اللغويين إلى القول بصعوبة وضع حدٍّ عام للكلمة يمكن تطبيقه على كلِّ اللغات؛ نظرًا لتنوع الإجراءات الصرفية في كلِّ لغةٍ، والمورفيم أصغر وحدة لغوية ذات معنى، والمعاني التي يعبر عنها المورفيم هي معانٍ وظيفية، تحدد نوع الكلمة من حيث الاسمية والفعلية، أو نوعها من حيث التذكير والتأنيث، أو عددها، والتي لا تقبل التقسيم على وحدات دالة([3]).

وتنقسم المورفيمات على نوعين أساسيين، هما:

---

[1]- ينظر: لغة القرآن الكريم في جزء عم، د. محمود أحمد نحلة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨١م، ص/٣٨٠.

[2]- ينظر: مبادئ اللسانيات، أحمد محمود قدور، ص/١٣٧-١٣٨..

[3]- ينظر: لغة القرآن الكريم في جزء عمَّ، ص/٣٨١.

١- المورفيم الحر: وهو الذي من الممكن أن يأتي مستقلًا مثل:(ض ر ب) في ضربتُ، وغير ذلك ممّا يسمى بالأصل أو الجذر.

٢- المورفيم المقيد: وهو الذي لا يأتي مستقلًا بنفسه وإنَّما يستعمل مع غيره، مثل السوابق واللواحق والدواخل على الكلمة كما تنقسم المورفيمات على نوعين آخرين:

أ- المورفيم الصفريّ: فهو لا تظهر له علامة صوتية دائمًا وإنَّما يستدل على وجوده من المعنى الوظيفيّ أو الاستتار أو الحذف.

ب- المورفيم الصوتيّ: حيث يتحقق وجوده صوتيًا، إذ يظهر هذا المورفيم في إضافة عنصر صوتيّ يتكون من صوت واحد أو مقطع، وفي تبادل الأصوات الصائتة تتغير الحركات دون إضافة عنصر صوتي جديد، ويظهر في عنصر من عناصر الأداء كالتنغيم والنبر والوقف.

وعند تدقيق النظر في المعجمات العربية القديمة لكلمة (صيغة)، نجد أنَّها مصدر للفعل (صاغ) الذي يحمل دلالات معجمية تدور حول الأمور الآتية: الصيغة التي لها هيأة حاصلة بسبب ترتيب ما، وهي مثال يُنسَج على منواله، وهي صناعة أو سبك([1]). أما الصيغة لدى الغربيين؛ فيدور معناها في إطار مفهوم الصيغة البسيطة، والأشكال التصريفية للصيغة البسيطة، ويعبر الغربيون عن صيغة الحاضر البسيط the present simple tense للتعبير عن الزمن الحاضر، وللدلالة على التعبير عن الحقائق الأبدية، وصيغة الماضي البسيط past tense الذي يُعبر في الإنجليزية عن الأوقات الماضية أو الحاضرة أو المستقبلة. في حين صيغة المستقبل البسيط Future simple tense فقد يتكون من (shall +) المصدر من الفعل الرئيس – مع الشخص الأول المتكلم المفرد (I)، ومع الجمع المتحدث بالضمير (We) – أو (Will) + المصدر من الفعل فيما عدا ذلك)، وقد تستخدم (Will) مع كلِّ الضمائر([2]).

[1]- ينظر: لسان العرب، ابن منظور، محمد بن جلال الدين، دار المعارف، القاهرة، د. ت، مادة (صوغ). وتاج اللغة وصحاح العربية، والجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، د. ت، ج٤، ص/١٣٢٤.

[2]- ينظر: اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، الريحاني، محمد عبد الرحمن، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨، ص/٢٣٠ وما بعدها.

٣- **المستوى النحويّ:**

إذا كان النحو في التعريف المعجميّ: عبارة عن نسق من القواعد اللغوية التي ترمي إلى تعليم لغة ما([1])، فإنَّ الدراسات اللسانية المعاصرة قد حافظت على جوهر هذا الفهم القواعديّ التقليديّ، لكن بإعطائه صورًا أخرى تختلف باختلاف الاتجاهات اللسانية. ففي الطرح البنيوي المعاصر، القائم على تصنيف المعطيات اللغوية ، يُمَيَّزُ عادةً في كلِّ لغةٍ بين مكونين أساسيين، هما: (المعجم، والنحو) حيث يقدم المعجم اللائحة المفترضة للوحدات اللغوية، محددًا سماتها الدلالية والمعجمية، في حين ترتكز وظيفة النحو على تحديد الأشكال التركيبية من خلال إسناد الوظائف، كالجهات، والحالات. وعلى وفق هذا الفهم، فإنَّ النحو هو مجموعة من قواعد التركيب والفونولوجيا التي تأتي تالية للوصف المعجميّ/الدلاليّ([2]).

ومع بروز اللسانيات النظرية، ممثلةً في النحو التوليديّ التحويليّ، فقد غدت الغاية هي وضع قواعد كلية لوصف أكبر عدد ممكن من معطيات اللغات الطبيعية، الفعلية منها والممكنة التحقق، إذ يُعدُّ الهدف الأساسيّ للنظرية اللسانية - حسب شومسكي - هو الكشف عن النحو الكليّ الكونيّ، الممثل للحالة الفطرية الأولى للكائن البشريّ. فاللغات، وإنْ تنوعت إلى حدٍّ كبيرٍ، تنتظم في نفس العمليات الشكلية التي تكون الجمل النحوية، لذا فوظيفة البحث اللسانيّ هي الكشف عن الملكة الفطرية لدى الأفراد أو ما يصطلح عليه بالقدرة اللغوية، التي تصبح فيما بعد خزانًا من التجارب اللسانية القابلة للتحقق أو الإنجاز، وهذا يعني أنَّ النحو هو مجموع القواعد المختزنة في القدرة اللغوية؛ لتوليد ما لا نهاية من الجمل([3]).

والحق أنَّ النهج التوليدي قد عمل على تأصيل نظرية لسانية عربية تعالج قضايا العربية القديمة والحديثة، وذلك باعتماد آلة واصفة صورية تدرس القدرة اللغوية العربية، لذا واجهت التراث النحويّ بالنقد المنهجيّ، وبانتقاء المعطيات الدراسية منه، إلّا أنَّ الظواهر التي عالجها اللسانيون العرب

[1]- ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، ١٩٩١م، ج٥/٤٠٣.

[2]- ينظر: مناهج البحث في اللغة، د.تمام حسان، ص/٢٢٨.

[3]- ينظر: الدرس النحوي في الخطاب اللساني المعاصر، د. فؤاد بو علي، بحث منشور على شبكة الانترنيت، على موقع منتديات تخاطب.

كانت استنساخًا لقضايا معالجة في اللغات الأوربية، بوحي من معطياتها، ممّا جعلها تركز في قضايا دون أخرى. وهذا ما ينفي عنها صفة الشمولية والكلية([1]).

ويُعنى المستوى النحويّ بالتركيب في أيِّ لغة، وقد أطلق العلماء المحدثون على هذا النوع من التحليل (علم التنظيم)؛ لما يميزه من المجالات الأخرى لعلم اللغة، وقد سطر الشيخ عبد القاهر الجرجانيّ في كتابه الشهير– دلائل الإعجاز– إلى أنَّ نظرية نظم الجملة العربية تقوم عنده على أسس ثلاثة([2]):

١–الملاءمة أو التأليف بين الألفاظ في الجملة، وذلك عن طريق ملاءمة اللفظة لمعنى تليها.

٢– تعليق الألفاظ بعضها ببعض، أي تركيبها، وذلك؛ بربط كلِّ جزءٍ من أجزاء الجملة بالآخر.

٣– ترتيب الألفاظ في الجملة أي وضع كل جزء في مكانه الملائم.

ولقد تعدد النظريات الحديثة تُجاه الجملة، وقد حاول المحدثون وضع تصور لتحليلها، يفيد أكبر قدر من لغات العالم وأشهر (**المذهب التركيبيّ**)، الذي يرجع الفضل في تأسيسه إلى رائد علم اللغة الحديث (دوسوسير)، ولقد ظهرت في ضوءِ هذا المذهب عدة طرائق في التحليل اللغويّ، هي([3]):

١– **تحليل الجملة إلى مكوناتها المباشرة:** يرتبط هذا التحليل بالمدرسة الأمريكية ورائدها (بلومفليد) ولا تنظر هذه المدرسة إلى الجملة على أنَّها كلمات متتابعة أفقيًا، وإنَّما على أنَّها طبقات من المكونات الكبرى المتراكمة بعضها فوق بعض.

٢– **تحليل الجملة إلى عناصرها المباشرة:** ويمثل هذا الطريق (هوكت)، ويعدُّ كلَّ كلمةٍ جزءً من وحدة أكبر.

٣– **تحليل الجملة بتصنيف عناصرها النحوية:** ويمثل هذا الطريق (هارس)، وتقوم فكرته في التحليل على أساسين هما: (التصنيف والمعاقبة).

[1]– ينظر: النحو التأليفي مدخل نظري و تطبيقي :محمد الحناش. مجلة دراسات أدبية و لسانية .العدد الأول .السنة الأولى١٩٨٥، ص/٥٨.

[2]– ينظر: مستويات التحليل اللغويّ، ندى سعود عبد العزيز الدايل، جامعة الملك سعود، بحث منشور على شبكة الانترنيت .

[3]– المصدر نفسه.

ومن الثابت أنَّ القراءات المتناولة للنحو العربي ظلت سجينة التصورات الحديثة، حيث كانت تحاول تطبيق المفاهيم المعاصرة على الدرس القديم، مّما أبعدها عن جوهره؛ لأنَّ الأسئلة المعرفية والمنهجية التي شغلت النحاة تختلف عن الأسئلة اللسانية المعاصرة؛ لذا فكلُّ معالجة ينبغي لها أن تتناول النحو داخل نظام الفكر الذي ولد فيه؛ لتكتشف الكيفية التي تشكلت بها المعرفة النحوية، لذا نجد أنَّ تعامل الدارسين المعاصرين مع المخزون النحويّ القديم كان عبر آليتين متلازمتين([1]):

الأولى: آلية الانتقاء تختار بموجبها الشواهد النحوية من متون الأقدمين؛ لتعضد النموذج اللسانيّ المعاصر وطريقته في معالجة اللغة العربية. ومن خلال هذه الآلية يصبح النحو العربيّ منجمًا للشواهد أكثر ممّا هو معالجة علمية لِلغة طبيعية. وهذا ما نجده في إنتاجات الوصفيين العرب، أمثال: تمام حسان وإبراهيم مصطفى... وغيرهما.

والأخرى: آلية الإسقاط المفاهيميّ، حيث تحاول الدراسات المعاصرة إعادة إنتاج النحو القديم بمفاهيم وقوالب لسانية حديثة، أي: تسويغ المعالجة الحديثة من خلال القديم. وهذا يبرز من المحاولة التي قدمها عبده الراجحي في بحثه عن الأسس اللسانية للنحو العربيّ، حيث أحصى الجوانب الوصفية في الكتابات النحوية، ثم أعقبها بإبراز المظاهر التحويلية داخلها. وعلى هذا المنوال سارت العديد من الكتابات الحديثة نذكر منها: (الأنماط التحويلية في النحو العربي) لحماسة عبد اللطيف، و(نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغويّ الحديث) لنهاد الموسى، و(التفكير اللسانيّ في الحضارة العربية) لعبد السلام المسدي...وغيرها.

وعلى الرغم ممّا تقدم آنفًا فقد سُجِلَ عددٌ من المقاربات بين الدرس النحويّ الحديث والدرس النحويّ العربيّ القديم، تدلُّ بمجملها على سبق النحويين العرب القدامى في عددٍ من مجالات البحث اللسانيّ الحديث، ومنها على سبيل التمثيل، مقاربة ابن جني حين ربط البُعد البنيويّ للدلالة النحوية التي تشكل عنده بالصوت والصيغة والمعنى([2])، وكذلك إشارة الجرجانيّ إلى أنَّ النظم هو توخي معاني النحو في معاني الكلم، وأنَّ توخيها في متون الألفاظ([3])، وهذان الرأيان في الربط بين

---

[1]- ينظر: الدرس النحوي في الخطاب اللساني المعاصر، د.فؤاد بوعلي، ص/١٩.

[2]- ينظر: الخصائص، ابن جني، ج١، ص١٨٤.

[3]- ينظر: دلائل الإعجاز، الجرجانيّ، ص/٣٥.

الصورة الصوتية والصورة الذهنية هو نفسه ما قال به تشومسكي في ثنائية: (البنية العميقة والبنية السطحية)، حيث أشار الجرجانيّ إلى أنَّ الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وهذه الأغراض كامنة فيها؛ ليكون هو المستخرج لها(١).

٤- المستوى الدلالي

علم الدّلالة:

لعلَّ الغاية الاساسية والوظيفة الرئيسة التي يستعمل من أجلها الإنسان اللغة تكمن في تحقيق عنصر التواصل والإبلاغ، ولا ينجح حدث الاتصال إلا إذا فهم السامع مراد المتكلم، وتتمثَّل عملية الاتصال اللغويّ ((في نقل رسالة message من مرسل هو المتكلم...أو المتحدث أو الباثّ، يرسلها إلى آخر مستقبل لها (وهو المتلقي أو المخاطب أو السامع) من خلال قناة channal هي الهواء في حالة الاتصال الشفهي، وتسمى أيضا الوسط الناقل medium وبشرط أنْ يكون طرفا الاتصال (المتكلم والمتلقي) متفقين من قبلُ على نظام رمزيّ symbolic system (ويسمى أيضًا الرامزة code) ويتكون هذا النظام من علامات لغويَّة...هي الألفاظ: الدَّالّ significant (وهو الصورة السمعية أو الكتابية) والمدلول signification (وهو التصور) وإذا استُعملت هذه العلامات في جملة فهي تتيح بدالّها ومدلولها إقامة عملية رجوع...إلى العالم الخارجي من خلال سياق الجملة)) (٢).

ولو أنعمنا النظر في تعريفات اللغة ابتداءً بابن جني (ت ٣٩٢هـ) الذي عرَّفها بأنَّها ((أصوات **يعبِّر** بها كلُّ قوم عن أغراضهم)) (٣) لوجدنا أنَّ جلَّ هذه التعريفات تؤكد على وظيفة اللغة التواصليَّة، فادوارد سابير (تـ ١٩٣٩م) يقول: ((اللغة وسيلة إنسانيَّة خالصة وغير غريزية اطلاقًا **لتوصيل** الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نسق من الرموز المولدة توليدًا إراديًّا))(٤)، وقريبًا

١- ينظر: المصدر نفسه، ص/٢٥٩.

(٢) نظام الارتباط والربط ١٣-١٤.

(٣) الخصائص ٤٣/١.

(٤) اللغة والخطاب الأدبيّ ١٢.

من هذا المعنى يقول هنري سويت: ((إنَّ اللغة هي **التعبير** عن الأفكار بوساطة الأصوات الكلامية المؤتلفة في كلمات)) [١].

ولكي تحقّق اللغة وظيفتها التواصلية لابدَّ أنْ تؤدِّي معنى معينًا، وإذا كنَّا نعرِّف اللغة بأنَّها نظام للتواصل فيجب أنْ يكون المعنى جزءًا أساسيًّا من هذا النظام، لأنَّ المعنى يتجلّى في جميع مستويات الدرس اللساني، إذ إنَّه ((غاية الدراسات الصوتية، والفونولوجية، والنحوية والقاموسية، إنَّه قمة هذه الدراسات))[٢].

إنَّ علم الدّلالة – كما يرى بالمر – هو اللفظة التقنية المستعملة للإشارة إلى دراسة المعنى[٣]، والكشف عن حقيقته في اللغات الإنسانية.

وعلى الرغم من تعدُّد تعريفات " علم الدّلالة " بين الباحثين يمكن القول إنَّ القاسم المشترك بين تلكم التعريفات هو أنَّ علم الدّلالة هو العلم الذي يُعنى بدراسة المعنى، أي إنَّه النظرية العامة التي تدرس المعنى، يقول جون لاينز: ((**يمكن تعريف علم الدّلالة مبدئيًّا في الوقت الحالي على الأقل بأنَّه دراسة المعنى**))[٤].ويعرِّفه أيضا بأنَّه ((**دراسة جميع أنواع المعنى المختلفة التي يرمز إليها على نحو نظامي في اللغات الطبيعية**)) [٥]، فهو علم يُعنى بالأشكال اللغويَّة والمضامين المحمولة فيها، أي إنَّه يدرس الكلمات بوصفها صيغًا صوتيَّة، ومعانيها بوصفها حقائق لسانيَّة تتضمنها هذه الكلمات على شكل معانٍ[٦].

ويُعرِّف الباحث محمد علي الخولي علم الدّلالة بأنَّه ((**فرع من علم اللغة يدرس العلاقة بين الرمز اللغويّ ومعناه، ويدرس تطور معاني الكلمات تاريخيًّا، وتنوع المعاني، والمجاز اللغويّ، والعلاقات بين كلمات اللغة**)) [٧].

---

[١] اللغة والمجتمع (السعران) ٤.

[٢] علم اللغة (السعران) ٢٦١.

[٣] ينظر:علم الدّلالة (بالمر) ٣.

[٤] علم الدّلالة (جون لاينز) ٩.

[٥] اللغة والمعنى والسياق ٨.

[٦] ينظر: اللسانيات والدّلالة ٧٣،واللسانيات المجال الوظيفة والمنهج ٢٥٨،والأسلوبية والأسلوب ١٥١.

[٧] معجم علم اللغة النظري ٢٥١ ، وينظر : اللغة والدلالة آراء ونظريات ٥٠.

وهناك من الباحثين مَنْ لا يقصر علم الدّلالة على دراسة الرمز اللغويّ حسب، بل يجعله شاملا للرمز غير اللغويّ، وهو ما نلمسه في تعريف الباحث محمود عكاشة، الذي يشير إلى أنَّ ((**علم الدّلالة semantics هو العلم الذي يتناول المعنى بالشرح والتفسير، ويهتمّ بمسائل الدّلالة وقضاياها، ويدخل فيه كلُّ رمز يؤدِّي معنى، سواء أكان الرمز لغويًّا أو غير لغويّ (مثل الحركات والإشارات، الهيئات، الصور والألوان، والأصوات غير اللغويَّة، وغير ذلك من الرموز التي تؤدِّي دلالة في التواصل الاجتماعي))** [١].

وفي الحقّ أنَّ علم الدّلالة يستبعد من اهتمامه الرموز غير اللغويَّة؛ لأنَّها تقع ضمن أولويات علم آخر هو علم العلامات semiology الذي يدرس جميع أنظمة التواصل سواء أكانت لغويَّة أم غير لغويَّة، فهو يرى أنَّ اللغة ليست الوسيلة الوحيدة لتحقيق عنصر التواصل؛ لأنَّ الإنسان يمتلك أنظمة اتصال أخرى غير كلاميَّة، مثل نظام الإشارات الجسميَّة، ونظام الملابس، وإشارات المرور وغيرها من الأنظمة التي تقوم بوظيفة التواصل[٢]، وقد أكَّد هذا المعنى الباحث أحمد مختار عمر الذي أشار إلى أنَّ علم الدّلالة يركِّز على اللغة من بين أنظمة الرموز التواصليَّة؛ لأنَّ لها أهمية خاصة بالنسبة للإنسان[٣].

وتُعدُّ التعريفات التي قدمها الباحث أحمد مختار عمر من أكثر تعريفات علم الدّلالة حضورًا في مؤلَّفات الدارسين؛ ذلك أنَّ أغلب الباحثين في حقل الدراسات الدّلاليَّة يستقون التعريف منه، يقول: إن علم الدّلالة هو **((دراسة المعنى، أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز، حتى يكون قادرًا على حمل المعنى))** [٤].

وثمَّة خلاف بين الدارسين بشأن وظيفة علم الدّلالة، فبعضهم يقصرها على البحث في معاني الألفاظ المفردة، ويعرِّفه بأنَّه ((ذلك الفرع من علم اللغة الذي يقوم بدراسة المعنى

---

[١] التحليل اللغويّ في ضوء علم الدّلالة ٩.

[٢] ينظر: معجم اللسانيات الحديثة ١٢٨.

[٣] ينظر: علم الدّلالة (أحمد مختار عمر) ١١-١٢، وعلم الدّلالة (فريد عوض حيدر)١٤.

[٤] علم الدّلالة (أحمد مختار عمر) ١١.

المعجميّ))[1]، وهو رأيٌ لا يؤيده البحث العلمي، فضلا عن أنَّه يعبِّر عن رؤية ضيِّقة ((قنعت بالأمور السطحية ولم تأتِ بجديد في هذا الشأن أكثر من تقديم تسمية جديدة لدراسة قديمة معروفة هي صناعة المعجمات، وما يرتبط بها من تصنيف كلمات اللغة وإعطائها معانيها العامة)) [2].

ويشير الباحث كمال محمد بشر إلى أنَّ دراسة المعنى على مستوى اللفظة المفردة لا يمثِّل إلا اتجاهًا واحدًا من بين اتجاهات ثلاثة يغطيها البحث الدّلاليّ، والاتجاهان الآخران هما:

- اتجاه مُتخصِّص بدراسة المعنى على مستوى التركيب، ويعمد إلى بيان معاني الجمل والعبارت والعلاقات بين الوحدات اللغويَّة، مثل المورفيمات، والكلمات، وقد سمَّاها بعضهم المعاني النحويَّة، وهو اتجاه أسهمت اللسانيات التوليدية في بلورته وتشكيله، وكان لبحوث كاتز وفودر١٩٦٣م، وكاتز وبوستال ١٩٦٤م أثرها المباشر في تأصيل هذا الاتجاه.
- اتجاه يُخصَّص لدراسة المعنى على مستوى اللفظ أو العبارة أو كليهما، ولكن في إطار اجتماعي معيَّن ومن زاوية معيَّنة هي زاوية الاستعمال الحيّ في البيئة الخاصَّة[3].

وقد اهتم اللغويون العرب بأبحاث علم الدلالة، لم تكن دراسة الدّلالة في الثقافة العربيَّة حكرًا على المشتغلين في ميدان الدراسات اللغويَّة، فقد شاركهم بدراستها والبحث فيها علماءُ ينتمون إلى حقول معرفيَّة مختلفة، منها الفلسفة والمنطق، وعلم الأصول، والفقه، وإن اختلفت زوايا اهتمام كلِّ علم من هذه العلوم، ((فالألفاظ لاتصالها الوثيق بالتفكير كانت – وما زالت – مجالا مهمًا للدراسة الفلسفيَّة، ولصلتها بالعقل والعاطفة يتناولها أصحاب علم النفس، ولكنَّها – قبل هذا وذلك – عنصر من عناصر اللغة، ولذا يعرض لها اللغويُّون أيضا في بحوثهم، ويتناولونها من زاويتهم الخاصة، وإنْ كانت دراسات كلِّ هؤلاءِ من أهل العلم تتشابك حدودها، وتتقارب في بعض نواحيها حين تعرض للألفاظ ودلالة الألفاظ)) [4].

وكان أول تعريف لمفهوم الدّلالة في الثقافة العربيَّة قد ورد في مؤلفات عُنيت بالثقافة الأصولية، فقد عرَّفها أبو الحسن الجرجانيّ (تـ ٨١٦هـ) بقوله: ((الدّلالة هي كون الشيء بحال

---

[1] الكلمة – دراسة لغوية معجمية ١٢٩، وينظر: علم الدّلالة (لوشن) ٣٤.

[2] دراسات في علم اللغة (القسم الثاني) ١٥٣، وينظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ٢٤٢–٢٤٣ .

[3] ينظر: دراسات في علم اللغة (القسم الثاني) ١٥٣.

[4] دلالة الألفاظ ٦–٧، وينظر: اللسانيات والدّلالة ٤٧.

يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدالُّ والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول في عبارة النصِّ، وإشارة النصِّ، واقتضاء النصِّ، ووجه ضبطه أنَّ الحكم المستفاد من النظم إمَّا أنْ يكونَ ثابتًا بنفس النظم أولا، والأول إنْ كان النظمُ مسوقًا له فهو العبارة، وإلا فالإشارة، والثاني إنْ كان الحكم مفهومًا من اللفظ لغة فهو الدّلالة أو شرعًا فهو الاقتضاء)) [١]. ويعرّف الباحثون علم الأصول بأنَّه((إدراك القواعد التي يُتَوصَّلُ بها إلى استباط الأحكام الشرعيَّة من أدلّتها التفصيليَّة)) [٢]، وتُؤخذ هذه الأحكام من مصادر متعددة، في مقدمتها القرآن الكريم، ذلك أنَّ غاية الأصوليين تتعلَّق بدلالة تلك المصادر على الأحكام والتكاليف، وتتوقَّف هذه الدلالة على فهمهم طرائقَ العرب في تأليف الكلام، وما يستعملونه من أساليب ونظم وأدوات تدلُّ على معانٍ تطرأ على الكلام، من جهة الحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والاطلاق والتقييد والمنطوق والمفهوم، ((كما كانت هناك أشياء أخرى صوتيَّة وصرفيَّة ونحويَّة وسيميولوجيَّة إشاريَّة، غطَّت معالجتُهم لها حقولا من البحث، تسعى الاتجاهات الدّلاليَّة الحديثة اليوم إلى تغطيتها)) [٣]، ويمكن للمرء أن يزعمَ من غير وهمٍ ومبالغة ((أنَّ علم الأصول على وجه الإجمال إنَّما هو بحث في الدّلالة، لفظًا وجملة، نصًّا وسياقًا، وهذه أمور تشكل موضوع الدرس الدّلاليّ المعاصر، ومادة البحث فيه)) [٤].

أمَّا المناطقة، فقد كان لهم الأثر البارز في إثراء البحث الدّلاليّ، وإرساء قواعده الأولى، فضلا عن بلورة عدد من المفاهيم الدّلاليَّة المهمة، فقد قسَّموا أنواع الدلالات على عقلية، وطبيعية ، ووضعية ، وذلك بحسب طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول ومنشأ الفهم ، فان كان المنشأ العقل سُمّيت الدلالة عقلية، وذلك مثل دلالة اللفظ المسموع من وراء جدار على وجود اللافظ، وإن كانت العادة سُمّيت طبيعية، وذلك كدلالة لفظة (آخ) على وجع الصدر، فإنَّ الطبع هو الذي أقام هذه العلاقة، وإن كان الوضع والاصطلاح سُميت وضعية، وذلك كدلالة لفظ الانسان على الحيوان

---

[١] التعريفات ٢١٥، وينظر: ابن جني وعلم الدّلالة ١٣ (رسالة ماجستير).

[٢] إرشاد الفحول ١٧٠، وينظر: الدّلالة القرآنية عند الشريف المرتضى ٦٨.

[٣] اللسانيات والدلالة ١٣، وينظر: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة ٣٤٢، وعلم الدّلالة (فريد عوض حيدر) ١٢.

[٤] اللسانيات والدلالة ١٢، وينظر: الدّلالة القرآنية في فكر محمد حسين الطباطبائي ٣٥.

الناطق[١]. ويرى المناطقة أنَّ الدّلالة تقوم على علاقة مزدوجة بين الدال والمدلول من جهة، وبينها وبين المتلقي من جهة أخرى، إذ لحصول هذه الدّلالة لابدَّ أنْ يكونَ المتلقي قد أدرك العلاقة التي تربط الدالَّ بالمدلول[٢].

وسيطرت النزعة المنطقية على عدد من الدراسات الدّلاليَّة المعاصرة، حتى أنَّها عُدَّت وجهًا آخرَ للبحث في المنطق، وقد تنبَّه اللسانيُّون على هذا الأمر، وسعوا إلى التخلّص منه، وإحلال الرؤية اللغويَّة للمعنى محلّ الرؤية المنطقيَّة له[٣].

إنَّ علم الدّلالة– استنادا إلى ما تقدَّم آنفًا – هو إنتاج مشترك بين عدد من العلوم الإنسانيَّة، وهو في النهاية حاصل ((تداخل العلوم وتساندها تنظيرًا وممارسة، وهو في الوقت نفسه حاصل تطوره الذاتي منهجًا وتصورًا)) [٤]، وسيبقى في تطور دائم ومستمر، ما دامت الحياة الإنسانيَّة مستمرة في التطور والتجدد، وما دام النشاط اللغويُّ يصاحبها ويعبِّر عن جميع المتغيرات التي تطرأ عليها، وهذا يشير بوضوح إلى أنَّ علم الدّلالة هو العلم الذي ترتبط ضرورة وجوده بضرورة انفتاحه، وهو ما يعطيه خصوصية بين حقول المعرفة الأخرى[٥].

ولمَّا كان علم الدّلالة رابطة رحم بين عدد من العلوم الإنسانيَّة فإنَّ الحديث عن وجود علوم للدّلالة أصبح ممكنًا؛ لذا اقترح دارسون دلاليُّون محدثون ضرورة تحديد المصطلح وتأطيره بالدّلالة اللغويَّة[٦]، في حين يرى جون لاينز أنَّه عندما يطلق مصطلح " علم الدّلالة " من غير قيد أو وصف فإنَّه ينصرف إلى علم الدّلالة اللغويّ[٧].

---

(١) ينظر: معيار العلم ٤٢ ، وعن البحث الدلالي العربي ١٠٥_ ١٠٦، ضمن كتاب تقدم اللسانيات في الأقطار العربية.

(٢) ينظر: منطق العرب من وجهة نظر المنطق الحديث ٣٩ ، والدّلالة القرآنية عند الشريف المرتضى ٦٧.

(٣) ينظر: اللسانيات والدلالة ١٢.

(٤) اللسانيات والدلالة ٣٢.

(٥) ينظر: نفسه .

(٦) ينظر: علم الدلالة العربيّ ٨.

(٧) ينظر: مقدمة في علمي الدّلالة والتخاطب ١٣.

❖ **علم الدّلالة Semantics – مولد المصطلح**

لم تكن دراسة اللغة منظورًا إليها من جانبها الدّلاليّ وقفًا على اللغويِّين حسب، بل كانت مشاعًا بين ميادين معرفية مختلفة، من بينها علم الأصول والفلسفة والمنطق على نحو ما بينا؛ لأن المعنى بوصفه موضوع علم الدلالة كان هو الغاية التي تسعى اليها جميع هذه العلوم. ولم يكن ذلك بمختلف عمَّا كان سائدًا في الممارسة الغربية، يقول الباحث مازن الوعر: ((إنَّ الدّلاليَّات أصبحت ملتقى لكلِّ تفكير، بل ملتقى لحقول دراسيَّة عديدة، فالفلسفة، وعلم النفس، واللسانيَّات وغيرها من العلوم لها علاقة مهمة وعميقة بهذا الموضوع، ولكن اهتمامات هذه العلوم بالدّلاليَّات تبقى متشعبة ومختلفة، وذلك لاختلاف المنطلقات النظريَّة)) [١].

لقد مرَّ مصطلح " الدّلالة " في الثقافة الغربيَّة بمسميات متعددة، قبل أن ينتهي إلى مسماه المعروف، ومن أولى هذه التسميات (La semasiologie)، وهي كلمة مأخوذة عن أصل يوناني(sema) ، أي (معنى)، ونبَّه بييرجيرو على أنَّه قد شاعت بعد هذه التسمية مصطلحات أخرى تدلُّ على المعنى، مثل[٢]:

Sematologie,Glossologie,Rhematique,Rhematologie

لكنَّ الغلبة والشيوع كانت لمصطلح (Semantics) في الانجليزية و Semantique في الفرنسية[٣]، ويغلب على المصطلح الأول استعماله بحذف (s) وصفًا في كثير من الأحوال[٤].
الأحوال[٤].

ويعدُّ الفيلولوجي الفرنسي ميشيل بريال Michel Breal، أول من وضع في العام ١٨٩٧م دراسة علميَّة مستقلة، عنيت بالمستوى الدلالي في كتاب مستقل سمَّاه (مبحث في علم الدّلالة) [٥].

---

[١] علم الدلالة (بييرجيرو) مقدمة الدكتور مازن الوعر ١٠، وينظر: علم الدّلالة (بالمر) ١٧.
[٢] ينظر: علم الدّلالة (بييرجيرو) ١٩–٢٠.
[٣] ينظر: اللسانيات والدّلالة ٢٥.
[٤] ينظر: المعنى وظلال المعنى ٨٨.
[٥] ينظر:اللسانيات والدّلالة ٢٦، المعنى وظلال المعنى ٨٩، وعلم الدّلالة (فريد عوض حيدر) ١٢.

وقد استعمل بـريال مصطلح Semantics حتى يميز دراسته هذه من غيرها من فروع الدراسة اللسانيَّة، وليصبح مصطلح " الدّلالة " عنوانًا لمستوى من مستويات الدرس اللساني في مقابل الصوت والصرف والتركيب.

ثمّ انتقل مصطلح علم الدّلالة إلى الانجليزية، وحظي بإجماع جعله متداولا بغير لبس، وعمدت المعجمات الانجليزية إلى التعريف بهذا العلم، فعرف معجم (Webster) علم الدّلالة بأنَّه علم المعنى الذي يختلف تمامًا عن علم الأصوات، وهو الدراسة التاريخية والسيكولوجية للتغير في معاني الكلمات وتصنيفها.

أمَّا معجم (Winston)؛ فيرى أنَّ علم الدّلالة هو علم معاني الكلمات، وفهم النمو التاريخي لمعاني المفردات، وهو يختلف عن علم الأصوات والسمعيات[١].

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو هل إنَّ المجتمعات البشرية انتظرت حلول نهاية القرن التاسع عشر كيما تدرس الدّلالة، وتوليها اهتمامًا، أو انَّها تعرّضت إلى مسائل الدّلالة وقضاياها قبل هذا التاريخ ؟. للإجابة عن هذا السؤال يمكن القول: إنَّ افتقاد علم متخصّص بدراسة المعنى لا يعني بأيِّ شكل من الأشكال أنَّ حضارات الأمم السابقة لم تُعنَ بدراسة المعنى ومتابعة مساراته قبل نهاية القرن التاسع عشر، وإنَّما يعني هذا التاريخ تحديد مصطلح "علم الدّلالة" وقصره على حقل لغويّ معيّن يُعنى بدراسة المعنى. وفي هذا الصدد يميّز الباحث فايز الداية بين مرحلتين من مراحل الدرس الدّلاليّ ((الأولى هي التناول الدّلاليّ ضمن اهتمامات لغويَّة أخرى، أو على نحو مشتجر بضروب الثقافة الأخرى، من غير أنْ يحمل عنوانًا مميزًا له استقلاله ومصنفاته ومعاييره الموثقة، وقد امتدَّ هذا قرونًا إلى أن التفت الباحثون في المرحلة الثانية إلى التركيز على قضايا الدّلالة، ووضع مصطلح Semantique، وفي هذه المرحلة أفاد علم الدّلالة من نتائج المناهج اللُّغويَّة سواء في الاتجاه التاريخي المقارن...والمعتمد على الجانب التأصيلي الاشتقاقي...أو في اتجاه وصفيّ تزامنيّ، له أسسه النابعة من نظرات تحليلية اجتماعية ونفسية وفكرية، فضلًا عن البنى اللغويَّة ذاتها، كما جاء لدى سوسير)) [٢].

---

[١] ينظر: علم النفس اللغويّ ٦٨.

[٢] علم الدّلالة العربيّ ٧.

وفي مراحل تاريخية لاحقة شهد " علم الدّلالة " تحولات كبرى، فبعد أنْ كانت الدراسة الدّلاليَّة مقصورة على مراقبة معاني المفردات ورصد حركتها التطوريَّة، أي العناية بالعناصر الداخلية للألفاظ شرع الدارسون المحدثون بالتوجّه نحو العوامل الخارجية ذات الأثر في معاني المفردات من انسانية واجتماعية وثقافية[1].

وبعد أن اطلع الدارسون العرب المحدثون على الدراسات اللغوية الغربية الحديثة، بفعل المستشرقين الذين درسوا في الجامعات المصرية، والباحثين الذين أُوفدوا إلى الجامعات الغربية، وتحديدا البريطانية انتقل مصطلح (Semantics) إلى البلاد العربيَّة، ووضعت بإزائه مقابلات عربية متعددة، منها " علم الدّلالة "، و" علم المعنى "، و" الدّلاليات "، و" علم الدلالات " و" السيمانتك "، وفضل مجمع اللغة العربية في القاهرة استعمال مصطلح (السيمية)، غير أنَّ الغلبة والشيوع كانا لـ" علم الدّلالة "، الذي جاء عنوانًا لعدد من المؤلَّفات التي عُنِيت بالوقوف على الجانب الدّلاليّ من اللغة.

نظريات دراسة المعنى

لقد ظهر في ميدان الدرس اللساني عدد من النظريات الدلالية التي حاولت أن تبين حقيقة المعنى وماهيته، وهو ما أدى إلى بروز عدد من النظريات الدّلاليَّة التي تحاول –قدر الإمكان – عقلنة المعنى، والقبض على الكيان المعنوي، وقد تباينت وجهات نظرها في فهم المعنى وتعددت رؤاها تبعا للمنطلقات النظرية التي تنطلق منها، ومن أهم هذه النظريات هي:

النظرية الإشارية

ترتبط هذه النظرية بالعالمين البريطانيين أوجدن وريتشاردز اللذين أشارا إلى ما تتصف به مشكلة المعنى من تعقيد، وذكرا له زهاء ستة عشر تعريفًا[2].

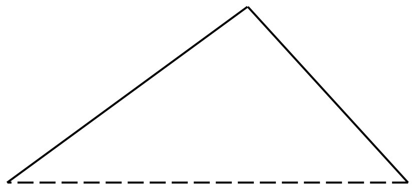
وعبَّر أوجدن وريتشاردز عن نظريتهما في المعنى من طريق الثالوث العلائقي، الذي أسمياه بـ " مثلث الإحالة " لأنَّ الدلالة في نظرهما هي هذا الإرجاع الى مرجع معين[1]، ويربط المثلث بين الرمز والفكرة والشيء أو المرجع[2] .

---

[1] ينظر: اللسانيات والدّلالة ٤١، ومنهج البحث اللغويّ ٨٦.

[2] ينظر: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ١٢٦.

الفكرة أو الاشارة ب Thought or referen



المرجع Referent ج أ الرمز symbol

فالرمز وهو الدالّ عبارة عن شكل صوتيّ منطوق مسموع، أو شكل بصري مكتوب مقروء، أمَّا الفكرة فهي المفهوم أو المدلول، وهي الصورة أو الصفات التي يختزنها الدماغ لشيء ما، والمرجع عبارة عن المُشار إليه أو المدلول عليه، وهو موجود خارج الذهن، وخارج البنية اللغويَّة(٣).

ويرمي أوجدن وريتشاردز من هذا المثلث إلى القول إنَّه ليست هناك علاقة مباشرة بين الرمز والمرجع، وقد رمزا إلى ذلك بخطٍّ منقوط(٤)، إنَّ الجوهري في نظرية أوجدن وريتشاردز هو ادخال فكرة المرجع في العملية الدلالية، وهو ماكان قد أهمله دي سوسير، وقد تعرضت هذه النظرية إلى انتقادات من لدن عدد من الباحثين، من ذلك أنها تقوم على أساس دراسة الموجودات الخارجية، ولكي نعطي تعريفا للمعنى على وفق هذه النظرية لابد أن نكون على علم دقيق بكل شيء في عالم المتكلم، فضلا عن أنها لاتستطيع بيان معاني عدد من الكلمات مثل(لو، إلى، ولكن، وأو...)لأن هذه الكلمات وغيرها لاتشير الى موجودات خارجية، بل معناها مما يمكن أن يفهمه السامع والمتكلم.

النظرية السلوكية:

تعطي النظرية السلوكية اهتماها للجانب الذي يمكن ملاحظته، وهي بذلك تخالف النظرية التصورية التي تركز على الفكرة أو التصور. والسلوكية تشكك في كل مصطلح ذهني مثل العقل والتصور والفكرة.

---

(١) ينظر: اللغة والدلالة ٤٥ .

(٢) ينظر: دور الكلمة في اللغة ٦٣، ومنهج البحث اللغويّ ١١٣.

(٣) ينظر: مدخل الى علم اللغة ١٢٤-١٢٥.

(٤) ينظر: البحث الدّلالي عند ابن سينا ٩٠.

وتقوم النظرية السلوكية على مبدأ المثير والاستجابة، ويُطلَق المثير على الأحداث التي تسبق الحدث الكلامي، وتكون سببًا في كلام المتكلِّم، أمَّا الأحداث التي تلي الكلام فتُدعى الاستجابة(١).

ويُعدُّ اللسانيّ الأميركيّ ليونارد بلومفيلد واحدًا من أبرز المتأثرين بمبادئ النظرية السلوكية، إذ سعى الى تطبيق آراء السلوكيين على اللغة(٢)، وشرع ببثِّ تلكم الآراء في كتابه (اللغة) الصادر في لندن عام ١٩٣٣م، واتبع في كتابه – كما يقول روبنز – منهجًا أمبريقيًا (تجريبيًا) ((يركِّز بشكل مدروس على تلك الجوانب من اللغة التي يمكن أنْ تُعالَج على نحوٍ تامٍّ بناء على الأُسس الأمبريقية كما فهمها هو)) (٣)، وقد أدَّاه منهجه هذا الى التركيز في الجانب الفيزيائي من اللغة، مثل الصوت والصرف والتركيب؛ لأنَّ هذه المستويات هي الأكثر ملاءمة للفحص الموضوعي المنضبط، فهي جوانب مُلاحَظَة ومُدرَكَة بشكلٍ عامّ(٤). ويمتدح جفري سامسون هذا الجانب من السلوكية، ويصفه بأنَّه جانبٌ جيدٌ، ولم يكن مصدر ضررٍ للسانيات، ((ففي علم الأصوات الوظيفي وعلم الصرف وعلم النحو كان الجانب الجيد من السلوكية هو المطلوب، ففي كلِّ هذه المجالات كان لسلوكية بلومفيلد تأثيرٌ حميدٌ، جعل من اللسانيين يُطهِّرون تحليلاتهم من الاعتماد على الحدس، أو الحِكَم الشعبية المتوارثة، وبذلك أصبحت التحليلات علمية أصيلة...)) (٥).

تمثِّل اللغة من منظور بلومفيلد مثيرًا للكلام واستجابة لهذا المثير، فالمتكلِّم عندما يتكلَّم يفعل ذلك استجابة لمثيرٍ خارجيٍّ، ويصبح كلامه بالنسبة إلى المتلقي مثيرًا يتطلَّب استجابة، وهكذا دواليك(٦)، وقد أوضح بلومفيلد الطريقة التي تُستَعمَل فيها اللغة من طريق مثاله المعروف عن جاك جاك وجيل والتفاحة، يقول: ((نفترض أنَّ جاك وجيل يسيران في طريق، وجيل تستشعر الجوع، ترى جيل تفاحة على شجرة، فتُحدِث ضجة بحنجرتها ولسانها وشفتيها، فيقفز جاك من على السور، ويتسلَّق الشجرة، ويقطف التفاحة، ويُحضرها لجيل، ويضعها في يدها، فتأكل جيل التفاحة))(٧). إنَّ استعمال اللغة – كما هو واضح عند بلومفيلد – يخضع لنظرية المثير والاستجابة، فشعورُ جيل

(١) ينظر: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ٢٥.

(٢) ينظر: البنيوية في اللسانيات ١٠٠، واتجاهات البحث اللساني ٢٧٨، والمعنى وظلال المعنى ١١٤.

(٣) موجز تاريخ علم اللغة ٣٤١، وينظر: جومسكي ٣٧.

(٤) ينظر: اتجاهات البحث اللساني ٢٧٨، وموجز تاريخ علم اللغة ٣٤١.

(٥) مدارس اللسانيات ٦٤، وينظر: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ٢٧.

(٦) ينظر: المعنى وظلال المعنى ١١٤، واللسانيات والدلالة ١٧٨،.

(٧) علم اللغة (السعران) ٣٠٥-٣٠٦، وينظر: المعنى وظلال المعنى ١١٤.

بالتقلُّصات في معدتها، ورؤيتها التفاحة أمامها، كلُّ ذلك يُعدُّ مثيرًا، لكنَّه مثيرٌ غيرُ لغويٍّ، أمَّا كلام جيل إلى جاك فهو استجابةٌ من جيل، ومثيرٌ لجاك، وصعود جاك السور، وإحضاره التفاحة، وإعطاؤها لجيل هو الاستجابة.

النظرية السياقية:

ترتبط النظرية السياقية باللساني البريطاني " جون روبرت فيرث " (١٨٩٠م–١٩٦٠م) وهي ترفض دراسة اللغة دراسة تكتفي بتحليلها إلى مستويات جزئية، صرفية وتركيبية ودلالية مستقلة، وإنَّما تدعو إلى دراستها في بعدها الثقافيِّ والاجتماعيِّ والنفسيِّ .

وتُعدُّ نظرية السياق (context theory) التي دشَّنها فيرث الإسهام الحقيقي للمدرسة الانجليزية، في مقابل الاسهامات الأوروبية والأمريكية الأخرى، إذ هيَّأت هذه النظريةُ المدرسةَ الانجليزيةَ لتكون المدرسة اللغوية الرابعة، إلى جوار المدارس اللغوية الكبرى في براغ وكوبنهاكن وأمريكا[(١)].

ويُقسَّم السياق على قسمين:

١. السياق اللغوي.

٢. السياق غير اللغوي، أو سياق الموقف، أو سياق الحال.

والمفهوم الأول هو الأكثر شيوعًا عند الدارسين، فهو الجواب التقليديُّ والبدهي، عندما يُثَار السؤال الآتي: ما السياق؟ إنَّه سلسلةٌ من التتابعات اللغوية التي تحفُّ بالكلمة، وتساعد في الكشف عن معناها[(٢)]. غير أنَّ الباحثين تجاوزوا هذا المفهوم إلى مفهومٍ أرحب، أصبح السياق بمقتضاه يدلُّ على مجموعة الظروف التي تحيط بالحدث اللغوي، والتي تُسهم في تحديد معناه، والوقوف على قصد المرسِل، ومرجع العلامات...إلخ[(٣)].

فالسياق إذن هو المحيط الذي تقع فيه الوحدة اللغوية، سواء أكانت كلمة أم جملة، في إطار من العناصر اللغوية وغير اللغوية، وهو مقابلٌ للمصطلح الانجليزي context.

لقد مثَّلت جهود الأنثروبولوجي البولندي برونسلاو مالينوفسكي (١٨٨٤م–١٩٤٢م) البداية الحقيقية لفكرة سياق الموقف[(٤)]، وذلك عندما حاول ترجمة كلمات مستقلة من إحدى اللغات البدائية البدائية إلى سكان جزر تروبرياند، في جنوبي الباسفيك، ففشل في إقامة ترجمة مرضية للنصوص

---

(١) ينظر: دلالة السياق ١٨٩.

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب ٤٠.

(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب ٤٠–٤١، والنص والخطاب والإجراء ٩١.

(٤) ينظر: موجز تاريخ علم اللغة ٣٤٩.

التي سجَّلها لصاحب زورق يفاخر شخصًا آخر، فقد سجَّل على سبيل المثال عبارة لصاحب زورق طويل خفيف ضيِّق يُقَاد بمجداف ما ترجمه: (نحن – نجري – أمام – خشب أنفسنا – نرى زملاء – يجري...) [(١)]، يقول مالينوفسكي: ((إنَّ لهذا القول معنى فقط إذا وضعنا الجملة في السياق الذي استُعْمِلت فيه أصلا، إذ سيكون واضحا أنَّ الخشبة مثلا تُشير إلى مجذاف الزورق)) [(٢)]، وأكَّد أنَّ اللغات الحية يجب ألاّ تُعَامل معاملة اللغات الميتة، ويجب ألاّ تُنْزَع من سياقها((بل يُنْظَر إليها كما استخدمها أفرادٌ للصيد أو الحرث أو البحث عن السمك. إنَّ اللغة – كما تُسْتَخدم في الكتب – ليست هي المعيار على الاطلاق، فهي تمثِّل وظيفةً اشتقاقيةً متكلفة للغة؛ لأنَّ اللغة لم تكن أصلاً مرآة لفكرٍ منعكسٍ)) [(٣)].

وعمد مالينوفسكي إلى تقديم شرحٍ لنظرية سياق الموقف، التي توصَّل إليها من طريق أبحاثه الحقلية في بحثه الذي سمَّاه (مشكلة المعنى في اللغات البدائية) والذي أُلحِق بكتاب (معنى المعنى) لأوجدن وريتشاردز، وقد عُدَّ هذا البحث نقطة تحول في البحث الانثروبولوجي[(٤)].

لقد حاول فيرث سحب هذه المقاربة على اللغة، بمعالجته الحدثَ اللغويَّ كلَّه بوصفه تحديدًا للمعنى، إذ أصبح المعنى المنطلق الأساسيَّ في عملية التحليل اللغوي، واعترف بأنَّه مدينٌ لمالينوفسكي بفكرة سياق الحال، غير أنَّ هذه الفكرة تطوَّرت عند فيرث وأصبحت نوعًا من التجريد الذي يقوم به اللغويون للوفاء بمتطلَّبات دراستهم[(٥)]، ونظر إلى السياق على أنَّه الإطار المنهجيُّ الذي يمكن تطبيقه على الأحداث اللغوية، أو هو على نحو ما يرى بالمر جزءٌ من أدوات اللسانيِّ، مثلها مثل الفصائل النحوية التي يستعملها[(٦)].

ويشتمل سياق الحال أو سياق الموقف أو الماجريات عند فيرث على جملةٍ من العناصر المكوِّنة للموقف الكلامي، ومن هذه العناصر:

---

(١) ينظر : علم الدلالة (بالمر) ٦١، وينظر: الدلالة والنحو ٣٨.

(٢) علم الدلالة (بالمر) ٦١.

(٣) علم الدلالة (بالمر) ٧٤-٧٥.

(٤) ينظر: اللغة علوم المجتمع ٢٦.

(٥) ينظر: علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي ٣١٠.

(٦) ينظر: علم الدلالة (بالمر)٦٣ .

1) شخصيتا المتكلِّم والسامع، وتكوينهما الثقافي، وشخصيات من يشهد الكلام وغيرهما، ومدى مشاركتهم في الموقف الكلامي.
2) العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة، وبالسلوك اللغوي، كحالة الجوِّ، والوضع التخابريِّ، ومكان الكلام.
3) أثر الحدث الكلاميِّ في المشتركين مثل الإقناع، أو الإغراء، أو الضحك[1].

وكلَّما توفَّر المتلقي على معلومات عن هذه العناصر كانت أمامه حظوظٌ قويةٌ لفهم الرسالة أو تأويلها، فيجب((على محلِّل الخطاب أنْ يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يرد فيه جزءٌ من الخطاب، إذ هناك بعض الحدود اللغوية التي تتطلَّب معلوماتٍ سياقيةً أثناء التأويل، ومن هذه الحدود المُعيِّنات مثل: هنا، الآن، أنا، أنت، هذا، ذاك، من أجل تأويل هذه العناصر حين ترد في خطابٍ ما، من الضروري أنْ نعرف على الأقل مَنْ هو المتكلِّم، ومَنْ هو المستمع، وزمان ومكان إنتاج الخطاب)) [2].

لقد نظر فيرث إلى المعنى على أنَّه وظيفةٌ في سياق، بل إنَّه جعل مصطلح الدلالة مرادفًا للدراسة السياقية، ونُظِرَ إلى هذا الرأي على أنَّه تحولٌ جوهريٌّ في النظر إلى المعنى، فبعد أنْ كان يُنْظَر إليه على أنَّه علاقة بين اللفظ وما يُحيل عليه في الخارج أو في الذهن من حقائق وأحداث، أصبح يُنْظَر إليه على أنَّه((مركبٌ من العلاقات السياقية)) [3]. لقد عُدَّ هذا الرأي نقلة أبستمولوجية كبيرة في الدراسات اللسانية، فضلاً عن أنَّه فتح الباب واسعًا نحو نهجٍ جديدٍ في دراسة المعنى، على نحو يُراعي الاستعمالات الفعلية للغة، إذ يرى فيرث((أنَّ الوقت قد حان للتخلِّي عن البحث في المعنى بوصفه عملياتٍ ذهنيةً كامنةً، والنظر إليه على أنَّه مركبٌ من العلاقات السياقية، وذهب إلى أنَّ الوظيفة الدلالية لا تتأتَّى إلاّ بعد أنْ تتجسَّد القولة في موقفٍ فعليٍّ معين، أي بعد أنْ تخرج

---

[1] ينظر: علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي ٣١١، وعلم الدلالة (بالمر) ٧٧، وأضواء الدراسات اللغوية المعاصرة ١١٥، وفصول في علم الدلالة ١٢٤.
[2] لسانيات النص ٢٩٧.
[3] مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ٢٩، وينظر: فصول في علم الدلالة ١٢٣، ومدخل الى اللسانيات ٧٨-٧٩.

من خانة الوجود الوضعي الكامن الى حيِّز الوجود الاستعمالي الفعلي، وهو أمرٌ لا يتحقَّق – حسب رأيه – إلاّ في سياق الموقف)) [١].

نظرية الحقول الدلالية:

الحقل الدلالي أو المعجمي هو مجموعة من الكلمات التي ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، مثال ذلك الكلمات الدالة على الألوان في اللغة العربية، فهي تقع تحت مصطلح عام هو (اللون)، وتضم ألفاظا مثل أحمر، أزرق، أخضر، أبيض...الخ.

وترى هذه النظرية انه لكي نفهم معنى كلمة معينة يجب أن نفهم كذلك مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليا، لذلك يعرف الدارسون المعنى في ضوء هذه النظرية بانه محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي.

[١] مدخل الى اللسانيات ٧٩.

٥- المستوى التداولي

التداول لغةً: مصدر تداول، يقال: دال يدول دولاً: انتقل من حال إلى حال، وأدال الشيء: جعله متداولاً، وتداولت الأيدي الشيء: أخذته هذه مرة وتلك مرة[١].

أما اصطلاحا فيسود الإبهام كثيراً من المصطلحات والمفاهيم المتاخمة للحقل التداولي، فالتداولية نفسها عبارة عن مجموعة من النظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات، ومتفقة في النظر إلى اللغة بوصفها نشاطاً يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد. وعلى الرغم من عدم الوضوح الذي اكتنف التداولية، فإن مجمل الأفكار والملاحظات والتساؤلات- التي لم تتمكن المدارس اللسانية (ومنها البنيوية) من الإجابة عنها – قد وجدت سبيلها في هذا الاتجاه.

تعني لفظة Pragma في الإغريقية فعالية أو عملا أو مسألة[٢]، وتعني التداولية عند رائدها الأول (تشارلز موريس ١٩٣٨م): ((دراسة العلاقة بين العلامات ومفسريها))[٣]، فهي تهتم بمنتجي اللغة لا باللغة فقط، ويعدّ هذا التعريف المؤسس الوعاء الذي انصبت فيه التحديدات اللاحقة التي ترى أن اللغة بوصفها نشاطاً كلامياً، تتحكم فيها مجموعة من الشروط الذاتية والموضوعية فأي ((تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق الذي تؤول فيه الجملة))[٤].

ويتجاذب التداولية أكثر من تعريف، فقد حدّت على أنها: اتجاه في الدراسات اللسانية، يعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، ولاسيما المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق[٥]، وتشمل هذه المعطيات:

– معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك في الحدث اللغوي.

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة: دول.

(٢) ينظر: شظايا لسانية: ٥٩.

(٣) وصف اللغة العربية دلالياً: ١١٧، وينظر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية:٨، شظايا لسانية: ٢٩.

(٤) تحليل الخطاب المسرحي: ٨.

(٥) ينظر: البراغماتية وعلم التركيب: ١٢٥.

– الوقائع الخارجية، ومن بينها الظروف المكانية والزمانية والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة.

– المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، وأثر النص الكلامي فيها(١).

ومنهم من يلخص التداولية في دراسة الآثار اللغوية التي تظهر من الخطاب، وتنظر في عنصر الذاتية للخطاب، ويشمل هذا التداول ضمائر الشخص ومبهمات الزمان والمكان، وينظر في الجانب الضمني والتلميحي والحجاجي للكلام، والسياق يفرض على الباحث احترام مجموعة من قوانين الخطاب في أثناء مخاطبته الآخر(٢).

ويضع "لنفسن" تعريفاً أضيق للتداولية، يقول فيه: ((التداولية دراسة العلاقات بين اللغة والسياق كما هي مقعدة أو كما تعكسها بنية اللغة))(٣).

ولا يبتعد مفهوم "هلل" عن التعريف السابق فهو يرى أن التداولية هي ((دراسة الارتباط الضروري لعملية التواصل في اللغة الطبيعية بالمتكلم والسامع بالمقام اللغوي وبالمقام غير اللغوي وارتباطها بوجود معرفة أساسية وبسرعة استحضار تلك المعرفة))(٤).

ولعل انصرافها إلى المقام جعل بعض الباحثين يرى فيها ((دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة))(٥)، أو هي ((العلم الذي يدرس تأثير المقام في معنى الأقوال))(٦)

فالتداولية تتجاوز الوصف التركيبي للجملة ودرجة نحويتها، "وهذا مدار علم التركيب" أو علاقة المعجم المكوّن للقضية بالخارج، "وهذا مدار علم الدلالة" وتتخذ موضوعاً للبحث: القول منزلاً في المقام المعين، وتؤكد أثر المعارف غير اللغوية في تأويل الأقوال وفهم المقاصد، فثمة قضية جوهرية بالنسبة إلى التداولية تكمن في تحديد العلاقات بين هذين المقامين: الداخلي والخارجي للعبارة، وفي رؤية كيف أن المقام الثاني يتدخل في بناء المقام الأول والتفاعل بين الاثنين في تأويل الملفوظ وتفسيره.

---

(١) ينظر: البحث اللساني والسيميائي (بحث): ٣٠١-٣٠٣.

(٢) ينظر: شظايا لسانية: ٥٩.

(٣) م. ن: ٥٩.

(٤) السيمياء وفلسفة اللغة: ٤٥٥.

(٥) القاموس الموسوعي: ٦٧٧.

(٦) التداولية اليوم: ٢٦٤، وينظر: التراكيب الإعلامية: ٥٧.

نشأة التداولية:

ينظر إلى التداولية على أنها مبحث لساني جديد، لكن البحث فيها يمكن أن يؤرخ له منذ القدم، إذ كانت تستعمل كلمة Pragmaticus اللاتينية، وكلمة Pragmaticas الإغريقية بمعنى "عملي" ويعود الاستعمال الحديث والمتداول على تأثير "البراغماتية"[١].

وإذا حاولنا البحث عن الجذور الأولى "للتداولية" فيمكن تلمسها في الاتجاه التحليلي في الفلسفة "الفلسفة التحليلية"، وهو الاتجاه الرئيس في فلسفة اللغة، أو التيار الغالب في الفلسفة المعاصرة الذي ركّز على موضوع اللغة، وحاول تغيير مهمة الفلسفة وموضوعها وممارستها.

وقد تأثر بالتجديد الفلسفي الذي جاء به "فريجه" عدد من الفلاسفة منهم "هوسرل" و "كارناب" و "فيتغنشتاين" و "اوستن" و "سيرل"، وتجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسلمة عامة مشتركة، مفادها: أن فهم الإنسان لنفسه وعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تعبّر له عن هذا الفهم، وتلك رؤية مشتركة بين جميع تيارات الفلسفة التحليلية واتجاهاتها.

ويمكن القول إن البداية الفعلية للتداولية تبلورت من أعمال فلاسفة اللغة، لاسيما مناقشات "جون اوستن J. Austin ١٩٥٠م" في جامعة هارفارد، ويجب أن نذكر هنا أنه لم يفكر في تأسيس اختصاص فرعي للسانيات، وإنما توخى تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة، ووضع "أوستن" وتلميذه "سيرل" نواة التداولية، وطورا من وجهة نظر تحليلية مفهوم "الفعل اللغوي"[٢].

وفي العام "١٩٥٧م" نشر فيلسوف آخر هو "بول غرايس" مقالاً في الدلالة كانت له أهمية تاريخية، وبعد مرور عشر سنوات ألقى "غرايس" "محاضرات وليام جيمس" هذه المحاضرات التي لم تسمح فقط بإحداث تقدم في مستوى معرفتنا باللغات الطبيعية، وإنما أحدثت تغييراً طال حتى هندسة اللسانيات، فاكتشاف الأبعاد التداولية للغة فتح آفاقاً أرحب وأنتج أسئلة جديدة ستكون مسوغاً للاعتراف بالتداولية بوصفها أحدث بحث أفرزته اللسانيات الحديثة، البحث الذي يولي الشروط الخارج –لغوية أهمية قصوى والمتعلقة بالمقام والمتكلمين ومقاصدهم، وحيثيات الاستعمال والأفعال اللغوية، أو بعبارة التوليديين أصبحت جزءاً من دراسة الإنجاز[٣].

---

[١] ينظر: التداولية واللسانيات.

[٢] ينظر: الفلسفة واللغة: ١٠٤.

[٣] ينظر: البعد التداولي عند سيبويه (بحث): ٢٤٥-٢٤٦.

ويذهب بعض الباحثين إلى تاريخ أقرب للتداولية، إذ يؤرخ لها ببداية السبعينيات(١).

وخلاصة القول إن الدرس التداولي نشأ في أجواء معرفية انكبت على اللغة دراسة وفهماً وتوضيحاً، وأسهمت إسهاماً واضحاً في فتح فضاءات لدراسة ظواهر دلالية وتداولية كانت توسم بأنها مهملة أو مهمشة، إذ تم الانتقال من الإرث السوسيري وتأثيرات المدرسة البنيوية للغة في تهيئة الأجواء لبروز اللسانيات التداولية وما صاحبها وانبثق عنها من اتجاهات لسانية وظيفية أعطت الدرس اللغوي روحاً جديدة لم يألفها من قبل بطريقة ممنهجة وعلمية.

نظـرية أفعـال الـكلام

تقع نظرية الأفعال الكلامية في موقع متميز من المنهج التداولي في تصورات اللسانيين المعاصرين وتشكل جزءاً أساسياً من بنية النظرية بحسب العلماء المؤسسين للتداولية(٢).

يعود مصطلح "الأفعال الكلامية" إلى "بوهلر ١٩٣٤م"، وقصد به الاقتضاء الموافق للكلام، ومع ازدهار تحليل الملفوظ "كبنية للبحث" تبناه رواد التداولية وعلى رأسهم "أوستن ١٩٦٢" فأكسبه المدلول الحالي(٣).

والفكرة الأساسية عند "أوستن" هي أن دراسة المعنى يجب أن تبتعد من التراكيب الجوف مثل "الجليد الأبيض" بمعزل عن سياقاتها، لأن اللغة –عادة – تستعمل داخل سياق الكلام لتأدية الكثير من الوظائف، فحينما نتكلم فإننا نقدم اقتراحات، ونبذل وعوداً، ونوجه الدعوات، ونبدي مطالب، ونذكر محظورات، وما إلى ذلك، فاللغة مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر بضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية، حينما يقول القاضي "فُتحتْ الجلسةُ" يكون قد أنجز فعلاً اجتماعياً هو فتح الجلسة، تقول "أوركيوني": ((إن الكلام بدون شك هو تبادل للمعلومات ولكنه أيضاً تحقيق لأفعال مُسيَّرة وفق مجموعة من القواعد... من شأنها تغيير وضعية المتلقي وتغيير منظومة معتقداته و/أو وضعه السلوكي، وينجرّ عن ذلك أن فهم قول معين يعني التعريف بمحتواه الإخباري وتوجهه التداولي))(٤).

(١) ينظر: شظايا لسانية: ٦١.

(٢) ينظر: النص والسياق: ٢٥٥، التداولية عند العلماء العرب: ٥.

(٣) ينظر: اللغة والدلالة: ٦٤.

(٤) تحليل الخطاب المسرحي: ١٧٥-١٧٦، ينظر: الفلسفة واللغة: ١٠٤، اللسانيات الوظيفية: ١٨.

إذا تتبعنا تقسيم "أوستن" للجمل والقضايا والعبارات، لا نجده يقول بالتقسيم التقليدي أي تقسيمها إلى خبرية وإنشائية، ومن ثم الاحتكام إلى معيار الصدق والكذب، وإنما ينطلق من موقف جديد هو أن كل الجمل والعبارات مهما كانت طبيعتها –قابلة– ومعدة للتواصل ومن ثم فإن الوحدة الأساسية للغة هي الأفعال الكلامية التي ((تم انتاجها في الموقف الكلي الذي يجد المتخاطبون أنفسهم فيه))[١]، وإذا عددنا الأقوال أفعالاً، فإنها تعمل وتسعى لتحقيق شيء ما أو غرض ما، وعلى وفق هذا المنظور فإن القضية لا تتعلق بالصدق والكذب فقط، بل بالسياق والمناسبة أيضاً، يقول: ((إن صدق أو كذب حكم ما، لا يتعلق بدلالة الكلمات وحسب، بل بالمناسبات الدقيقة التي تم فيها))[٢].

وقد ميّز "أوستن" نوعين من الأقوال:

- **النوع الأول:** هي تلك الأقوال التي تصف حالاً معيناً لشيء أو شخص ويسميها "الأقوال التقريرية".

- **النوع الثاني:** فهي لا تصف ولا تخبر وغير خاضعة لمعيار التصويب، بل مزيتها الأساسية أن التلفظ بها يساوي تحقيق فعل في الواقع ويسميها "الأقوال الإنشائية".

وفي سيرورة بحثه عن الفروقات الدقيقة بين هذه الجمل والملفوظات، اكتسب "اوستن" شهرته بوصفه أحد الأعمدة الأساسية للتداولية، لكن، ولمجاوزة نقاط الضعف عند أستاذه قام "سيرل" ((بدفع نظرية أفعال الكلام إلى أقصى حدودها الدلالية الممكنة من حيث أنه قسّم الأفعال نفسها إلى أفعال مباشرة وأفعال غير مباشرة، وقام بتطوير بعدين أساسيين من أبعاد اللغة أهملهما أوستن في نظريته وهما: المقاصد والمواصفات، فمقاصد الأفعال اللغوية، ولكي تفهم، لابد لها من توفر مواصفات يتفق حولها المتخاطبون))[٣].

الأقوال الوصفية والأقوال الإنجازية:

ميز "اوستن" نوعين من الأقوال:

- **الأقوال الوصفية "المنطوق التقريري"**: هي تلك الأقوال التي تصف حالاً معيناً لشيء أو شخص، وقد أسماها النحاة العرب بالأساليب الخبرية، وهي ((أن الكلام إن احتمل الصدق والكذب

---

[١] عندما يكون الكلام هو الفعل: ٤١.

[٢] م.ن: ٤١.

[٣] فلسفة التواصل: ١٢، وينظر: نظرية الأفعال الكلامية، الموسوعة الفلسفية: ١٣٣.

لنفسه، بحيث يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب، إنه سمي كلاماً خبرياً، والمراد بالصادق ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقع وبالكاذب ما لم تطابق نسبة الكلام فيه الواقع))(١)، ومن خصائصها أنها تصف حالة الأشياء في الكون التي تسبق التلفظ، بحيث لا يرتهن وجود هذه الحالة بالتلفظ(٢).

– **الأقوال الإنجازية (المنطوق الأدائيّ)** وتقابل ما يسمى في العربية الإنشاء الإيقاعي، وهي لا تصف، ولا تخبر، ولا تمثل، وغير خاضعة لمعيار التصويب، ولكن مزيتها الأساسية أن التلفظ بها يساوي تحقيق فعل في الواقع، وهي أقوال توجد بوجود شروط وملابسات معينة يقترب التلفظ بها بتغيير حالة الأشياء في الكون، مثال ذلك:

١. أعلن الجلسة مفتوحة.

٢. أتحداك على صعود الجبل.

٣. آمرك بفتح الباب.

وينبغي أن تتوافر لهذه الأقوال مجموعة من الشروط، فقول القاضي: "أعلن الجلسة مفتوحة" ينتج منه فعل الافتتاح؛ وهو الوحيد الذي له الحق في ذلك، والمثال الثاني يمثل فعل التحدي، وللتحدي شروط، أهمها القدرة على القيام به.

أما المثال الثالث؛ فيمثل الأمر، ولتحقيق الأمر لابدّ أن يكون هناك آمر ومأمور، ونسق تحليلي يسمح بتحقيق الأمر، هذه الشروط يسميها أصحاب الفلسفة التحليلية بـ"القواعد التأسيسية".

إن أفعال الكلام حين إصدارها تنجز وضعيات جديدة، فقد أنجز التلفظ بالمثال الأول افتتاح الجلسة بعدما كانت مرفوعة، ومن ثمّ، فإن الحقيقة الوحيدة التي تستند إليها الأفعال الكلامية هي الإنجاز(٣). ومن أمثلة الأفعال الكلامية في العربية بعض صيغ العقود مثل "بعتك" و "أنت حر".

أنواع الأفعال الكلامية:

ميّز الباحثون في المنهج التداولي ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية:

(١) الأساليب الإنشائية: ١٣.

(٢) ينظر: التداولية اليوم: ٢٧٢.

(٣) ينظر: تحليل الخطاب المسرحي: ١٥٧، المقاربة التداولية: ٦١، علم الدلالة (بالمر): ٢٤٥.

أ- العمل القولي "الفعل التعبيري" ويقصد به الأصوات التي يخرجها المتكلم، أي جملة الأفعال الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.

ب- العمل المتضمن في القول "الفعل الغرضي" ويراد به أن المتكلم حين يلفظ بقول ما فهو ينجز معنى قصدياً أو تأثيراً مقصوداً، وهو ما أسماه "أوستن" قول الفعل وقد اشترط لتحقيق هذا المعنى الإنجازي ضرورة توفر السياق المعرفي الاجتماعي كالوعد على سبيل المثال.

ج- عمل التأثير بالقول "الفعل التأثيري: ويعني أن الكلمات التي ينتجها المتكلم في بنية نحوية منتظمة محملة بمقاصد معينة في سياق محدد تعمل على تبليغ رسالة وتحدث أثراً عند المتلقي أو المستمع. ويتمثل بما يحققه القائل بقوله من نتائج وما ينجزّ عنه من تبعات، كإزعاج المخاطَب وتخويفه وإقناعه أو حمله على سلوك معين أو صرفه عنه[1].

وبالقراءة الفاحصة للتقسيم السابق نجد أن "اوستن" يرجع أفعال الكلام إلى "فعل الكلام" و "قوة فعل الكلام" و"لازم فعل الكلام"[2]، ويمكن بيان هذا بتحليل الملفوظ الآتي: "إن لم تتعلم فسأهجرك" ففعل الكلام إنما هو التلفظ بهذه الجملة في حدّ نفسه، أما الفعل الإنشائي فيتمثل في التهديد أو التحذير، في حين أن الفعل التأثيري يتعلق في هذه الحال، باستثارة الخوف أو العدوانية أو التصميم على التعلم.

تصنيف الأفعال الكلامية:

وفي ضوء هذه المعايير صنفت الأفعال الكلامية على النحو الآتي:

١. **التقريرات** "**التوضيحات**": يتعهد المتكلم فيها أن محتوى التفوه حقيقي، وأنّ كلماته تطابق العالم الخارجي، مثل التفوه الذي يبدأ بـ أنا أؤكد، اعتقد، استنتج، افترض.

٢. **التوجيهات:** يحاول الباث دفع السامع إلى فعل شيء ما لفظي أو غير لفظي، مثل: يسأل، يتحدّى، يصرّ، يسمح...الخ، وخلافاً للتمثيلات تحاول التوجيهات أن تجعل العالم يطابق الكلمات: يقوم السمع بعمل ذي نتيجة إيجابية للمتكلم، فتأتي النصيحة بعمل لصالح السامع، أما السماح فيعني أن المتكلم لن يعترض على ما سيقوم به السامع من عمل لمصلحته وقد يكون على حساب المتكلم، وهذه المجموعة تحوي أفعالاً صريحة "يأمر، يطلب" وتشمل أفعالاً خفية مثل "يتحدى".

---

[1] ينظر: الفلسفة واللغة: ١٠٧-١٠٨، التداولية اليوم: ٢٦٧، مدخل إلى علم النص: ٢٣، نحو نظرية أسلوبية لسانية: ص٢١٥.

[2] ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة: ٧.

٣. **التعهدات** "**الالتزاميات**": يلزم المتكلم نفسه بعمل ما، مثل أضمن، اتعهد، أعد، أقسم، ويكون الاتجاه بمطابقة العالم للكلمات، كما هي الحال في التوجيهات، لكن في هذا الصنف، المتكلم نفسه هو الذي يتعهد بالقيام والعمل، ومن ثم يكون للقصد أو النية شأو في هذا الصنف.

٤. **التعبيرات** "**المعبرات**": وهي أقل وضوحاً من الأصناف الأخرى، إذ لا توجد هنا علاقة متحركة بين الكلمات والعالم الخارجي، ومغزى هذا الصنف من المقولات هو التعبير عن حالة نفسية يحددها شرط صدق النية المتعلق بموقف يحدده المحتوى الخبري، مثال ذلك الأمثال "يشكر"، يعتذر"، "يرثي".

٥. **الحكميات** "**الاعلانيات**": وهي أفعال يتغير العالم بعد النطق بها، وتتضمن أغلب الأفعال الشعائرية، ومن أمثلتها: استقيل، أنت مفصول، وهي تتطلب مؤسسات غير لغوية تحدّد قواعد استعمالها، مثل المحكمة أو لجنة، ويعد الصنف الأخير مفتاح التداوليين أو مدخلهم لاكتشاف نظرية أفعال الكلام[١].

ويشير الباحثون إلى تداخل هذه التصنيفات، إذ يتدخل السياق أحياناً ليجعل من فعل الحكم فعل ممارسة أو بالعكس. وهكذا في جميع المجموعات، كما أن هذا التقسيم لم يحظ بإجماع الباحثين في الحقل التداولي، فالأفعال الكلامية أفعال كثيرة يستحيل حصرها في مجموعات تصنيفية محددة.

---

[١] ينظر: التحليل اللغوي للنص: ١٣٣، دلالة السياق: ٢١٣، نظرية الأفعال الكلامية (بحث): ١٣٣٥-١٣٣٦، نظرية الفعل الكلامي: ١٢٤-١٢٦، تحليل الخطاب المسرحي: ١٦٠.

الفصل الخامس

اتجاهات الدرس اللساني

الفصل الخامس

اتجاهات الدرس اللسانيّ

أولا: الاتجاه المقارن/التاريخيّ

ثمة اختلاف بين الدارسين بشأن تسمية الآراء والتصورات اللغوية التي هيمنت على البحث اللغوي في بداية القرن التاسع عشر، فهناك من يطلق على هذه المرحلة مصطلح اللسانيات المقارنة أو النحو المقارن، ومنهم من يقسم هذه المرحلة على حقبتين هما: حقبة النحو المقارن وحقبة النحو التاريخي. غير أن ما يوحد المنهجين المقارن والتاريخي هو رغبتهما الشديدة في تحقيق هدق واحد ألا وهو إعادة البناء الداخلي للغات، بغية الوصول الى اللغة الأم، على أسس تاريخية ومقارنة، وهي لغة افتراضية لاوجود لها إلا في وثائق مكتوبة، ((ولا تخرج عن كونها افتراضا قابلا للتعديل في أي وقت طبقا لما تؤدي اليه بحوث المستقبل)) ([1])

ويعدُّ الباحثون اكتشاف اللغة السنسكريتية أهم حدث لغوي عرفه القرن الثامن عشر، وهو اكتشاف كشف العلاقة الوطيدة بين هذه اللغة واللغات الإغريقية واللاتينية. وكان هذا الاكتشاف منعطفا مهما أسهم في تجديد الدراسة اللغوية وبعث الروح فيها، وكانت سببا في بروز المنج المقارن، الذي تقتصر وظيفته على بحث الظاهرة اللغوية في عدد من اللغات التي تنتمي الى أصل واحد، كاللغات السامية والحامية والهندو أوروبية، ويهدف هذا المنهج الى((التأصيل التاريخي، كأن يستدل على قدم الظاهرة بالتماسها في أخواتها، أو حداثتها بتفرد اللغة المعينة بها من بين أخواتها، بحسب تاريخ حياة تلك اللغة)) ([2]).

ويعدُّ الدارسون هذا المنهج أقدم المناهج اللغوية الحديثة، وهو يتناول بالدراسة المقارنة عدة لغات تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة، معتمدًا في ذلك على تصنيف اللغات واللهجات المختلفة إلى أسر لغوية، على أنَّ القرابة بين هذه اللغات لم تكن معروفة بنحوٍ دقيق قبل اكتشاف اللغة السنسكريتية، التي قورنت باليونانية واللاتينية، فاتضح بعد المقارنة وجود صلة قرابة بين هذه اللغات، التي رأى الباحثون اللغويون أنَّها انحدرت من أصل واحد، وذلك بفضل ما انتبهوا عليه من

---

[1] –المدخل الى علم اللغة ٢٠٠–٢٠١، وينظر: مناهج البحث اللغوي ١٦٧.

[2] –المستشرقون والمناهج اللغوية ٤١، وينظر: اللسانيات العامة١٤٢، ومناهج البحث اللغوي١٦٧.

ملاحظة أوجه التشابه بين لغات الأسرة الواحدة، سواء ما كان في مجال الأصوات أم في مجال بناء الكلمة، أم في بناء الجملة.

ويعنى المنهج التاريخيّ بالبحث في تطور اللغة الواحدة عبر القرون في جوانبها المختلفة، وأية دراسة تاريخية للغة من جوانبها الصوتية، أو الصرفية، أو النحوية، أو الدلالية تُعدُّ من صميم المنهج التاريخيّ، ويشترط في دراسته لجوانب اللغة الواحدة مساحة زمنية واسعة، حتى يتسنى للباحث من خلالها استظهار ما حصل للغة من تطور تاريخيّ. ازدهر المنهجان في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وأصبحا السمة المميزة في البحث اللغويّ، ومن أهدافهما التوصل إلى إعادة بناء الأصل المشترك للغات موضوع الدراسة، في حين أنَّ الغرض من هذه الدراسات هو التوصل إلى التغيرات اللغوية التي وقعت في أثناء تلك المراحل ([1]).

والجدير بالذكر أنَّ الدراسات المقارنة بدأت في العصر الوسيط حين عُنِي (دانتي) – وهي عناية غريبة في عصره – بدراسة اللهجات الإيطالية في كتابه: (بلاغة العوام) وقام بمحاولة جادة في مجال المقارنة بين اللغات، واستنتج بأنَّ اللغة الإيطالية وأخواتها من اللغات الرومانسية ترجع إلى أصلٍ لاتيني([٢])، وذهب د.عبده الراجحي إلى القول:" إنَّ تأسيس الدرس المقارن قد بدأ على يد د. يينش، حين أعلنت الأكاديمية الألمانية عن جائزة لمن يكتب بحثا عن أحسن وسيلة في التعبير اللغويّ؛ فكسب الجائزة هذا الأخير، وأصدر في سنة (١٧٩٦ م) كتابه "مقارنة وتقدير فلسفيان نقديان لأربع عشرة لغة أوربية قديمة وحديثة "([٣]).وعلى الرغم من ذلك فقد سجَّل معظم الباحثين والدارسين تاريخ المنهجين المقارن والتاريخيّ بعد اكتشاف اللغة السنسكريتية على يد وليم جونز (١٧٩٦م) الذي كان قاضيًا في المحكمة العليا بالبنغال، عند قيامه بدراسة رائعة من نوعها، تمت هذه الدراسة على اللغات الهندو أوربية، وقدم على إثر هذه الدراسة خلاصة نتائج ما توصل إليه في بحثه المقارن قال: " إنَّ اللغة السنسكريتية مهما كان قدمها بنية رائعة أكمل من الإغريقية وأغنى من اللاتينية، وهي تنم عن ثقافة أرقى من ثقافة هاتين اللغتين، لكنها مع ذلك تتصل بهما بصلة وثيقة من القرابة سواء من ناحية جذور الأفعال أم من ناحية الصيغ النحوية حتى لا يمكننا أن نغزو هذه القرابة إلى

[١] –ينظر: علم اللغة الحديث، د. محمد حسن عبد العزيز، ص/١٥١.

[٢] – لغات البشر، ص/٤.

[٣] – فقه اللغة في الكتب العربية، د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٨، ص/ ١٣

مجرد الصدفة. ولا يسع أي لغوي بعد تصفحه هذه اللغات الثلاث إلا أن يعترف بأنها تتفرع من أصل مشترك زال من الوجود"([1])

رواد المنهجين:(التاريخيّ والمقارن)

ولا ننسى لغويين أمثال: (فردريك فون شليجل) الذي يُعدُّ أول مَن دعا إلى النحو المقارن في كتابه الذي أصدره في سنة (١٨٠٨ م) بعنوان: (عن اللغة والمعرفة عند الهنود)([2]). ثم استمرت المدرسة الألمانية تطور أبحاثها اللغوية في ظلِّ المنهج المقارن إلى جانب المنهج التاريخيّ على يد ثلة من علماء اللغويين أمثال: بوپ (١٧٩١م – ١٨٦٧م) صاحب كتاب (القواعد المقارنة). أما (جاكوب جريم) فيعدُّ من مؤسسي المدرسة المقارنة (صاحب كتاب القواعد الألمانية المقارنة) فقد أسهم بعطاءاته في تأسيس المذهبين المقارن والتاريخيّ من خلال جهود في الدراسات الصوتية المقارنة، وما تخضع له من قوانين التحول التي تخضع لها الحروف الصحيحة في اللغة الجرمانية، بدليل مونين: " لما كان (بوب) في سبيل إعداد القواعد المقارنة، كان (جريم) في الوقت نفسه يضع القواعد التاريخية للغة الألمانية، ثم قواعد مقارنة وتاريخية معًا للغات"([3]). ولا ننسى أتباع مدرسة بوب وما قاموا به من أبحاث لغوية متأثرين بمنهج المدرسة المقارنة، من أمثال: ماكس مولر، أوغست شلايشر.

قام الباحثون في اللغات السامية – أيضًا – بتطبيق المنهج المقارن الذي يبحث مجموعة اللغات العربية والعبرية والآرامية والأكادية والعربية الجنوبية والحبشية، وبحث في اللغة السامية من حيث الصوت وبناء الكلمة، وبناء الجملة الخبرية والفعلية والاسمية، وتناول علم الدلالة وما يتعلق بتاريخ الكلمات وتأصيلها، إذ كان للمنهج المقارن دورٌ في دراسة اللغات السامية في المدة التي كانت الكشوفات الأثرية قد ظهرت إلى الوجود مكتوبة على النقوش، وهي اللغات الأكادية في العراق،

---

[1] – تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، جورج مونن، ترجمة: الدكتور بدر القاسم، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٩٥ هـ 1972 - م، ص ١٦٢. ومبادئ اللسانيات، وأحمد محمد قدور، دار الفكر المعاصر، بيروت – دمشق، ط ٢، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م، ص/١٣

[2] – المصدر نفسه، ص/ ١٤.

[3] – جورج مونن: المصدر السابق، ص ١٧٧ – ١٨٠. ومحمود السعران: علم اللغة المقارن مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، ص/٢٧١.

والعربية الجنوبية في اليمن، والفينيقية في منطقة ساحل الشام. وانقسم الدارسون المحدثون حول علاقة الدراسات التاريخية باهتمام اللغويّ المعاصر على قسمين:

القسم الأول/ وقد عدَّها من صميم عمل اللغويّ المعاصر؛ لأنَّ الدراسات التاريخية سوف تهدينا بكلِّ تأكيد إلى الأصول العامة للفكر اللغويّ، وبالعوامل التي أثرت في تكوينه، فضلًا عن التعرف بالعلاقة الوثيقة بين اللغة والعلوم الأخرى، وفي ذلك يقول مونين:" يقدم لنا هذا التاريخ ثبتًا – مهما كان موجزًا – للمراجع الأساسية، وقائمة تضم مشكلات البحث والأسئلة المطروحة على الباحث، كما يتوق إلى الإسهام في تكوين اللغويّ الشاب تكوينًا أكمل؛ لأنه يساعده على إلقاء نظرة عامة على مجموع الأبحاث المتصلة بالمبادئ والطرائق "([1]).

القسم الآخر/ ويتمثل بموقف علماء اللغة الوصفيين، ومن هؤلاء (كرستيال) الذي قال:" إنَّ علم اللغة يهتم بالدراسة غير التاريخية للغة، أي دراسة مرحلة معينة من اللغة في وقت بعينه بغض النظر عن تاريخه السابق أو اللاحق "([٢])، وتابعه (ماريوباي) الذي يرى أنَّه بالإمكان استعمال المقارنة بين لغتين حديثتين من غير الإشارة إلى تطوراتهما أو أصولهما التاريخية([٣])، وقد قدم لنا (دوسوسير) مثالًا لهذا حين شبه اللغة بلعبة الشطرنج، ففي أثناء اللعب تتغير حالة الرقعة باستمرار، غير أنّنا نستطيع أن نصف حالة الرقعة وصفًا كاملًا بتحديد المواقع التي تحتلها قطع الشطرنج المختلفة، ولا يعنينا والحال كذلك كيف وصل اللاعبان إلى الحالة الراهنة التي وصفناها آنفًا، ولا يعنينا بأية وسيلة أو حركة، أو عددٍ من القطع فعلا ذلك([٤]).

المنهجان (التاريخيّ المقارن) عند اللسانيين العرب المحدثين:

إنَّ بعض بصمات المنهج المقارن كانت حاضرة في دراسات العرب القدامى، وذلك من خلال ما استدل به الباحثون اللغويون العرب من وجود مقارنة بين العربية واللغات السامية، فقد ورد في

[١] – تاريخ علم اللغة، ص/١١.

[٢] – التعريف بعلم اللغة، كريستال، ترجمة: حامي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ص/٣٤

[٣] – ينظر: أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة: د. أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، ١٩٧٣م، ص/٣٦.

4- See: Lyons, Introduction to theoreticai Linguistisc, p.46.

كتاب (العين) للخليل قوله: " **وكنعان بن سام بن نوح، ينسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية**"([1]). والذي يهمنا هنا آراء اللغويين العرب المحدثين في المنهجين التاريخيّ والمقارن، فقد اختلفت وجهات نظرهم فيهما، وسنذكر آراء ثلاثة من جهابذة اللغة العربية وهم:

أولًا/ د.محمود فهمي حجازي:

المنهج اللغويّ المقارن: وهو أقدم مناهج البحث اللغويّ عنده، أزدهر ازدهارًا كبيرًا في القرن التاسع عشر، ويتناول بالدراسة المقارنة لغات تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة، ويعتمد على وجود تصنيف واضح للغات إلى أسرات لغوية، ولم تكن القرابة بين اللغات واضحة على نحوٍ علميٍّ دقيقٍ إلّا بعد اكتشاف اللغة السنسكريتية، ومقارنتها باللاتينية واليونانية، وثبوت القرابة فيما بينها، وعودتها إلى أصلٍ قديمٍ بائدٍ. ثم تقدم البحث شيئًا فشيئًا فقورنت بين اللغات الأوربية واللغات الإيرانية واللغات الهندية، وأثبتت الدراسات عودت تلك اللغات جميعًا إلى أصلٍ واحد، ومن ثمَّ أُصطُلِحَ على تسميتها بأسرة (اللغات الهندو أوربية)، وأطلق عليها العلماء الألمان أسرة (اللغات الأوربية الجرمانية)([2]). أما أسرة اللغات السامية، فقد أثبتت الدراسات على وفق هذا المنهج أنَّها مكوّنة من (العربية والعبرية والأكدية والعربية الجنوبية والآرمية والحبشية). **وأنَّ من أبرز مجالاتها ما يأتي**([3]):

١-أنَّ عددًا من أصواتها مازالت كلُّ هذه اللغات محتفظةً بها كـ(الراء)، في حين انقرض (الضاد) من كلِّ اللغات عدا اللغة العربية.

٢- دراسة بنية الكلمة في لغات الأسرة السامية، فقد تناول البحث اللغويّ المقارن كلُّ ما يتعلق بالأوزان والسوابق واللواحق ووظائفها المختلفة، وعلى هذا فقد عدَّ حجازي دراسة (الضمائر، وأبنية الأفعال، واسم الفاعل، والمصادر) في اللغات السامية تدخل في علم الصرف المقارن للغات السامية.

٣-دراسة بنية الجملة في اللغات السامية، والقضايا المتعلقة ببناء الجملة كالاستفهام، والاستثناء، والمطابقة بين الفعل والفاعل، والمطابقة بين العدد والمعدود، كلّها تدخل ضمن علم النحو المقارن.

---

[1] -منهج البحث اللغوي، محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٢م، ص/١٠٧.

[2] - ينظر: نفسه، ص/١٩.

[3] - ينظر: المصدر نفسه، ص/٢٠-٢١.

٤-كلُّ ما يتعلق بتاريخ الكلمات وتأصيلها، فهناك عددٌ من الكلمات نجدها في كلِّ اللغات السامية بالمعنى نفسه أو بمعنىً مقارب، وتدخل دراسة هذه الكلمات في ميدان المنهج الدلاليّ المقارن، ومن أبرز جوانب تطبيقيّه هو تأصيل المادة اللغوية في المعجمات، وتأصيل المادة اللغوية العربية يكون بردها إلى أصلها السامي إنْ وجد.

المنهج التاريخيّ: ويبحث **تطور اللغة الواحدة عبر الزمن، أو بمعنى أدق التغير في اللغة الواحدة على مدى الزمن،** وهو بذلك يفرق لنا بين مصطلحي: (التطور) و(التغير)؛ لأنَّ التطور لفظٌ يحمل دلالة الارتقاء، في حين أنَّ ما يصيب اللغة هو التغير الذي يحمل دلالة الارتقاء والانحطاط بنحوٍ نسبيّ بين المفردات والتراكيب. وذهب حجازي إلى أنَّ البحوث اللغوية المقارنة لا تخلو من السمة التاريخية، ولكن تلك البحوث كانت تحاول أن ترتب المستويات اللغوية المختلفة والمنتمية إلى أسرة واحدة ترتيبًا يهتم في المقام الأول بالصيغ والمستويات المغرقة في القدم، التي يمكن أن يتعرَّف من خلالها الباحث بالصيغة الأصلية أو بالشكل الأقدم، الذي خرجت عنه باقي الصيغ؛ ولهذا يوصف هذا العمل بالتاريخيّ المقارن.

ويرى أيضًا أنَّ البحث التاريخيّ لا يكتفي بمراحل اللغة المبكرة، أي أقدم المراحل المتاحة وأقربها من اللغة الأقدم، بل أتاح الوضوح المنهجيّ في علم اللغة وجود دراسات وصفية للمستويات اللغوية المختلفة عبر الزمن، ومن ثم تتكامل هذه الدراسات الكثيرة؛ لتمهد الطريق أمام البحث التاريخي اللغويّ بالمعنى الدقيق للكلمة، أي البحث في تاريخ اللغة من أقدم نصوصها المدوّنة إلى وقتنا هذا([١]). **ومن القضايا التي يدرسها هذا المنهج في اللغة العربية من وجهة نظر حجازي، هي:**

١ – دراسة التغير الصوتيّ.

٢ – دراسة صيغ الجموع، بتتبع توزيعها، ونسبة شيوعها على المستويات اللغوية المختلفة عبر القرون.

٣ – دراسة جمل: (الاستفهام، والشرط، والاستثناء).

---

[١] – ينظر: مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ص/٢٣.

٤ – دراسة التغير الدلاليّ وما يرتبط بها من إعداد المعجمات التاريخية. ويقصد **بالمعجم التاريخيّ هو ذلك المعجم الذي يعطي تاريخ كلِّ كلمة من كلمات اللغة الواحدة، ويؤرخ لها ابتداءً من أول أقدم نصٍّ وردت فيه إلى آخر نصٍّ، بتتبع دلالتها وتطورها**([١]).

مجالاته:هناك مجالات كثيرة للبحث اللغويّ التاريخيّ، منها([٢]):

١–**التاريخ اللغويّ**، فمن شأنه أن يعطي صورة واضحة لتاريخ الحياة اللغوية، فلا يقتصر على تغيير البنية اللغوية، بل يتناول بالضرورة الاستعمال اللغويّ في البيئات المختلفة عبر الزمن.

٢–**الانتشار اللغويّ** في مناطق جديدة، كالعربية في الأندلس في عصر الفتوحات الإسلامية.

٣–**الانحسار اللغويّ** عن مناطق محدودة، كالعربية اليوم في دول المغرب العربيّ عمومًا.

٤–**دراسة موجات التعريب**. وممّا تقدم استخلص حجازي تعريفًا **للتاريخ اللغويّ وهو" دراسة التغير في البنية اللغوية، وبحث التغير في مستويات الاستخدام "**([٣]).

---

[١] – ينظر: نفسه، ص/٢٤.

[٢] –ينظر: المصدر نفسه.

[٣] –المصدر نفسه، ص/٢٤.

ثانيًا/ الدكتور نعمة رحيم كريم العزاويّ:

المنهج التاريخيّ/ يرى الدكتور العزّاويّ أنَّ اللغويين الأوربيين لم يجعلوا اللغة هدفًا لدراستهم إلّا بعد معرفتهم المنهج التاريخيّ[١]. من **سمات المنهج التاريخيّ** أنَّه يقوم على الجانب المكتوب من اللغة، فالمادة اللغوية المنطوقة لمرحلة زمنية سابقة للمرحلة المعاصرة لا يمكن أن تتوفر لدى الباحث، **وما يميّز** المنهج التاريخيّ أيضًا أنَّه يُعنى بدراسة التغيرات التي تعتري لغةً ما أو مجموعة من اللغات في مراحل زمنية مختلفة، ومظاهر تلك التغيّرات، وأسبابها، ونتائجها، وهذا يعني **أنَّ هذا المنهج ينطلق من مفهوم (الحركة) أو (الفاعلية المستمرة) التي تتميز بها اللغات** [٢]. لفت الدكتور العزّاويّ الانتباه على أنَّ في العربية حاجة إلى المنهج التاريخيّ، لذلك دعا الباحثين إلى مراقبة اللغة من أجل الكشف عمّا يطرأ على الألفاظ من تغير في الشكل أو المضمون، ويمكن الإفادة من المنهج التاريخيّ في مجال الدراسات المعجمية للوصول إلى معجمات لغوية تُعدُّ تكملةً للمعجمات القديمة [٣].

ويمكن الإفادة كذلك من المنهج التاريخيّ في مجال الدارسة الصرفية؛ لأنَّه يؤدي إلى الكشف عمّا لحق الأبنية من تطور خلال العصور، ويعيننا المنهج التاريخيّ أيضًا من الدراسة النحوية على التأصيل التاريخيّ لظواهر اللغة، فهو يرى أنَّ المادة النحوية التي ندرسها في المراحل الأولية من التعليم الجامعيّ ينبغي أنْ تُدرس على أنَّها (نحوٌ تاريخيّ)، وعلينا أنْ نضع لطلبتنا نحوًا جديدًا، نوظفوه على وفق متطلبات العربية المعاصرة؛ لأنَّه يرى أنَّ واقع الاستعمال يشير إلى أَنَّ قواعد اللغة لا تظل ثابتة، وأَنَّ عوامل التغير قد امتدت إليها قبل عصر النحاة وبعده[٤].

---

[١] ينظر: المصدر نفسه: ١٤٨، ١٤٩.

[٢] ينظر: المصدر نفسه:١٥١ – ١٥٥ .

[٣] ينظر: مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة : ١٦٢ .

[٤] ينظر: المصدر نفسه: ١٦٢ – ١٦٧ .

المنهج المقارن: وقف الدكتور العزّاويّ طويلًا عند المنهج المقارن بوصفه جزءًا من المنهج التاريخيّ، وأنَّ أهميته نابعةٌ من الحاجة إلى تأصيل المفردات التي اختلف اللغويون الأوائل في أصلها، وذهبوا في تفسيرها مذاهب شتى، ويَدُلنا المنهج المقارن أيضًا على العلاقات الشكلية أو البنيوية التي تربط اللغات المتَّحدة الأرومة.

إنَّ تعدد البحوث اللغوية المقارنة في الأسر اللغوية المختلفة، يكشف لنا عن العلاقات الثقافية بين اللغات التي لا تربط فيما بينها صلة قرابة، نحو العلاقات الثقافية الموجودة بين العربية والفارسية، واقتراض الألفاظ فيما بينهما، وليس هناك قرابةٌ لغويةٌ تربطهما، فالعربيةُ لغةٌ جزريةٌ، والفارسية لغةٌ هنديةٌ أوربيّةٌ [١].

وقف العزّاويّ أيضًا عند حاجة العربية إلى المنهج المقارن، وبدايات الدراسة المقارنة عند العرب من خلال اكتشاف النحويين العرب الأوائل بعض العلاقات بين العربية وجاراتها الجزريات[٢]، التي أشرنا إليها آنفًا.

ثالثًا/ الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيديّ:

المنهج التاريخيّ: ذهب العبيديّ إلى أنَّ الباحث يستطيع في ضوء دراسة اللغة تاريخيًا أن يعرف ميزات كلِّ لغة في هذه المجتمعات، وما أصابت من تقدم أو تخلف عبر محطات زمنية وحلقات، تطورت خلالها تلك اللغات، واكتسبت خصائص، وكانت مميزة في كلِّ طورٍ من أطوارها، فضلًا عن أنَّ الدراسات التاريخية للغة فتحت أبوابًا واسعة لمعرفة الشعوب وتطورها، ومراحل تقدمها وازدهارها، ثم أنَّ دراسة اللغات المحلية للشعوب دراسة تاريخية تجعلنا نستطيع أن نكتب تاريخًا صحيحًا لتلك الشعوب، ونكشف عن حقائق وأسرار لا سبيل للوصول إليها إلّا عن طريق اللغة ومفرداتها، وخصائص ألفاظها([٣]).

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٩ – ١٧٠ .

(٢) ينظر: مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: ١٨٦– ١٨٧ .

٣ – ينظر: مباحث في علم اللغة واللسانيات، د. رشيد عبد الرحمن العبيديّ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٣م، ص/٢٨–٣٠.

أما اللغة العربية على وفق المنهج التاريخيّ في عصورها المتقدمة قبل الإسلام؛ فقد اشتبكت مع أجناس مختلفة من اللغات في صراع لغويّ، منذ عهود الأكديين والآشوريين، حتى عصور الكنعانيين والأرمنيين، والموجات العربية التي خرجت من الجزيرة العربية، أدى إلى اكتسابها نوعًا من التطور الملموس في مفرداتها، وأصواتها، ودلالاتٍ لكلماتها([1])، حتى انتهى ذلك الصراع " في المراحل الأخيرة من العصر الجاهليّ بانتصار العربية على هذه اللغات في كثيرٍ من المناطق، وفقًا لقانون الصراع اللغويّ "([2]). وهذه العربية المنتصرة " **كُتِبَ لها البقاء والديمومة على الأرض بنزول كتاب الله تعالى، وانتشاره بين المسلمين في أصقاع شاسعة، وقد امتلكت الكثير من الخصائص والصفات التي ميّزتها من اللغات الجزرية الخارجة من جزيرة العرب، والمنتشرة في العراق وأرض كنعان وافريقيا، وهذا كله إنَّما يعود إلى التطور الذي يصيب اللغات عبر حياتها الطويلة، وإلى التأثير الطبيعيّ الذي يحدث في اللغة عندما تجاور لغات غريبة عنها في سماتها التركيبية والبنيوية والصوتية** "([3]).

ويلفت الدكتور العبيديّ أنظار الباحثين والدارسين إلى العناية بدراسة اللغة تاريخيًا؛ لأنَّ اللغة لا تتخلى عن تأثير الظروف التاريخية، وتطور البشر على الأرض، فعلم اللغة علمٌ تاريخيٌّ و" **اللغة التي هي موضوع علم التاريخ، لا غنى في دراسة تطورها وصلتها بالمجتمعات، وفي دراسة انقسامها على لهجات، ودراسة ظهور اللغات العامة** "([4]).

استعرض العبيديّ المنهج التاريخي في الدرس اللسانيّ الحديث في أوربا منذ بزوغه وحتى استوائه، مستخلصًا من كلِّ ذلك نتيجة مهمة، تتضح من قوله:" **تركت الدراسات في علم اللغة التاريخيّ كثيرًا من المؤلفات والمصنفات في تاريخ اللغات على اختلاف أنواعها، تناولت أصولها، وشعبها، وفروعها، وتطورها، والأجناس المتكلمة بها، وخصائص كلِّ لغة منها، والتغيرات التي طرأت عليها خلال حياتها الطويلة حتى هذه اللحظات التي تعيشها مع سائر لغات العالم** "([5]).

---

[1] – المصدر نفسه، ص/٢٨.

[2] –علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ص/٢١٩،

[3] – مباحث في علم اللغة واللسانيات، ص/٢٨.

[4] – المصدر نفسه، ص/٢٩.

[5] – مباحث في علم اللغة واللسانيات، ص/٢٩–٣٠.

المنهج المقارن: يرى العبيديّ أنَّ لكلِّ لغة خصائصها وسماتها، بحسب ظروف تكوينها وأصولها التي انحدرت منها، غير أنَّ هذا لا يعني أنَّ اللغة لا تتأثر وتؤثر في مدى عمرها الطويل، ولاسيما اللغات التي تتجاوز في مواقع أهلها المتكلمين بها، مع غيرهم من شعوب العالم، وهذا التأثر والتأثير يبدو واضحًا في انتقال مفردات اللغة إلى مجاوراتها بالاحتكاك، أو تغير عددٍ من الأصوات،([1]). **ومن هنا تتضح وظيفة المنهج المقارن، وهي " الكشف عن التأثر والتأثير، فتتم طريقة البحث بعقد مقارنات بين اللغات المختلفة، أو اللهجات للغة الواحدة، في ظواهر متنوعة؛ للخروج بعد ذلك بالخصائص والسمات المميزة لكلِّ لغة، ووضع اليد على الجديد الدخيل في أصل اللغة، وما وفد إليها، وما تغير فيها "**([2]).

أما عن أبرز نتائج المنهج المقارن في الدرس اللسانيّ الحديث، فإنَّه أثبت كثيرًا من الحقائق، وكشف عن وجوه التأثر والتأثير بين اللغات، فعُرِفَ به موضوع (التداخل) في الكلمات: كالمعرب والدخيل بين العربية – مثلًا – وغيرها من اللغات المجاورة للجزيرة العربية، فقد وقف الباحثون على جملة من الدخيل في عربية ما قبل الإسلام، احتفظت بها، واستعملها الشعراء، ووردت منها مفردات في القرآن الكريم، اختلف العلماء في أصالتها على مذاهب معروفة في تاريخ البحث اللغويّ العربيّ، كـ(سندس، واستبرق، ويم، وياسمين، ونرجس...وسواها. وعلق العبيديّ على ذلك بقوله:" **وهذا كله إنَّما يكشف عنه بحث اللغة المقارن، مع اهتمام هذا النوع من البحث بدراسة الظواهر الأخرى المختلفة في الأصوات والدلالات، والاشتقاق والأبنية والصيغ ونظم اللغات** "([3]). ثم ذكر **ابرز سمات الباحث اللغويّ المقارن**، وهي([4]):

١- أن يكون الباحث ضليعًا في لغته الأصلية.

٢- أن يكون عارفًا باللغة التي يقارن بها من حيث قوانينها وقواعدها، ومفرداتها، ونحوها، وصرفها.

---

[1] – المصدر نفسه، ص/٣٥.

[2] – مباحث في علم اللغة واللسانيات، ص/٣٦.

[3] – مباحث في علم اللغة واللسانيات، ص/٣٧

[4] – المصدر نفسه، ص/٣٨.

٣- أن يكون ذا ثقافة لغوية جديرة بأن تجعله قادرًا على الموازنة والمقابلة، والكشف عن مواطن الاتفاق والاختلاف في الموضوعات التي تكون أساسًا في الموازنة والمقارنة.

ثانيا: الاتجاه الوصفيّ:

قامت اللسانيات الوصفية على أنقاض اللسانيات التاريخية والمقارنة، التي ازدهرت في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، وقد لاحظنا أن اللسانيات التاريخية تعنى بدراسة مظاهر التطور الذي يطرأ على اللغة، على اختلاف مستوياتها: الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية، في حين أن اللسانيات الوصفية تهتم بدراسة اللغة في وضعها السكوني الآني، فهي تعاين الظاهرة اللغوية في لحظتها الراهنة، من دون الالتفات الى حقب تاريخية سابقة مرت بها الظاهرة اللغوية، فهو ينظر((إلى اللغة نظرة تعتمد على الملاحظة المباشرة للظواهر اللغوية الموجودة بالفعل، ولايهدف من ذلك الى وضع قواعد يفرضها على المتكلمين باللغة، بل كل ما يهدف اليه هو وصف نظام اللغة الصوتي والصرفي والنحوي ووضع معاجمها))[١].

لقد جرت عادة مؤرخي الدرس اللساني على نسبة ميلاد اللسانيات الوصفية الى اللساني السويسري فردينان دي سوسير (١٨٥٧م–١٩١٣م)، الذي قدَّم جملة من الأفكار اللسانية الجديدة في ثلاثة دروس عرضها بجامعة جنيف، كان موضوعها اللسانيات بين سنوات ١٩٠٧–١٩١٣، ونشرت في العام ١٩١٦، أي بعد وفاته بثلاث سنوات، ومنذ هذا التاريخ قطعت اللسانيات الوصفية صلتها بالدراسات اللغوية السابقة، سواء التاريخية أو الدرس النحوي التقليدي في أوروبا الذي سيطرت عليه النزعة المعيارية[٢].

من المعروف في تأريخ الدراسات اللسانية أن أي نظرية لسانية تعود في أصولها الى أسس معرفية وفلسفية، تكون هذه الأسس هي النواة أو المنبع الذي يسهم في بلورة النظرية اللسانية وتطويرها، وقد تأثر دي سوسير نفسه بأفكار معاصره عالم الاجتماع إميل دور كايم((ففي ضوء آرائه في بحث الظواهر الاجتماعية، قدم دي سوسير نظريته في بحث الظواهر اللغوية))[٣]، وحاول (دي سوسير) سحب مقاربة (دوركايم) في دراسة الظواهر الاجتماعية الى ميدان البحث اللغوي،

---

[١] مدخل الى علم اللغة ١٢٥.

[٢] ينظر: اللسانيات الوصفية منهجيات واتجاهات ٣١–٣٢.

[٣] النحو العربي والدرس الحديث٢٦.

فعدَّ اللغة شيئا عاما شأنه شأن الوقائع الاجتماعية الأخرى، وهو أمر يسَّر السبيل الى تطبيق قوانين العلم في دراسة الظواهر اللغوية[١].

لقد تطور النظر العلميّ في اللغة منذ نشر دروس سوسير تطورًا هائلًا لم يعرف تاريخ الفكر اللغوي نظيرا له من قبل. فقد اتجهت الدراسات اللسانيَّة بعد مجيء فرديناند دي سوسير وجهة أخرى، إذ حمل اليها منهجًا جديدًا في البحث والدراسة، وسعى الى صياغة الحدود المنهجية للدراسة اللسانية، فقد عمد في كتابه: (محاضرات في اللسانيات العامة) إلى أنْ يجعل من اللسانيات علمًا مستقلاً، وقد استطاع فعلاً أنْ يحقِّق للدرس اللساني استقلاله، وأنْ يُحدث في إطار المنهج الذي ارتضاه قطيعة معرفية مع البحث اللساني الذي هيمن قبله[٢]، وكان بذلك مؤسِّسًا لعصرٍ بأكمله من الدرس اللساني، إذ وجَّهت أفكار دي سوسير ((البحث اللساني نحو تحليل اللغة بما هي نسقٌ من الوحدات والعلامات، ونسقٌ من العلاقات المركبية والاستبدالية المشتغلة على مستويات تراتبية، وهذا ما كانت تعاني منه لسانيات ما قبل سوسير. ولم يكن بدٌّ من أنْ يترك هذا التوجُّه بصمات على البحث اللساني، وذلك أنَّ التيار البنيوي الذي أرسى سوسير دعائمه يشمل أغلب المدارس اللسانية المعاصرة، مدرسة براغ (نيوكولاي تروبتزكوي، رومان ياكبسون...) ومدرسة كوبنهاجن (لوي يلمسليف) أو المدرسة الوظيفية (مارتيني، ياكوبسون...) والبنيوية الأمريكية (بلومفيلد) والمدرسة التوليدية التحويلية (نوم تشومسكي...).إلاّ أنَّ هذا التأثير متفاوت الوقع من اتجاه الى آخر، فإذا كانت غالبية الاتجاهات قد ظلَّت الى هذا الحدِّ أو ذاك أمينة للمرتكزات النظرية والمنهجية للسوسيرية مع ما في ذلك من تطوير أو تصحيح لبعض المفاهيم فإنَّ الاتجاه التوليدي التحويلي قد غيَّر بشكل كبير تصوُّر اللسانيات بالشكل الذي تعرضه دروس في اللسانيات العامة))[٣].

لقد بثَّ دي سوسير في محاضراته جملةً من المبادئ اللسانية العامة التي أصبحت في ما بعد ركائز أساسية في البحث اللساني، واتخذت تلكم المبادئ شكل ثنائيات متقابلة، مثل ثنائية اللغة والكلام، والدال والمدلول، والسياقيّ والايحائيّ، والآنيّ والتاريخيّ، أو التزامن والتعاقب، وسواها،

---

[١] ينظر: النحو العربي والدرس الحديث٢٦–٢٧.

[٢] ينظر: اللسانيات والدلالة ٧٧، ومدخل الى علم النص ومجالات تطبيقه ٤٠.

[٣] مدخل للسانيات سوسير ١٦٦، وينظر: اتجاهات البحث اللساني ٢١١.

فغالبًا ما يتَّخذ الحديث عن دي سوسير شكل قائمة من المقابلات بين أزواج من المفاهيم، حتى انَّه عُدَّ مجرد عرض تلك المقابلات ملخصًا لنظريته، وممثلاً لها، وقد أشار ياكوبسن الى أنَّ دي سوسير هو أهمُّ مَنْ كشف القناع عن التناقضات اللغوية[1].

ولم تكن هذه الثنائيات من قبيل الجمع المجرَّد بين مفاهيم متفرِّقة، بل كان دي سوسير واعيًا بها كلَّ الوعي، وقد اهتدى اليها بعد تأمُّل عميق وتصوُّر شامل للظاهرة اللسانية، فهو يرى أنَّ البحث عن هذه الثنائيات وتفسيرها يدخلان ضمن المهام المنوطة بعهدة اللساني[2].

لقد أحدثت محاضرات دي سوسير تحوُّلاً كبيراً في ميدان الدرس اللساني وثورةً في علم اللُّغة ومناهج الدرس اللُّغوي، أسقطت الكثير من المبادئ والنظريات التي كانت مُتّكأ الدرس اللُّغوي القديم، المُعتمد على الدراسات الفيلولوجية اعتماداً كبيراً، لتحلّ محلّ هذه المبادئ مبادئ ورُؤى جديدةٌ، مُستمدَّةٌ من الواقع الذي أحدثته الثورة العلمية، وهدفها في علمنة اللُّغة(جعل الدراسة اللغوية علمية)، ما أسهم إسهاماً بارزاً في تطوير اللُّغة وتطويعها للدُّخول في مرحلة العلمية، وتبلورت تلك المبادئ والرُّؤى في الدرس اللساني الوصفي، ومنها استمدَّت البنيوية الأدبية كثيرًا من مُعطياتها وإجراءاتها ومُصطلحاتها، ابتداءً من النُّقَّاد الشكلانيين، الذين هاجروا إلى براغ، وتأسيسهم حلقة براغ، التي أسهمت في إثراء الدرسين اللُّغوي والأدبي على حدٍّ سواء.

ذكرنا فيما تقدَّم آنفًا أنَّ العام ١٩١٦ عدَّ مرحلة فاصلة بين حقبتين لغويتين مختلفتين، فقد شهد هذا التاريخ ظهور كتاب دي سوسير، الذي هو عبارة عن محاضرات كان اثنان من تلامذته، وهما (شارل بالي وألبير سيشهاي) بجمعها، وهي محاضرات ألقاها على طُلاَّبه في جامعة جنيف بين سنوات ١٩٠٧-١٩١١، ونُشِرت تحت مُسمَّى(Course in General linguistics) ، وقد حوت أهمّ أفكاره ومُقترحاته حول دراسة اللُّغة وطُرق البحث اللُّغوي وفق أُسسٍ علمية، بعيداً عن الفيلولوجيا، وقد ترجم نص الحاضرات الى معظم اللغات العالمية، وكانت أول ترجمة هي الترجمة اليابانية عام ١٩٢٨م، والروسية عام ١٩٣٣م، الاسبانية عام ١٩٤٥، ثم توالت بعد ذلك ترجمتها الى لغات عالمية أخرى، وترجم نص المحاضرات الى العربية بخمس ترجمات، منها ترجمة لبنانية، وتونسية ومصرية وعراقية ومغربية.

---

[1] ينظر: مدخل للسانيات سوسير ١٦٦، وعلم اللغة العام ٩(مقدمة المُراجِع)، والثنائيات اللسانية ٤٩ .

[2] ينظر: سوسير والألسنية، ضمن كتاب أهم المدارس اللسانية ٢٤.

لقد كان العام ١٩١٦ علامة فارقة في تاريخ الدرس اللساني العالمي، وتاريخا لبروز مصطلح linguistics الذي قوبل في الثقافة العربية بصيغ مختلفة وترجمات وصلت الى ٢٥ ترجمة أشهرها اللسانيات، والألسنية ، وعلم اللغة، وعلم اللسان وغيرها، على نحو ما نص عليه الدكتور عبد السلام المسدي في كتابه(قاموس اللسانيات)، وشاع مصطلح اللسانيات في بلدان المغرب، وارتبط مصطلح الألسنية في بلاد الشام، في حين كان مصطلح علم اللغة سائدا في مصر والعراق، غير أن المؤتمر الدولي للسانيات الذي أقامته الجامعة التونسية، والذي جضره عدد كبير من اللغويين العرب تبنى مصطلح السانيات مقابلا عربيا للمصطلح الانكليزي linguistics.

لقد اشتمل نص المحاضرات على مفاهيم لسانية مهمة، كانت بمنزلة المُرتكزات التي أقام عليها «سُوسير» نظريته، وكان مفهوم النسق أو النظام واحدا من المفاهيم اللسانية المهمة التي عرض لها دي سوسير، فهو يُقرِّر ابتداء أنَّ اللغة نظام، وهذا النظام مبنيٌّ في أساسه على الاختلاف، ومن هنا برز مفهوم **القيمة، الذي شكَّل ملمحا بارزا في اللسانيات السوسيرية، و** قبل محاولتنا بيان مفهوم القيمة عند دي سوسير يجدر بنا أنْ نشير الى أنَّ اللغويين في القرن التاسع عشر، ولا سيما مدرسة النحاة الجدد قالوا إنَّ الدراسة العلمية للغة هي الدراسة التاريخية، وإنَّ توجيه البحث اللغوي نحو البعد التاريخي يكسب الدراسات اللغوية سمة العلمية[١]، وفي هذا المعنى يقول اللغوي الدنماركي أوتوجسبرسن: ((إنَّ الصفة المميزة لعلم اللغة seienc languge كما يُفهم الآن هي السمة التاريخية))[٢]. وتنظر الدراسات التاريخية الى العناصر اللغوية عبر مراحل زمنية مختلفة، رغبة منها في الوقوف على التغيُّرات والتبدُّلات التي تطرأ عليها، وهذا يعني أنَّ معالجتها للظاهرة اللغوية كانت تجري بصورة منعزلة عن بعضها [٣]، أي إنَّها ليست معالجة نسقية.

من هنا ندرك الأهمية المعرفية لمفهوم القيمة الذي صاغه دي سوسير، والذي أكَّد بموجبه أهمية العلاقات بين الوحدات اللسانية، التي تتضح في إطار النسق العام، وأنَّ العنصر اللغوي لا قيمة له إذا كان معزولاً عن العناصر اللغوية الأخرى، وهو مفهوم نقله دي سوسير من العلوم

---

(١) ينظر: المنوال النحوي ٧٥، ومدخل الى اللسانيات ٤٣.

(٢) مدخل الى اللسانيات ٤٣.

(٣) ينظر: المنوال النحوي ٧٥.

الاقتصادية[١]، وشكَّل علامة بارزة في نظريته اللسانية، ولعلَّ في ذلك تفسيرًا لإلحاح دي سوسير المتكرِّر في محاضراته على أنَّ اللغةَ نظامٌ من القيم الخالصة[٢].

ولكي نفهم الفرضيات السوسيرية يجب علينا الانطلاق من مفهوم القيمة لا متابعة الترتيب الذي عليه فصول الكتاب؛ لذا قد يبدو من الأجدى للقارئ أنْ يبدأ قراءة المحاضرات من الوسط، وتحديدًا من الفصل الرابع من الجزء الثاني في الترجمة العراقية، وهو فصل "القيمة اللغوية"، ففي هذا الفصل يؤكِّد دي سوسير محورية مفهوم القيمة في النظرية اللسانية، سواء بالنسبة إلى جانبها الاجرائي، وهو تعيين هوية الوحدات اللغوية، أو جانبها النظري عند تحديد موضوع اللسانيات[٣].

لقد حدَّ دي سوسير اللغةَ بكونها نظاما((يعتمد كليا على التقابل بين وحداته الملموسة))[٤]، وهذه الوحدات هي عبارةٌ عن عناصر يعتمد بعضها على بعض، ولمَّا كانت اللغة – بحسب دي سوسير – نظامًا من القيم، فإنَّ أيَّ عنصر من عناصر هذا النظام لا تتضح قيمته ولا تتبدَّى إلاّ من خلال وجود العناصر الأخرى في وقت واحد[٥]، ذلك أنَّ عناصر النظام اللغوي لا تمتلك قيمة بذاتها، وإنَّما تتأتَّى قيمتها من تعارضها وتخالفها مع العناصر الأخرى؛ إذ لا توجد في اللغة سوى الاختلافات[٦]، فهي مؤسَّسة على التعارضات[٧]، يقول دي سوسير: ((أمَّا في اللغة فلا يوجد سوى الفروق أي العناصر السلبية دون العناصر الايجابية، وسواء أخذنا المدلول أو الدال فإنَّ اللغة لا تملك أفكارًا ولا أصواتًا لها وجودٌ قبل النظام، والنظام اللغوي سلسلةٌ من الفروق الصوتية ترتبط بسلسلة من الفروق في الأفكار))[٨].

---

[١] ينظر: علم اللغة العام ٩٩، والنحو في القديم والحديث ٢٩.

[٢] ينظر على سبيل التمثيل: علم اللغة العام ٩٩،١٣١.

[٣] ينظر: المنوال النحوي ٧٤.

[٤] علم اللغة العام١٢٦.

[٥] ينظر: المصدر نفسه ١٣٤.

[٦] ينظر: أثر محاضرات دي سوسير في الدراسات العربية الحديثة ٢٧ (رسالة ماجستير)، ومدخل للسانيات سوسير ٨٤، واتجاهات البحث اللساني ٢١٨.

[٧] ينظر: اتجاهات البحث اللساني ٢١٨.

[٨] علم اللغة العام ١٣٩، وينظر: البنيوية في اللسانيات ٢٠٧–٢٠٨.

ولا يتجلَّى مفهوم القيمة عند دي سوسير إلاّ في إطار النسق، بوصفه((مجموعة من العناصر المترابطة التي تشكل كلاً واحدًا)) [1]، والنسق في النظرية السوسيرية معادلٌ للغة؛ لذا نجد دي سوسير يؤكِّد دائما أنَّ اللغةَ نسقٌ من الاشارات التي لا تعترف إلاّ بنظامها الخاص[2]، ويتطلَّب ويتطلَّب النسق – كما نعلم – وجود عناصر ترتبط فيما بينها بنوعٍ معين من العلاقات.

ويُعطي دي سوسير الأولوية في البحث للنسق وصولاً إلى العناصر الأخرى، ولا يعطيها إلى العناصر وصولاً الى النسق، إذ((لا شيء يتميَّز قبل البنية اللغوية))[3]، ولا شكَّ في أنَّ مثل هذا التأسيس((هو الذي يُخرج الدلالة من أُفق التعامل مع اللغة بوصفها كلمات، كلُّ كلمة معزولة بذاتها إلى أُفق التعامل مع اللغة بوصفها نسقًا به تترتب الكلمات لتقول ممكنها الدلالي، وفق تركيبها الخاص، صوتًا في كلمة، وكلماتٍ في جمل، وجملاً في نصٍّ)) [4]. فلا يجوز – بحسب سوسير – أنْ يبدأ المرء بالعناصر اللغوية، ويبني منها النظام من طريق الجمع بين هذه العناصر، بل((ينبغي للمرء أنْ يبدأ من الكلِّ المترابط الأجزاء، ويتوصَّل الى عناصره عن طريق التحليل))[5]، التحليل))[5]، وتأسيسًا على رأي دي سوسير هذا((لم تعد النظرة (العلمية) إلى الأشياء نظرة جزئية تصل الى معرفة الكلِّ من خلال الجزء وخصائصه، فلا الجزء هو نفسه مع الكلِّ، ولا الكلُّ هو مجرد مجموع أجزائه فقط، بل الأهم هو (العلاقة) التي تسود بين الأجزاء، وتحدِّد النظام الذي تتبعه الأجزاء في ترابطها، والقوانين التي تنجم عن هذه العلاقة، وتسهم في بنيتها في الوقت نفسه)) [6].

ولمَّا كان النسق نظامًا محايثًا للعناصر التي تؤلِّفه يتبيَّن لنا أنَّ أيَّ خللٍ يصيب أحدهما النسق/العناصر سيصيب – لا محالة الآخر– ، وللتدليل على هذا الأمر يسوق دي سوسير مثالاً عن لعبة الشطرنج، فقيمةُ كلِّ قطعةٍ تعتمد على القطع الأُخرى إلى حدٍّ ما، كما أنَّ تحريك قطعة

---

(1) اللسانيات والدلالة ١٥٩، وينظر: علم اللغة العام ٤١.

(2) ينظر: علم اللغة العام ٤١.

(3) دليل الناقد الأدبي ٦٩، وينظر: السيميوطيقا : حول بعض المفاهيم والأبعاد ٣٦.

(4) اللسانيات والدلالة ١٠٢.

(5) علم اللغة العام ١٣٣، وينظر: اتجاهات البحث اللساني ١٩٤.

(6) دليل الناقد الأدبي ٦٨.

واحدة لا يغيِّر مصيرها وحدها حسب((بل يعيد تقويم شبكة العلاقات بين القطع بأكملها، وهذا التشبيه ينطبق على اللغة إلى حدٍّ كبير))[1].

سبق أن بينا أنَّ النظرية السوسيرية تقوم على جملة من الثنائيات، التي رسمت ملامح الدرس اللسانيّ، ويمكن اجمال تلكم الثنائيات في الآتي:

١- اللُّغة / الكلام : ميَّز «سُوسير» بين اللُّغة والكلام، من حيثُ كون اللُّغة فضاءً اجتماعياً غير فرديّ، فهُو مفروضٌ على الفرد وخارجٌ عن نطاق إرادته، ومفهوم اللُّغة يتَّسم بالتجريد، إذ إنَّ اللُّغة شكلٌ لا مادَّة، قوانين عامَّةٌ مخزونةٌ في ذهن الجماعة اللُّغوية يكتسبها الفرد من الجماعة، فهي((ظاهرة اجتماعية يمكن النظر اليها على أنها شيء منفصل عن صور استخدام الأفراد لها، ونحن نكتسب اللغة من أفراد المجتمع المحيطين بنا، وهم يلقوننا إياها، ونحن نتعلمها منهم، وليست بهذا الاعتبار من نتاجنا))[2]، بَيْدَ أنَّ الكلام غير ذلك، فهُو الاستعمال والتحقق الفعلي الفردي لأنظمة اللُّغة، ما يَسِمُه بحُرِّيَّةٍ تُكسبه ديناميكيةً وتجدُّداً وتغيُّراً وانفتاحاً، وهو ما يمنح الفرد حُرِّيَّةً أكبر في التعامل مع أنظمة اللُّغة، فما ينطقه الفرد فعلا، وما يختاره من مفردات وتراكيب، ينتمي الى حيز الكلام، وعليه فاللغة على وفق ما تقدم ظاهرة اجتماعية في حين أن الكلام شأن فردي يرتبط بالمتكلم، وعليه يؤكد دي سوسير ((أن الفصل بين اللغة والكلام يعني أيضا الفصل بين ما هو اجتماعي وما هو فردي))[3].

٢- التزامن/ التعاقب: لقد كان مفهوم القيمة الذي سبق أن تحدثنا عنه المعيار الذي ميَّز دي سوسير بموجبه في الظاهرة اللغوية بين ثنائية التزامن والتعاقب، مع إعطاء الأولوية المعرفية للأولى، بحيث أصبح التزامن أو الآنية صفةً مميزةً تخرج بالدراسة اللغوية من دائرة اللسانيات التاريخية، وتميِّزها منها، وغدا مصطلح التزامن((علامة فارقة على تحوُّل الفكر وانتقاله من الاحتكام إلى الماضي أو التاريخ، وجعله معيارًا إلى الانتقال إلى الحاضر ومحاولة فهمه ودراسته، ولهذا فقد رأى كثيرٌ من الباحثين أنَّ البنيوية في ارتكازها على مفهوم هذا المصطلح ردَّت على

(١) مدارس اللسانيات ٢٩، وينظر: علم اللغة (السعران) ٣٠٣، واللغة والخطاب ٤٣.
(٢) مدخل الى علم اللغة ٢٩٩.
(٣) علم اللغة العام ٣٢.

الفلسفات التي اتخذت من التاريخ محور ارتكاز لها كالماركسية مثلاً)) [١]، يقول دي سوسير في هذا الصدد: ((وثمة ضرورةٌ مشابهةٌ تحملنا على تقسيم علم اللغة إلى قسمين*،كلٌّ منهما يعتمد على مبدأ خاص به، فنحن نواجه هنا – كما في الاقتصاد السياسي – مسألة القيمة))[٢]، فهذا النصُّ يشير بجلاء الى اعتماد دي سوسير في تمييزه بين التزامن والتعاقب على مفهوم القيمة.

ويشير الباحث التونسي عز الدين مجدوب إلى أنَّ مفهوم القيمة لم يُمكِّن دي سوسير من إعادة تحديد موضوع اللسانيات حسب، بل مكَّنه أيضًا من صياغة فرضيات عامة أو مقولات كلية خاصة ببنية الألسنية البشرية، وقد عُرِفَت هذه الفرضيات في الدراسات اللسانية بـ "خصائص العلامة اللسانية"، وأُولى هذه الفرضيات أنَّ اللغة نظام، وقد جعل دي سوسير من مفهوم النظام فرضية عامة، أو مقولة كلية بالمعنى العلمي للكلمة تصحُّ على جميع اللغات[٣].

لقد دعا دي سوسير إلى التفريق بين محورين تُدرَّس اللُّغة في ضوئهما هُما : المحور التعاقبي أو التاريخي، والمحور التزامني أو السكوني، وأطلق على المحور الأول مصطلح diachronic، ويقصد به وصف اللغة ودراستها خلال تطورها التاريخي، فهو يقوم بدراسة التعاقبات التاريخية والتطوُّر اللُّغوي عبر العُصور، بينما أطلق على التزامنية مصطلح synchronic، وهو يختص بدراسة اللغة ووصفها في مدة زمنية محددة، تكون فيه اللغة ساكنة، ويقوم المحور التزامني على تثبيت عُنصر الزمن ودراسة اللُّغة دراسةً آنيةً في إطارٍ زمنيٍّ مُحدَّد، وتحليل العلاقات بين وحداتها وأنظمتها للوصول إلى الأنظمة الكُلِّيَّة أو الشُّمولية لها. ووجَّه سُوسير الأنظار إلى ضرورة التوقُّف عن دراسة اللُّغة وفق المحور الأوَّل، والاتِّجاه إلى الدراسة التزامنية الوصفية الآنية، فدراسة مقطعٍ نباتيٍّ طُوليٍّ ليست كدراسة مقطعٍ عرضيّ، إذ تبدو الخصائص، في الآخر كاملةً، كما أنَّ معرفة نوع قِطَع الشطرنج وتاريخها ومكان صُنعها، وغيرها، لا يهمُّنا مثلما يهمُّنا معرفة النظام الداخلي للَّعب القائم على العلاقات بين القِطَع وحركتها، وتغيير قطعةٍ مصنوعة من الخشب بذات القطعة من العاج لن يُؤثِّر في اللَّعب، كما لو أنَّنا أنقصنا عدد القِطَع أو زدناها – مثلاً – فلذلك تأثيره

(١) اللسانيات والدلالة ١٦٠.

* يريد محوري التزامن والتعاقب، أو علم اللغة الثابت والمتطور بحسب تعبيره.

(٢) علم اللغة العام ٩٨.

(٣) ينظر: المنوال النحوي ٧٦–٧٧.

الكبير على قواعد اللُّعبة وقوانينها، وكذلك الأمر في اللُّغة، ما يهمُّنا فيها هُو الأنظمة الداخلية التي تتحكَّم في قواعدها، وليس الخارجية.

٣- المحوران الرأسي والأفقي، يحوي المحور الأول مجموعة الاستبدالات المعجمية والصرفية، أيْ مجموعةً من الكلمات والمُفردات المُتراصَّة عمودياً، وهُو محورٌ إيحائيّ، إذ تُثيره مجموعةٌ من التداعيات، كالتعالق أو الترادف أو التضادّ أو حتَّى التشابه الصوتي بين المُفردات، بينما الآخر «الأُفقي»، تتعالق فيه المُفردات، وفيه يتمُّ تركيب العبارات في جُملٍ تُسهم في عملية التكلُّم.

ويرتبط هذان المحوران بلونين من العلاقات سمَّى دي سوسير الأولى منها العلاقات السنتاكمية أو بحسب المصطلح السوسيري (السياقية أوالتركيبية)، وهي علاقات حضورية تقوم على أساس وجود عنصرين أو أكثر في الوقت نفسه، ضمن سلسلة من العناصر الموجودة بالفعل، يقول دي سوسير: ((تكتسب الكلمات في الحديث علاقات تعتمد من جهة الطبيعة الخطية للغة؛ لأنَّها مرتبطة بعضها ببعض، وهذه الحقيقة تحول دون النطق بعنصرين في آنٍ واحد...إنَّ هذه العناصر مرتبطة بصورة متعاقبة في سلسلة الكلام، فالربط الخطي ينتج عنه السنتاكم syntagm، ويتألف السنتاكم من وحدتين متعاقبتين أو أكثر، ويكتسب العنصر قيمته في السنتاكم؛ لأنَّه يتقابل مع كلّ ما يسبقه، أو يأتي بعده، أو معهما في آنٍ واحد)) [١].

أمَّا العلاقات الايحائية؛ فهي علاقات تجمع بين عدد من العناصر التي تشترك بأمر ما بصورة غيابية، وتكون خارج الحديث، ومجالها الذاكرة، فهي((تختلف عن الصنف المذكور آنفًا، فالكلمات التي تشترك في أمر ما ترتبط معًا في الذاكرة، وتتألَّف منها مجموعات تتميز بعلاقات متنوعة، فعلى سبيل المثال، توحي الكلمة الفرنسية enseignement (تعليم) بصورة لا شعورية بعدد كبير من الكلمات، مثل: (enseigner ، يعلم renseigner يتعرَّف على، أو توحي بالألفاظ amenrent= تسليح، وchangement تعديل، أو education تربية وتعليم... جميع هذه الكلمات ترتبط بعضها ببعض بطريقة ما، ونلاحظ أنَّ الارتباط الذي يتألَّف خارج الحديث يختلف كثيرًا عن ذلك الذي يتكون داخل الحديث، فالارتباطات التي تقع خارج الحديث لا

---

[١] علم اللغة العام ١٤٢، وينظر: أثر محاضرات دي سوسير ٢٩، والتفكير اللغوي ٢٤٤، والمعنى وظلال المعنى ٥٨.

يدعمها التعاقب الخطي، ويكون مكانها الدماغ، فهي جزء من الذخيرة الداخلية للغة التي يمتلكها كلٌّ متكلم، وتُسمَّى هذه العلاقات بالعلاقات الايحائية))[1].

٤- الدال/المدلول: وهُما طرفا العلامة اللُّغوية لديه، والدال هُو الصُّورة الصوتية السمعية المُكوَّنة من مجموعةٍ من الأصوات التي تُثير لدى المُستمع تصوُّراً نفسياً ما، هذا التصوُّر النفسي الذهني الذي يُحيل إليه الدال هُو المدلول، فالمدلول تصوُّرٌ ذهنيٌّ يملكه الفرد عن الواقع الخارجي، و«سُوسير» بذلك يُقصي عن المدلول كونه شيئاً مادِّيَّاً خارجيا محسوساً، أو – بمعنى أكثر وضوحاً – أقصى المرجع الخارجي عن العلامة اللُّغوية، ما وَسَمَهَا بالانغلاق على الداخل والانطواء عليه، الأمر الذي أثَّر بشكلٍ ملحوظٍ – في ما بعد – على **الدرس الأدبي البنيوي**، الذي أقصى المرجع الخارجي في دراسة الأدب، وانغلق على درس النصّ دراسةً بنيويةً داخليةً، بعيداً عن السياقات الخارجية التي تمسّ النصّ أو المُؤلِّف.

ومن مُميِّزات شقِّي العلامة السُوسيرية أنَّ طرفيها الدال والمدلول، لا علاقة طبيعية بينهما، أي إن العلاقة بينهما علاقة اعتباطية، لا مناسبة طبيعية بينها، ما عدا أشياء قليلة، كالمُحاكيات للطبيعة وأصوات التعجُّب، وممَّا يُدلِّل على اعتباطية العلاقة بينهما اختلاف اللُّغات في الدوالّ مع اتِّحاد «المُشار إليه»، غير أنَّ تلك الاعتباطية تحوَّلت إلى علاقةٍ عُرفية، بفعل التعارف، فأصبحت العلاقة وُثقى بين الدوالّ ومدلولاتها، ومن زاويةٍ أُخرى اتَّسمت علاقة الدال بالمدلول بالترابط، لتجعلها كوجهيّ الورقة لا ينفصلان.

وشكَّلت طروحات سُوسير عن العلامة اللُّغوية مُنطلقاً مُهمَّاً لكثيرٍ من الدراسات التالية له، خاصَّةً السيميولوجية (علم العلامات)، وهو العلم العام الذي تدخل اللسانيات تحته، فقد عدَّ دي سوسير اللسانيات جزءا من علم أعمّ هو علم العلامات، وهو علم يهتم بدراسة حياة العلامات على اختلاف تجلياتها مثل نظام الأزياء والعلامات المرورية وغيرهما كثير، وتعد اللغة واحدة من أنظمة العلامات المهمة.

---

[1] علم اللغة العام ١٤٢، وينظر: السيميوطيقا : حول بعض المفاهيم والأبعاد ٣٥، وأثر محاضرات دي سوسير في الدراسات العربية الحديثة ٢٩، واتجاهات الشعرية ٢٧.

❖ **اتجاهات البحث اللسانيّ الوصفيّ:**

ذكرنا فيما تقدم أن المفاهيم اللسانية التي صاغها دي سوسير في محاضراته كان لها تأثير واضح في تشكيل وعي لساني جديد امتدَّ تأثيره الى بلدان تجاوزت القارة الأوروبية، فأصبحت محاضراته منطلقا معرفيا لكثير من المدارس اللسانية، وأسهم هذا التأثير في بلورة اتجاهات لسانية وصفية متعددة وليست واحدة، بحيث أصبح بإمكاننا الحديث عن مدارس لسانية وصفية[١]، بعبارة أخرى يمكننا القول ان اللسانيات الوصفية أصبحت الصيحة النظرية واللغوية للكثير من المدارس اللسانية في القرن العشرين[٢]، غير أنه غالبا ما يميز في إطار اللسانيات الوصفية بين توجهين لسانيين وصفيين مختلفين ولكنهما متكاملان في الوقت نفسه هما:

– لسانيات وصفية أوروبية

– لسانيات وصفية أمريكية

وعلى الرغم من اختلاف التوجهين على وفق ما سيتضح لنا نجد أنَّ كلتا المدرستين: (الأوروبية والأمريكية) تقوم عموما على جملة من الأسس والمبادئ المشتركة، منها أن كلا التوجهين ينظر الى اللسان بوصفه بنية، ويميل الى التحليل اللساني على أساس المستويات اللغوية(الصوت، والصرف، والتركيب، والدلالة)، فضلا عن تفضيل كلا التوجهين الوصف على التفسير، والتمييز بين الدارسة التزامنية والتعاقبية للغة، وتفضيل الأولى على الثانية.

غير أن الاتفاق في بعض المبادئ لم يكن حائلا من دون بروز الكثير من الاختلافات بين المدرستين، ولعل أهم مظاهر الخلاف هذه هو اختلافهما من حيث المصدر والنشأة، ففيما يتعلق بالمصدر، تعود اللسانيات الوصفية الأوروبية الى دي سوسير على نحو ما اتضح لنا، في حين ارتبطت اللسانيات الوصفية الأمريكية بـ(فرانز بوواز١٨٥٨م–١٩٤٢م ، وادوارد سابير ١٨٨٤م–١٩٣٩م ، وليونارد بلومفيلد١٨٨٧م–١٩٤٩م)، إذ كانت لجهود هؤلاء العلماء أثر مهم في بلورة الدرس اللساني الأمريكي، فقد كانت أعمال بوواز بداية حقيقية لمدرسة لسانية أمريكية، كان لها أثر بارز في رسم ملامح الدرس اللساني الأمريكي، ويعدُّ الدارسون سابير الممثِّل التقليدي للسانيات

---

[١] ينظر: تاريخ علم اللغة الحديث ٩١.

[٢] ينظر: نظرية تشومسكي اللغوية ٦٥.

الامريكية، فضلاً عن أنَّه رائد البنيوية فيها(١)، أمَّا بلومفيلد؛ فله مكانة خاصة في ميدان البحث اللساني، إذ كان يقع في أمريكا موقع دي سوسير في أوروبا، من حيث الأهمية، والدقة، وعمق الأثر(٢)، وقد تأثَّر بنظريات المدرسة السلوكية النفسية التي سادت مبادئها الولايات المتحدة مطلع عشرينيات القرن الماضي(٣)، والتي تزعَّمها عالم النفس جون برودواس واطسون*.

وتختلف اللسانيات الوصفية الأوروبية عن نظيرتها الأمريكية من جهة النشأة أيضًا، فالسياق التاريخي والمعرفي الذي تطور في ظله البحث اللساني في الولايات المتحدة الأمريكية، برز بصورة مستقلة عن المدارس اللسانية الأوروبية، وغير متصل اتصالاً مباشرًا بطروحات فرديناند دي سوسير اللسانية(٤)، إذ نشأت لسانيات سوسير في أوروبا بوصفها ردَّ فعلٍ على المدرسة التاريخية المقارنة، وازدهر فيها الجانب النظري في تحليل المسائل اللسانية على حساب الجانب التطبيقي، نظرا لما تتمتع أوروبا به من إرث فكري غني في مجال دراسة اللغة يعود الى قرون سحيقة، ترجع الى العهد اليوناني في القرن الثالث قبل الميلاد، بخلاف اللسانيات الأمريكية التي لم تمتلك أي تراث نحوي مكتوب، لذلك جاء موقفها رافضا قضايا التنظير العام، وصدرت أساسا عن مشاغل عملية متصلة شديد الاتصال بعلم الأجناس(الأنثروبولوجيا)، وتتمثَّل هذه المشاغل في إيجاد منهج لدراسة ووصف أكبر عدد ممكن من اللغات الهندو – أمريكية الرائجة في أمريكا الشمالية؛ لأنَّ معظم هذه اللغات لم يكن يتكلَّمها إلاّ عددٌ قليلٌ من الناس، إذ لم تكن مدوَّنة وكانت على وشك الاندثار، فما لم تُسجَّل وتوصف قبل أنْ يحدث ذلك، يصبح الوصول اليها ودراستها أمرًا مستحيلاً الى الأبد، فضلا عن أنَّها لغاتٌ لا يمكن دراستها باعتماد المقولات النحوية الخاصة باللغات الأوروبية(٥).

---

(١) ينظر: اتجاهات البحث اللساني ٢٧٦-٢٧٧، والبنيوية في اللسانيات ٩٩-١٠٠، ومدخل في اللسانيات ١١٠ (صالح الكشو).

(٢) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد ٢٥٠.

(٣) ينظر: موجز تاريخ علم اللغة ٣٣٤، واتجاهات البحث اللساني ٢٧٨.

* تأثر واطسون بنظرية العالم الروسي بافلوف التي تقول بالانعكاسات المشروطة، والتي تنمو من طريق العادة، بوصفها استجابة آلية لمثير معين، ينظر: اتجاهات البحث اللساني ٢٨٥.

(٤) ينظر: مناهج علم اللغة ٢٠١، ومدخل في اللسانيات ١٠٧ (صالح الكشو).

(٥) ينظر: جومسكي ٣٣، والبنيوية في اللسانيات ١١٧،٩٩.

فاللسانيات الوصفية الأمريكية في ضوء ما تقدم ارتبطت منذ انطلاقتها الأولى بالبحث اللساني العملي المعتمد على وصف مئات اللهجات المحلية، بحيث خلق هذا التقليد عند اللسانيين الوصفيين الأمريكيين((اهتماما خاصا بما له علاقة بالملاحظة المباشرة وبالوصف الموضوعي للوقائع اللغوية المتوافرة ميدانيا والقابلة للاختبار والمواجهة العملية، وترتب عن هذا أن أولت اللسانيات الأمريكية أهمية بالغة لما هو تزامني في التحليل اللساني، فجاءت اللسانيات الأميركية لسانيات وصفية وتزامنية بامتياز)) [١].

ومهما يكن من أمر يبقى الخلاف الرئيس بين اللسانيات الوصفية الأوروبية من جهة والأمريكية من جهة أخرى يعود الى غلبة التنظير على التطبيق في أوروبا، وسيطرة النزعة الاختبارية التجريبية، المنطلقة من السلوك العملي على اللسانيات الوصفية الأمريكية. غير أن ما قررناه هنا لا ينفي وجود اختلافات جذرية داخل اللسانيات الأوروبية والأمريكية نفسيهما، فقد برزت في أوروبا وأمريكا مدارس لسانية تتباين في الأسس المعرفية والمنطلقات الفكرية التي تقيم عليها تحليلها اللساني على نحو ما سيتضح لنا.

أسس المنـهج الوصفيّ:

يقوم المنهج الوصفي الذي أرسى دعائمه دي سوسير على جملة من الأسس المهمة التي يلجأ اليها الباحث الوصفي في أثناء مقاربته اللغوية، فقد كانت نظرة اللغويين الوصفيين الى اللغة نظرة وصفية تقوم على الملاحظ المباشرة، والاستعمال الفعلي للكلام، لذلك انصبَّ اهتمامهم على اللغة المنطوقة، بخلاف اللسانيات التاريخية والمقارنة التي ركزت على اللغة المكتوبة، وكان تركيز الوصفيين على اللغة المنطوقة نابعا من ايمانهم بأن اللغة نظام صوتي في المقام الأول، واللغة المنطوقة أكثر قدرة على التعبير وإيصال الأفكار من اللغة المكتوبة التي عنيت بها اللسانيات التاريخية والمقارنة، ونتيجة لاهتمام اللغوي الوصفي باللغة المنطوقة أقام منهجه على وفق أسس ثلاثة تتمثل بالآتي:

---

[١] اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات٧٢.

الزمان

يوجب المنهج الوصفي على الباحث اللغوي أن يعمد الى تحديد الزمان الذي تدرس خلاله الظاهرة اللغوية، لأن اللغة كما نعلم تتغير بمرور الزمن، فلا بد من تحديد إطار زماني يضمن استقرار الظاهرة اللغوية وقت تناولها بالدرس،((ولذا حرص الوصفيون أشد الحرص على ألا يشمل البحث مدة طويلة، تجنبا لظواهر لغوية تخلى عنها الاستعمال وقت إجراء الدراسة، لأنها ترجع الى عصور قديمة، فتضييق مدة البحث أمر مهم في المنهج الوصفي، ضمانا لاستقرار اللغة المدروسة وثبات خصائصها ونظامها، ونفيا لأية ظاهرة تتسلل اليها من زمن سابق))[١].

لقد كانت الدراسة اللغوية قبل دي سوسير كما بينا دراسة تعاقبية تاريخيةdiachronic، لا تدرس اللغة دراسة تزامنية synchronic في لحظتها السكونية الراهنة، وانما تدرسها عبر مراحل تاريخية متعاقبة، وهو نمط من الدراسة عارضه دي سوسير، الذي قرر أن اللغة ينبغي دراستها في مرحلة خاصة، أي حال استقرارها في بيئة مكانية وزمانية محددة[٢]، لأن ترك الفضاء الزمني مفتوحا سيؤدي لامحالة الى ظهور تراكيب وألفاظ جديدة، كان السبب في ظهورها اتساع الزمان وعدم تحديده بمدة معينة تدرس خلاله الظاهرة اللغوية.

المكان

يجب على الباحث الوصفي تحديد الفضاء المكاني الذي تدرس خلاله اللغة، لأن اللغة كما تتغير وتختلف بحسب الزمان، تختلف أيضا وتتغير بحسب المكان الذي تشغله الجماعة اللغوية، فالانعزال والتباعد الجغرافي يؤدي بالضرورة الى اختلافات لهجية كبيرة، وغالبًا ما يكون الانعزال راجعا الى عوامل جغرافية، مثل وجود الصحارى أو الجبال أو الأنهار العازلة بين بيئة وأخرى، وهذا الانعزال يقود الى خلافات لهجية مهمة، تسهم في بروز اللهجات، وعليه يجب على الباحث الوصفي تحديد البيئة اللغوية التي يروم دراستها.

---

(١) مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة٩٧.

(٢) ينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث١٠-١١.

ويمضي المنهج اللغويّ الحديث من أجلِ ضمان وحدةِ الدراسةِ ودقة نتائجها إلى مدى أبعد من ذلك، إذ يعمدُ إلى اتِّخاذ ((مساعد للبحثِ، يُمثِّل البيئةَ اللغويَّةَ موضوع الدرس، لدراسةِ لغته، ثم التأكُّد من نتائجِ الدراسةِ بعد ذلك في هذه البيئة، أو بين الناطقين أنفسهم، حيث يقومُ الدارسُ الحديثُ بدراسةِ لغةِ فردٍ واحدٍ يُطْلَقُ عليه informant أي المُلقّن، إذ يُلقِّنه الدارسُ مجموعةً من الجملِ والعباراتِ والقواعدِ لملاحظةِ كيفيّة نطقها، وبدراسةِ لغةِ مجموعةِ المُلقّنين يُمكنُ استخلاص قواعد الجماعة التي ينتمون إليها))[1]. ويشترط تمّام حسّان في مساعدِ البحثِ لكي يكونَ مُمثّلاً صادقاً للغةِ أو اللهجةِ المدروسة ((أنْ يكونَ ممّن نشأوا ونموا في ظلِّ هذه اللغة، حتى يُمكن اعتباره مُمثِّلاً صادقاً لنطقها. ويحسن أنْ يكونَ أميَّاً، لا يقرأ ولا يكتبُ حتى لا تؤثِّرَ العواملُ الثقافيّةُ في تمثيلهِ الصحيح، ومن الخيرِ كذلك ألا يكونَ قد خرج من المنطقةِ التي تتكلّم بها؛ لأنَّ كثرةَ الأسفارِ والتعرُّضِ للاحتكاكِ باللهجاتِ الأُخرى من نفس اللغة يجعل المرءَ عرضةً للتغيُّر يطرأ على نطقه، وطرق صوغهِ للمفردات والجمل))[2].

ويوجب المنهج الوصفي على الباحث اللغوي أن يحدد مادته اللغوية، سواء أكانت لهجة أم لغة موحدة، لأنه منهج يتطلب الاستقرار وتجانس الخصائص في اللغة التي يعتمد عليها في دراسته[3].

مستوى الأداء

يرى المنهج الوصفي أنه يجب على الباحث اللغوي تحديد المستوى اللغويَّ الذي يرومُ دراسته، ذلك أن كل لغة تتوافر على مستويات أدائية تتعدد بحسب طبيعة الموقف الكلامي، ويراد بالمستوى اللغوي الأداء الكلامي الذي يختاره الفرد تبعا لطبيعة الموقف الكلامي، ويقسم الدكتور المرحوم نعمة رحيم العزاوي مستويات اللغة على ثلاثة مستويات، يجب عدم الخلط بينها في أثناء الدراسة اللغوية، وهذه المستويات هي:

---

(١) الاستشهاد والاحتجاج باللغة ٢٥٥، وينظر : أُصول النحو العربيّ (محمد عيد) ١٢٢.

(٢) اللغة بين المعياريّة والوصفيّة، لتمّام حسّان ١٥٩. وينظر : مناهج البحث اللغويّ بين التراث والمعاصرة، لنعمة رحيم العزاويّ ١٠٢.

(٣) ينظر : مناهج البحث اللغويّ بين التراث والمعاصرة١٠٠.

- مستوى اللغةِ البليغة، وهو مستوى يتجاوزُ مجردَ الصحةِ والإفهام إلى الجمال في التعبير، والتأثير في المتلقي[١]، وهو المستوى الذي يعمد اليه الشعراء والكتاب.

- المستوى المفهم الصحيح، وهو المستوى الذي يجمعُ إلى جانب كونه مُفْهِمَاً مستوى الصحة، وقد سمّاه نعمة رحيم العزّاويّ (مستوى اللغة المُفْهِمةِ الصحيحة)[٢]؛ لأنَّ هذا المستوى ((يُمثِّلُ اللغةَ مجرَّدةً من كلِّ قيدٍ، ومطلقةً من كلِّ ما ينحرفُ بها لأسبابٍ فنيّةٍ عن سمتها المعهود، ونظامها الثابت، ومعنى ذلك أنَّ للغة في الشعر، وكذلك في النثر الفنيِّ نظاماً خاصاً، يختلفُ عن نظامها في المستوى الثاني من الأداء، وأنَّ على الواصف أنْ يلاحظَ ذلك، وألا يخلطَ هذين المستويين، ويُقيمَ درسه على المستوى الثاني وحده؛ لأنَّه المستوى الذي تتحقَّق فيه الوظيفةُ العامَّةُ للغة، ونعني بها (الفهم) أو (الاتصال)، وتتصفُ بالعفويَّةِ والتلقائيَّة، لأنَّه يخلو من الصنعةِ، ولا يُضطرُ مستعملُه إلى الانحراف عن خصائص اللغة ونظامها المُطَّرد))[٣]، ويمكن التمثيل لهذا المستوى بلغة الصحافة والمحاضرات.

- المستوى المفهم، وهو مستوى لا تتوافر فيه الصحة، وانما يقتصر على الإفهام والتوصيل، ويمكن التمثيل له باللهجات، فهي مستوى لغوي يحقق التواصل لكنه يفتقر الى الصحة.

ويجب في ضوء ما تقدم أن تكون النصوص منتمية الى مستوى لغوي واحد، وتفادي الخلط بين ما ينتمي الى الاستعمال اللغوي العادي والاستعمال الأدبي الخاص بفئة محددة من المتكلمين، فـ((اذا كان الوصف يتعلق بلغة الإعلامية اختلفت النتيجة عما اذا كان المتن اللغوي المختار مجموعة من النصوص التقنية أو المصنفات الرامية الى تبسيط المعارف أو مجرد نصوص الصحافة اليومية)) [٤]

معنى ذلك أنَّ اللغة لا تتباين باختلاف الزمان والمكان وحدهما، وانما تتنوع طرائق أدائها، تبعا للموقف الكلامي الذي يوجد فيه مستعمل اللغة.

---

[١] ينظر : اللغة بين الفرد والمجتمع، لأوتو جسبرسن، ترجمة عبد الرحمن أيّوب ١٤٢–١٤٣.

[٢] ينظر : مناهج البحث اللغويّ بين التراث والمعاصرة ١٠١، والمستوى اللغويّ ٣٤.

[٣] مناهج البحث اللغويّ بين التراث والمعاصرة ١٠١، وينظر : الأصول (تمّام حسّان) ١٠٣.

[٤] مدخل لفهم اللسانيات ٣٤.

وتأسيسا على وفق ما تقدم تفرض اللسانيات الوصفية أنْ يكونَ لكلِّ مستوى من مستويات الأداء اللغويِّ نحوٌ خاصٌّ به، فتكون للعربيةِ على سبيل التمثيل أنحاءٌ مختلفةٌ، واحدٌ للشعر، وثانٍ للقرآن، وثالثٌ للنثرِ غير الفنيِّ، الذي تُسْتَنْبَطُ منه قواعدُ النحو، ويمكنُ أنْ تُضمَّ إليه أنواعُ الكلامِ التي تتآلفُ معه من شعرٍ وقرآنٍ وأمثال[1]. ولاشكَّ في أنَّ اعتمادَنا على لغةِ النثرِ غيرِ الفنيِّ يُجنِّبُ الدراسةَ النحويَّةَ الاضطرابَ والتناقضَ، وتعدُّدَ الأوجهِ الإعرابيَّة[2].

إنَّ التحليل اللساني الذي أرسته اللسانيات الوصفية يعتمد في المقام الأول على المنطوق من اللسان، بهدف بناء قواعد لغوية قائمة على الملاحظة المباشرة وترك المادة المكتوبة، لأنها لا تمثل اللغة في استعمالها الواقعي. ويطلق الوصفيون على المادة اللغوية التي يجمعها الباحث مصطلح (المتن اللغويّ)، الذي هو عبارة عن نصوص لغوية مستعملة بين أفراد مجموعة لغوية، فهو((مجموعة الملفوظات التي تنتج داخل مجموعة لغوية محددة في حالة تزامن محددة يسجلها اللساني الواصف ويجمعها بكل موضوعية ودقة وأمانة من خلال اتصاله المباشر بهذه المجموعة اللغوية أو ببعض أفرادها، يقضي بينهم فترة زمنية ويشاركهم في حياتهم كما لو كان واحدا منهم))[3]. والغاية الرئيسة التي يسعى اليها الباحث الوصفي من وراء هذه الخطوات هو تحقيق عنصري الدقة والموضوعية في فحص المادة اللغوية ودراستها، حتى تكون نتائج الدراسة أقرب ما تكون الى الدقة والموضوعية.

❖ **اللسانيات الوصفية في الدراسات اللغوية العربية**

عرف الاتجاهُ الوصفيُّ طريقه الى الثقافة العربية بعد أن عاد الموفدون المصريون الذين درسوا في جامعة لندن إلى بلادهم، وقد كان من بين العائدين من تخصَّص في اللسانيات، أو أحد فروعها، لكنَّ القاسم المشترك بين هؤلاء الدارسين هو تلمذتهم على يد لغوي واحد هو الإنجليزي فيرث[4].

---

(1) ينظر : مناهج البحث اللغويّ بين التراث والمعاصرة ١٣٩-١٤٠.

(2) ينظر : السماع عند النحاة في ضوء علم اللغة الحديث ١٤٠.

(3) اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات ٨١.

(4) ينظر: المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

وترسَّخ الاتجاه الوصفي في الدراسات العربية بفضل جهود عددٍ من اللسانيين، الذين كان لجهودهم الأثر الأبرز في صياغة الخطاب اللساني العربي، وهم كلٌّ من إبراهيم أنيس، وتمام حسان، ومحمود السعران، وعبد الرحمن أيوب، وكمال بشر، فهؤلاء الباحثون ينتمون إلى توجُّه مدرسي واحد تقوده مدرسة فيرث الإنجليزية، لكنَّ جهودهم وتآليفهم اللغوية لم تكن لتصبَّ في قالب واحد، بل اتجه كلٌّ باحثٍ إلى موضوع بعينه، يدرسه، ويتعمَّق به[١] .

لقد انبهر الوصفيون العرب بالإنجازات التي حققتها اللسانيات الوصفية في الغرب، فكان ذلك حافزا لهم على تطبيق هذا الأنموذج اللساني على اللغة العربية، وقد اتخذ هذا التطبيق مظهرين:

الأول: التعريف بالمبادئ والأسس اللسانية التي قامت عليها اللسانيات الوصفية، على نحو ما نجد عند محمود السعران ، وتمام حسان، وغيرهما .

الثاني: الدفاع عن الفكر اللساني الحديث، من خلال الكشف عن ايجابياته النظرية والمنهجية، والمقارنة بينه وبين الفكر اللغوي العربي القديم[٢] .

لقد أدرك الوصفيون العرب أنَّ محاولتهم التحديثية هذه ستُواجَه برد فعلٍ معاكسٍ من لدن المتخصِّصين وغير المتخصِّصين، فقد لاحظ عبد الرحمن أيوب سلفاً أنَّ محاولته في نقد النحو العربي ستُواجَه بالرفض والنكران، إذ يقول: ((أما كيف يتلَّقى الناس هذا الكتاب فإنِّي أعلم مقدَّماً أنَّ منهم من سيعتبره كفراناً بثقافتنا التقليدية وتجريحاً لسلفنا اللغوي الصالح))[٣]، وشخّص محمود السعران هذا الواقع بقوله: ((أما جمهور المشتغلين بالدراسات اللغوية عندنا فأغلبهم يرفضون النظر في هذا العلم الجديد أو لا يحاول تفهُّمه، أو يعجب بما في يده من علم قد يحلُّ محلَّه علم حادث وافد في البلاد العربية، وخيرهم ظناً بهذه الدراسة الجديدة وبالقلة القائمة بها من أبناء العربية يعدُّ علم اللغة أو بعض فروعه كعلم الأصوات اللغوية (ترفاً) علمياً لم يؤن الأوان بعدُ للانغماس فيه أو

---

[١] ينظر: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة ٢١٦.

[٢] ينظر: اللسانيات العربية الحديثة –دراسة نقدية في المصادر والأسس المنهجية ١٥٧، والعربية وعلم اللغة البنيوي ١٦٧.

[٣] دراسات نقدية في النحو العربي ، المقدمة و .

التطلُّع إليه))[1]، وقد طال ردُّ الفعل هذا أعلى مؤسسات البحث العلمي ممثَّلة بالجامعات، وقد عبَّر عن ذلك تمام حسان بقوله:((وحين كنت أتولَّى تدريس علم الأصوات اللغوية لطلبة السنة الثانية بكلية دار العلوم بالقاهرة، فيما بين عام ١٩٥٣-١٩٥٩ كان الاتجاه العام بين أساتذة الكلية في ذلك الحين هو إلى التشكيك في قيمة الدراسات اللغوية الحديثة، ولاسيما عند تطبيق منهجها وأفكارها على دراسة اللغة الفصحى... لأنَّ الأول ما ترك للآخر شيئاً، حتى انَّ النحو قد نضج حتى احترق))[2].

ومن الجدير بالتنويه أنَّه في الوقت الذي عرفت فيه الثقافة العربية الاتجاه الوصفي كان العالم على موعد مع توجُّهات جديدة في البحث اللساني، تمثَّلت بالنظرية التوليدية، وفي مرحلة لاحقة بنظرية النحو الوظيفي[3].

ويشير الباحث حلمي خليل إلى أنَّ جهود الوصفيين العرب كانت قد سبقتها دراساتٌ لغويةٌ مهَّدت السبيل إليها[4]، عُنِيَت بالبحث اللغوي الحديث، إذ شهد العام ١٩٤١م بروز أول محاولة تأليف في ميدان الدراسات اللغوية الحديثة، ممثَّلة بكتاب علي عبد الواحد وافي (علم اللغة)، الذي يؤكِّد ريادته في التأليف في هذا المجال الحديث قائلا:((لم يُكْتَب فيه باللغة العربية على ما أعرف مؤلَّفٌ يعتد به)) [5] .

ويعد الدارسون الباحث تمام حسان الممثل الرئيس للسانيات الوصفية في الدراسات العربية، فهو يحظى بأهمية كبيرة في الدراسات اللغوية بعامة، وفي البحث الدلالي على وجه الخصوص، فهو أولُ باحثٍ عربيٍّ تبنَّى المنهج الوصفي صراحة، وسعى إلى التعريف به، وبيان الأصول والمبادئ التي قام عليها، فضلاً عن أنَّه الباحث العربي الوحيد الذي قدَّم أوفى قراءة للتراث النحوي العربي من خلال مشروع طموح لوصف ظواهر اللغة العربية ومستوياتها.

تشبَّع تمام حسان بمبادئ المنهج الوصفي ومقولاته، ومارسه من خلال وصفه للهجتين: هما لهجة الكرنك بمديرية قنا، التي درسها في رسالته التي حصل فيها على الماجستير من جامعة

---

[1] علم اللغة ٢١-٢٢.

[2] اللغة العربية معناها ومبناها ٧.

[3] ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية ٤٤.

[4] ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي ١٤٢.

[5] علم اللغة ٤، وينظر: اللسانيات في الثقافة العربية –حفريات النشأة ١٣٦.

لندن، ولهجة عدن في جنوب بلاد العرب، وقد حصل بدراستها على الدكتوراه من الجامعة نفسها[١].

إنَّ نظرةً فاحصةً في جهد تمام حسان اللساني تدعونا إلى تقسيم هذا الجهد على قسمين: أحدهما تنظيري، عمد فيه إلى تقديم الأصول النظرية للسانيات الوصفية، وهو ما نراه ماثلاً في كتابيه (مناهج البحث في اللغة) الصادر في القاهرة العام ١٩٥٥م، و(اللغة بين المعيارية والوصفية) الصادر في العام ١٩٥٨م، أما الثاني فهو جهدٌ إجرائيٌّ تطبيقيٌّ، سعى فيه المؤلِّف إلى تطبيق المبادئ والمفاهيم الوصفية، وتحديداً نظرية فيرث السياقية على التراث اللغوي العربي، وقد تجلَّى ذلك في كتابيه (اللغة العربية معناها ومبناها) الصادر في القاهرة العام ١٩٧٣م وكتاب (البيان في روائع القرآن)، لذلك وصف بعض الدارسين مشروع تمام حسان بأنَّه المشروع العربي المشرقي الوحيد الذي ينتمي إلى اللسانيات صراحة[٢]؛ لأنَّه الدارس الوحيد الذي تبنَّى اللسانيات تعريفاً وإجراء.

تشبَّع الباحث تمام حسان باللسانيات الوصفية، تعلُّما على يد أصحابها، أو دراسة لمؤلفاتهم، متبنيا فكرة "التوفيق المعرفي" التي عبَّر عنها بقوله: ((وتشعبت المسالك أمام الشعب ...فوجد أمامه طريقا يقوده الى التراث العربي الخصب، ورأى أنَّه لو بعث هذا التراث وأحياه لكان دافعا لعزَّة جديدة لا تقلُّ روعة عن التاريخ العربي نفسه، ووجد أمامه طريقا في المستقبل معالمه ما في أيدي الأمم من علوم ومعارف يمكن أن ترقى به الى مستوى هذه الأمم، ثم رأى لو أنَّه سلك الطريق الأول فحسب لانقطع به التاريخ عن الحياة، ولو سلك الثاني فحسب لانقطعت به الحياة عن التاريخ، ففضَّل أن يأخذ بنصيب من التراث العربي يوحي اليه بالاعتزاز ونصيب من الثقافة المعاصرة يمنحه العزَّة))[٣]، كان هذا الكلام في أول مؤلَّف كتبه الباحث تمام حسان، وهو(مناهج البحث في اللغة)، لكنَّه في مؤلَّفات لاحقة تخلَّى عن فكرة "التوفيق المعرفي" بين تراث العربية واللسانيات الغربية، وانقلب بحسب تعبير الباحث محمد الأوراغي "تراثيا خالصا" منذ العام ١٩٨١م، تاريخ صدور كتابه " الأصول... "، كما يظهر في قوله:((لم أُخفِ إعجابي بأصالة التفكير العربي لدى نحاتنا القدماء، ولم أُحجم عن وصف بنائهم النظري الذي جرَّدوه تجريدا من المسموع بأنَّه صرحٌ شامخٌ وجهدٌ عقليٌّ من الطراز الأول)) [٤]، بل إنَّ كلَّ الدراسات التي أصدرها تمام حسان بعد

---

[١] ينظر: مناهج البحث في اللغة ١٣، والمنوال النحوي العربي ٣٨.

[٢] ينظر: المنوال النحوي العربي ٣٧ .

[٣] مناهج البحث في اللغة ٤ .

[٤] الأصول ٩ .

هذا التاريخ أُنجِزت في اطار الفكر اللغوي العربي القديم، مع الاستئناس بمفاهيم لسانية حديثة، لكن في حدود المحافظة على الفكر القديم، كما هي الحال مع كتابه " البيان في روائع القرآن "[١].

ثالثا: الاتجاه التوليديّ:

الأسس النظرية للسانيات التوليدية:

نشأ الاتجاه التوليدي في دراسة اللغة على أنقاض اللسانيات الوصفية، فقد كان من البديهي أن تؤدي الانتقادات التي وجِّهت إلى الوصفيين إلى البحث عن أنموذج جديد، يجيب عن الأسئلة التي لم تستطع اللسانيات الوصفية الإجابة عنها.

لقد شهد العام ١٩٥٧م بروز نظرية اللسانيات التوليدية، التي ارتبطت باللساني الامريكي افرام نعوم تشومسكي (١٩٢٨–)، بعد صدور كتابه (البنى النحوية)، والذي حول مسار الدرس اللساني على نحو جذري، محدثا ثورة في ميدان الدرس اللساني. واذا كان القرن العشرون يتميز ببروز الكثير من النظريات اللسانية فان اللسانيات التوليدية استطاعت خلال نصف قرن أن تكون مرجعا الى الكثير من النظريات المنافسة لها أو المختلفة معها، بحيث أصبحت أغلب النظريات اللسانية تقيس مضامينها النظرية وتصوراتها اللغوية بالقياس مع النظرية التوليدية.

ومن الجدير بالتنويه في هذا المقام التأكيد على أن الأسس النظرية التي قامت عليها اللسانيات التوليدية تختلف جذريا عن الأسس التي قامت عليها اللسانيات الوصفية، بشقيها الأوروبي والأمريكي، فقد اعتمد تشومسكي في صياغة خطابه اللساني على طروحات الفيلسوف الفرنسي العقلاني رينيه ديكارت(١٥٩٦–١٦٥٠)، الذي جعل من آرائه ركيزة مهمة اعتمد عليها في رفض الكثير من التصورات اللسانية التي قامت عليها اللسانيات الوصفية، لقد أخذ تشومسكي عن ديكارت فكرة مهمة كانت ملمحا بارزا ميز نظرية تشومسكي التوليدية، ألا وهي الفكرة المتعلقة بفطرية اللغة، ويقصد بها((وجود بنيات لغوية تصورية مجردة جاهزة للاستعمال عند الانسان، فاللغة

[١] ينظر : نظرية اللسانيات النسبية – دواعي النشأة ٦٧–٦٨ .

البشرية عند ديكارت كما عند تشومسكي صفة ملازمة للجنس البشري تميزه عن غيره من الكائنات الأخرى))[١].

لقد ترتَّب على ايمان تشومسكي بالعقلانية منهجاً عددٌ من النتائج التي كانت حاضرة في مقاربته اللغوية، منها احتفاؤه بالحدس والاعتماد عليه في عملية التحليل اللغوي؛ لأنَّ جوهر العقلانية يقوم على الاعتقاد بأنَّ المعرفة تكمن في دواخلنا منذ البداية((وأنَّ التعليم لا يعني سوى التعرُّف على ما هو موجود في أذهاننا مسبقاً، والتعبير عنه بالكلام، ولا دخل لملاحظة العالم الخارجي في ذلك تقريباً))[٢]، فإذا ما حصل تعارضٌ بين الحدس والملاحظة كان الحدس هو المرجع الذي يُحتَكَم إليه في تحديد طبيعة القواعد التي يصوغها اللساني[٣].

ومن المهمِّ التنبيه هنا على أنَّ اللسانيات التوليدية ترفض كل رجوع للمتن بمفهومه البنيوي، لأنَّ ذلك يتعارض مع طبيعة النشاط اللغوي عند المتكلمين بلغة معينة، ألا وهو القدرة على الكلام المتجدِّد باستمرار، فموضوع اللسانيات التوليدية – كما نعلم– هو المتكلم / السامع المثالي، الذي يعرف لغته جيداً، ويعيش في بيئة لغوية متجانسة، أي إنَّ اللسانيات التوليدية لا تصف جملاً مدونة، بل تعمد إلى صياغة جمل مفترضة باتباع منهج التوليد، ثم يُنظر في واقع اللغة، ويُسأل عما إذا كانت الجمل المولَّدة بمنهج رياضي مطابقة لقواعد اللغة أو لاَ؟[٤].

لقد انتقد تشومسكي اللسانيات الوصفية لأنَّها – بحسب رأيه – اقتصرت على وصف اللغة دون تفسيرها ودعا الى الانتقال من مرحلة الوصف، وما يقوم عليه من استقراء للمادة اللغوية وتحليلها إلى مرحلة الوصف والتفسير في الوقت نفسه. لقد قاد تشومسكي ثورة علمية ((نجم عنها بروز أنموذج جديد (New Paradigm) للتفكير في اللغة، أفرز مجموعة من الأشكال يجب أن يُعنى بها اللغوي، وضمنها الاهتمام بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلمين عوض الاهتمام بسلوكهم الفعلي، ومع هذا الأنموذج بزغ زمن التركيب حين اتجه اللساني ليس فقط إلى ما هو موجود من السلاسل اللغوية السليمة، ولكن أيضاً إلى ما يمكن أن يوجد، واتَّضح حينه أنَّ إجراءات التقطيع

---

(١) اللسانيات التوليدية ٥.

(٢) مدارس اللسانيات ١٥٩، وينظر: مناهج علم اللغة ٢٨٦.

(٣) ينظر: مدارس اللسانيات ١٦٠، ومباحث في النظرية الألسنية ١٠٧.

(٤) ينظر: اللسانيات العربية الحديثة ٢٣٨، ومدخل إلى اللسانيات ٨٥–٨٦.

(البنيوية) المستعملة في الأصوات وفي الصرف لم تعد ناجعة بما يكفي حتى تمتد إلى التركيب))[١].

ومن الجدير بالتنويه أنَّ تشومسكي كان وثيق الصلة بأعمال الوصفيين الأمريكان، من أمثال (بلومفيلد، وهاريس أستاذ تشومسكي المباشر)حتى انَّ بعض الدارسين يرى أنَّ تشومسكي يمثِّل صورة متطورة للوصفية الأمريكية، بل انَّ هناك من الباحثين من لا يتوانى عن ربط نظريته التوليدية بالبنيوية، فقد أطلق بياجيه على الاتجاه التوليدي مصطلح(البنيوية التحويلية)في إشارة واضحة إلى العلاقة بين الاتجاهين[٢]. غير أنَّ دارسين آخرين وجدوا في تشومسكي معادياً للبنيوية؛ لأنَّه لم ينطلق من فكرة النسق أو النظام وإنَّما انطلق من القول أو العبارة[٣]، فضلاً عن فروق أخرى سيأتي الحديث عنها لاحقًا، إنّ شاء الله.

وفي الحق أنَّ تشومسكي في أُنموذج (البنى النحوية) ١٩٥٧م بدا متأثراً باللسانيات البنيوية الأمريكية، وتحديدا بالتحليل اللغوي من طريق المكونات المباشرة، الذي كان معمولاً به في إطار البنيوية الأمريكية، ولعلَّ تحييد المكون الدلالي، وعدم الاحتفاء به أبرز دليل على هذا التأثُّر، فمعروف أنَّ تشومسكي في (البنى النحوية)آمن بأنَّ دراسة فونولوجيا أيِّ لغة ونحوها، يمكن أن يكون بطريقة شكلية خالصة، من دون العودة إلى النواحي الدلالية؛ لأنَّ وظيفة اللغة الأساسية- بحسب رأيه- هي التعبير عن المعنى، ومن الممكن دراستها ووصفها من دون الاعتماد على وظيفتها التي تقوم بها[٤]، غير أنَّ تشومسكي وجَّه فيما بعد انتقادات لاذعة إلى البنيوية الأمريكية التي نظرت إلى اللغة على أنَّها عنصرٌ من عناصر السلوك الإنساني، أو هي ردُّ فعل لمثير أو دافع معين.

ويبدو أنَّ الأُسس الابستمولوجية التي قامت عليها اللسانيات التوليدية هي التي جعلت تشومسكي يوجِّه انتقاداته إلى البنيوية، فقد سبق أن ذكرنا أنَّ مفهوم بلومفيلد عن العلم كان مفهوماً أمبريقياً(تجريبيا)، ينظر إلى اللغة من الخارج، تماماً كما تفعل العلوم الطبيعية، في حين أنَّ

---

(١) اللسانيات واللغة العربية ٦٥/١، وينظر: النحو بين القديم والجديد ٧.

(٢) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية ٢٦١.

(٣) ينظر: أصول تراثية في علم اللغة ٦٧ – ٧٧، والنحو بين القديم والجديد ٧.

(٤) ينظر: نظرية تشومسكي اللغوية ٧٢.

تشومسكي نظر إلى اللغة من الداخل، وسعى إلى الوقوف على مقدرة ابن اللغة على استعمال لغته وفهمها[١].

إنَّ الفكرة الأساسية التي توجِّه اللسانيات التوليدية هي صفة **الإنتاجية أوالإبداعية أو التوليدية** في اللغة، ويقصد بها تشومسكي **أنَّ الإمكانات المتوافرة في اللغات الإنسانية تجعل الناطقين بها قادرين على الإبداع، أي إبداع جمل وتراكيب لم يكونوا قد سمعوا بها من قبل، وهم في الوقت نفسه يمتلكون وعياً لغوياً يجعلهم قادرين على فهم التراكيب الجديدة، ويجب على أيِّ نظرية لغوية أن تحدِّد الإمكانية التي يمتلكها أبناء اللغة، وتعمد إلى وصف هذه القابلية التي يعمل بها**[٢]، فالمقصود بالتوليدية التي توصف بها لسانيات تشومسكي القدرة على انتاج وتوليد الجمل على وفق قواعد اللغة وأنظمتها. وتوصف نظرية تشومسكي في بعض الأحيان بالنظرية التحويلية، ويقصد بالتحويل ما ينبثق عن الجملة الأصل(النواة) من جمل متباينة من ناحية التركيب، وذلك من خلال تطبيق قانون تحويلي واحد أو أكثر، فعلى سبيل التمثيل جملة(كان محمد حاضرا)، جملة تحويلية حصلت التحويل فيها من خلال زيادة(كان)على الجملة الأصل(محمد حاضر)، فالتحويل يحصل من طريق الزيادة أو الحذف أو التقديم والتأخير وكل ما يمكن أن يطرأ على الجملة الأصل ويؤدي الى إحداث تغيير في ظاهرها.

لقد أدَّت فكرة الإبداعية التي قال بها تشومسكي إلى بروز مفهومين مترابطين في اللسانيات التوليدية، أحدهما ذهني خالص سماه(***القدرة اللغوية competence***)، والآخر بارز وظاهر سماه (***الأداء اللغوي performance***)، ويعني المصطلح الأول الإمكانية اللغوية التي يمتلكها المتكلم والتي تمكِّنه من التعبير عن نفسه والإتيان بعدد لانهائي من الجمل، وتتضمن القدرة اللغوية مهارات ذهنية متعددة، لعلَّ أهمها((التصوُّر ثم التنظيم الذي يجعل كلامنا منظَّماً ثم التتابع الذي يجعل المهارات الذهنية قادرة على البقاء والاستمرار ثم الاستدعاء، الذي يجعلنا قادرين على انتقاء التعبير المناسب لكلِّ موقف ثم التقويم الذي يجعلنا نحكم على سلامة لغتنا أو خطئها))[٣]. أما الأداء

---

[١] ينظر: موجز تاريخ علم اللغة ٣٤٤.

[٢] ينظر: اللسانيات المجال والوظيفة ١٧٤، والمقارنة والتخطيط في البحث اللساني ١٧.

[٣] اللسانيات المجال والوظيفة ١٧٧-١٧٨، وينظر: مدخل إلى اللسانيات ٨٤، وأصول تراثية في علم اللغة ٦٨ – ٦٩، والتفكير اللغوي بين القديم والجديد ١٥٨.

اللغوي، فيقصد به الممارسة الفعلية للغة، أو التحقُّق العيني لهذا التمكُّن اللغوي، أي الكلام المُنجَز بالفعل، وفيه يتَّحد الأداء الصوتي مع المضمون الدلالي، ويكون حينها الأداء هو الصورة الواعية التي تمثِّل الصورة المعقولة من اللغة(١).

لقد ركَّز تشومسكي في تحليله اللسانيّ في القدرة اللغوية دون الأداء اللغويّ أو الإنجاز؛ لأنَّه يرى أنَّ القدرة تتسم بالثبات والشمولية وعدم التأثُّر بالاعتبارات الصحية والنفسية، على العكس من الإنجاز الذي يختلف من شخص لآخر، وربَّما يختلف عند الشخص الواحد بسبب تأثره بعوامل النسيان والإرهاق والخجل، وعاب تشومسكي على البنيويين بناءهم لوصفهم النحوي على أساس الأداء، الذي رأى أنَّه تعوزه العمومية والاستقرار(٢)، وهو أمرٌ سيؤدي فيما بعد الى توجيه انتقادات حادة الى نرية تشومسكي، ويسهم في بروز التداولية التي تحتفي بالأداء، وتجعله الأساس في تحليلها اللساني.

وترتبط ثنائية (القدرة والأداء) بثنائية أُخرى هي(**البنية العميقةdeep structure والبنية *السطحية surface sructure)***، ويقصد تشومسكي بالبنية العميقة الصورة الذهنية للقواعد التي تصاغ منها الجمل، وتعطي هذه البنية التفسير الدلالي للجمل، أما البنية السطحية فهي الكلام المادي المتجسد بالفعل، إذ وجد تشومسكي أنَّ للظواهر التركيبية مستوى عميقاً خاصاً بها مستقلاً عن المستويات الصرفية والفونولوجية يعمد إلى تقديم التفسير الدلالي للجمل، ومستوى سطحياً يقدِّم التفسير الصوري لها، وقد نجم عن تمييزه بين هذين المستويين إدخال المكون الدلالي في عملية التحليل اللساني(٣).

ولما كان الإبداع أو الإنتاجية صفة تشترك فيها جميع اللغات الإنسانية، كان لزاماً على النظرية اللسانية – كما يرى تشومسكي – أن تكون مبنية على مراعاة ما هو مشترك في الذهنية اللغوية عند أبناء اللغات المختلفة، وهو ما أوحى إليه بفكرة(النحو العالمي أو الكلي)، وهي فكرة مركزية في اللسانيات التوليدية، ظلَّت ملازمة لتشومسكي في مختلف المراحل التي مرَّت بها

---

(١) ينظر: شظايا لسانية ٦١، ومباحث النظرية الألسنية ١١٠.

(٢) ينظر: شظايا لسانية ٦١، وأهم المدارس اللسانية ٧٧، ومباحث النظرية الألسنية ١١٠.

(٣) ينظر: مباحث في النظرية الألسنية ١١٢.

نظريته[١]، إذ يلحظ الدارس أنَّ البحث اللسانيّ التوليديّ كرَّس جلَّ اهتماماته بمشكل النحو الكليّ منذ سبعينيات القرن الماضي، واتجهت الأبحاث والدراسات التوليدية في السنوات الأخيرة نحو البحث العميق في المبادئ العامة المتحكمة في اللغات الإنسانية، فالنحو الكلي هو بحث في الخصائص والقواسم المشتركة بين اللغات البشرية مهما بدت مختلفة في مظاهرها السطحية، وهو أمر بقي تشومسكي يركز عليه، فقد قام نموذج المبادئ والوسائط (principles and parametrs) عام ١٩٨١م، على افتراض وجود نحو كليّ، عبارة عن مبادئ كلية ثابتة ومستقرة، تشترك فيها اللغات، إلى جانب وسائط ((ترتبط بما ترسَّب عن القواعد الخاصة المميِّزة للغات المحدودة العدد، ممّا يجعل إمكانات التنوُّع بين لغة وأخرى جدّ مقيدة، وتبيَّن أنَّ كلَّ وسيط يقترن بسمات صرفية أساساً، تربط بين العلامات التصريفية الموجودة في المقولات المعجمية، وبين المقولات الوظيفية الصرفية مثل الزمن والحدّ))[٢]، وأرجع الباحث عبد القادر الفاسي الفهري فكرة الوسائط إلى الدنماركي أوتو جسبرسن، الذي وجد أنَّ التركيب يُترجم ما هو مشتركٌ بين اللغات، بخلاف الصرف الذي لا يكون كذلك، وعليه نظر إلى أنَّ التنوُّع والاختلاف بين اللغات على أنَّه محصورٌ بالسمات الصرفية[٣]، وكان رومان ياكبسون مهتماً قبل تشومسكي بمسألة الكليات الصوتية الوظيفية، إذ يرى أنَّ الفوارق في البنى الصوتية بين لغات العالم، إنْ هي إلا فوارقُ سطحيةٌ، تُخفي تحتها نظاماً كلياً مشتركاً، لكنَّ تشومسكي تمكَّن من تطوير فرضية الكليات النحوية، إلى أن أصبحت أغنى وأعمق من نظرية ياكبسون عن الكليات الصوتية الوظيفية[٤].

وتأسيساً على نظرية(النحو الكلي) رأى تشومسكي وهو يبني نظريته اللسانية أنَّ اختلاف اللغات أمرٌ ثانويٌّ مُتجاوز، تكمن خلفه قواعدُ كليةٌ تحكم اللغات البشرية قاطبة، وهذه القواعدُ مستقرَّةٌ في أذهان المتكلمين، الذين لا يفزعون الى هذه القواعد الا لانتقاء ما يناسب لغاتهم، ويوسِّطون في الانتقاء وسائط لتثبيت القيم المناسبة، تنتهي بالمستعمل اللغوي الى تنزيل مبادئ النحو الكلي ومقاييسه على لغته الخاصة، فيتمُّ الانتقال من الكليات الى الجزئيات.

---

[١] ينظر: اللسانيات، المجال والوظيفة ١٧٥، ومناهج علم اللغة ٢٨٦.

[٢] المقارنة والتخطيط ١٧.

[٣] ينظر: المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

[٤] ينظر: مدارس اللسانيات ١٣٦.

وعرف الدرسُ اللسانيُّ الحديثُ بزوغَ نظريةٍ تناهض نظرية النحو الكلي، وتدعو الى نظرية لسانية نسبية أو نمطية، أرسى دعائمها الباحث المغربي محمد الأوراغيّ، الذي رأى أنَّه لا ينبغي لنا تطبيق مقرَّرات النحو الانجليزيّ على النمط العربيّ، ولا يمكن أن يستغرق نمطٌ ما كلَّ اللغات البشرية؛ لأنَّ نقلَ القاعدة خارج نمطها يعدُّ نقضا لخصوصية اللغات، أي لايمكن تحويل نحوٍ نسبيٍّ الى نحوٍ كليٍّ، ولاسيما اذا علمنا أنَّ تشومسكي لم يستقرَّ على حالة واحدة منذ عقد كامل[١]، لهذا اقترح الأوراغيّ نظرية لسانية نسبية، من شأنها أن تؤطِّر أنحاء نمطية، أي إنَّها نظريةٌ نسبيةٌ تقف وسطا بين لسانيات كلية ولسانيات خاصة، لقد قسَّم الأوراغيّ اللغات على قسمين:

– لغات توليفية، ومنها العربية، تكون رتبتُها حرَّة، ولا تناسبها القواعد التحويلية.

– لغات شجرية، بنيتها القاعدية قارَّة، تصلح لها القواعد التحويلية.

ويكمن خطأ تشومسكي – بحسب الأوراغي– في تعميم قواعده على كلِّ اللغات عوض المحافظة على أنماطها الخاصة بها، فمن غير المقبول عقلاً والمرفوض منطقياً القول بإمكان تطبيق قواعد لغة شجرية على لغة توليفية، مع استحالة العكس[٢]، من هنا بشَّر الأوراغيّ بأفول اللسانيات الكلية لصالح ما سمَّاه (اللسانيات النسبية)، وسعى إلى البرهنة على صحة فرضيته في عددٍ من مؤلَّفاته، التي قدَّم فيها الجانبين النظري والإجرائي للنظرية[٣].

ومن الجدير بالذكر أنَّ تشومسكي لم يعرض الأُسس العامة التي قامت عليها نظريته اللسانية في مؤلَّفٍ واحدٍ، وإنَّما بثَّ هذه الأُسس والمبادئ في أكثر من كتاب، حتى أصبح أهمَّ ما يميِّز هذه النظرية من النظريات اللسانية الأخرى أنَّها تطوَّرت خلال النصف الثاني من القرن الماضي تطوُّراً سمح لها بتعديل رؤى مؤسسها أكثر من مرَّة، نتيجة الانتقاد والمراجعة الذي طرأ على النظرية من خلال مواجهتها مع التجريب، فكان الانتقال من أُنموذج إلى آخر له ما يسوِّغه تجريبياً، أي انطلاقاً

---

[١] ينظر: الوسائط اللغوية– أفول اللسانيات الكلية ٩٣/١.

[٢] ينظر: المصدر نفسه ١٠/١.

[٣] للاطلاع على خصوصية هذه التجربة تمكن مراجعة المؤلفات الآتية: الوسائط اللغوية، جزءان، واللسانيات النسبية– دواعي النشأة، واللسانيات النسبية وتعليم اللغة.

من ظواهر اللغة المدروسة[١]، وعليه يمكننا تحديد المراحل التي مرت بها النظرية التوليدية بما يأتي:

❖ **نموذج البنى النحوية (١٩٥٧م):** لقد بدأ المسار الحقيقي للسانيات التوليدية بظهور كتاب تشومسكي(البنى النحوية)عام ١٩٥٧م، الذي وضع فيه اللبنات الأساسية للنظرية التوليدية، ويتألَّف هذا الأنموذج من مكونات ثلاثة:

١- المكون التركيبيّ الذي يكون مسؤولاً عن توليدِ عددٍ لا متناهٍ من الجمل من خلال قواعد محددة[٢].

٢- المكون التحويليّ، ويشتمل على عددٍ من القواعد التحويلية، التي قسَّمها على قسمين: قواعد إجبارية وقواعد اختيارية[٣].

٣- المكون الصوتيّ الصرفيّ الذي يطبَّق في التركيب الأساس والمشتق.

افترض تشومسكي في هذا الأنموذج أنَّ الملكة اللغوية عند البشر مُستمدَّة من المكون التركيبيّ، ودعا إلى أن تكون قدرة توليد البنى اللغوية ناشئة عن مكون تركيبي يسمح بإنتاج جمل نحوية، ويعمل هذا المكون على توليد المتواليات اللغوية الصحيحة نحوياً، ويُلغي غيرها، ويوجد إلى جوار المكون التركيبي مكونٌ صوتيٌّ، وظيفته إسناد شكل صوتي لتلك المتواليات التي أنشأها المكون التركيبي[٤]، وسعى هذا النوذج الى صياغة قواعد معينة للتعبير عن جملة متعددة، وذلك في ضوء قانون أسماه(قانون بنية العبارة، أو إعادة الكتابة)، ويقصد به افتراض وجود علاقة بين الكلمات في المتوالية اللغوية، في ضوء مبدأ الاختيار الذي يضطلع به المتكلم.

لقد كانت رغبة تشومسكي الاستدلال على أنَّ اللغة تستدعي نسقاً توليدياً، يمكِّن من التنوُّع اللانهائي للجمل، غير أنَّه افترض أنَّ التوليدية تكمن في المكون التركيبي للنحو وأنَّ الصوت والدلالة مكونان تفسيريان[٥]، ويشير الباحث محمد غاليم إلى أنَّ هذا الافتراض كان معقولاً في ستينيات القرن الماضي، إذ كان الأساس تبيان أنَّ شيئاً ما في اللغة يمتلك قوة توليدية ((فبدا

---

[١] ينظر: اللسانيات العربية الحديثة ٢٣٣، وقضايا أبستمولوجية في اللسانيات ٩١.

[٢] ينظر: البنى النحوية ١٧.

[٣] ينظر: المصدر نفسه ٦٣ .

[٤] ينظر: مدخل إلى الدلالة الحديثة ٥٩.

[٥] ينظر: بعض مهام اللسانيات في السياق المعرفي، ٦٩ (بحث).

المكون التركيبي المكون (الناضج) لأخذ هذه المنزلة المركزية في النحو، وذلك مقارنة بالمعطيات الهزيلة آنذاك في مجالي الصِواتة والدلالة، فقد أُعتُبِرت الصِواتة مستوى أدنى مشتقاً من التركيب الذي ينظِّم الكلمات في الترتيب المطلوب، لتكتفي الصِواتة بتحديد نطقها، ولم يكن في المجال الدلالي سوى الاقتراحات الأولية لكاتز وفودور ١٩٦٣، وكاتز وبوسطال ١٩٦٤))[1].

ويبدو أنَّ الحاضنة المعرفية التي نشأ فيها تشومسكي هي التي دعته إلى إقصاء المعنى والاحتفاء بالتركيب، فمعروف أنَّ الدرس اللساني في الولايات المتحدة الأمريكية قد ارتبط بشخصين، كان لهما عظيم الأثر في صياغة حدود البحث اللساني في أمريكا، وبلورة اتجاهاته، وهما بلومفيلد، وهاريس أُستاذ تشومسكي، وقد ذكرنا فيما تقدَّم أنَّ بلومفيلد سعى إلى أن يكون البحث اللساني علمياً مستقلاً، لذلك جَهِدَ في أن يُخرج منه كلَّ ما رآه غير صالح للوصف العلمي، ولتحقيق هذه الغاية، رفض بلومفيلد كلَّ ما لا يخضع للملاحظة المباشرة – كما أشرنا إلى ذلك من قبل – ومن هنا دعا إلى إبعاد دراسة المعنى من عملية التحليل اللغوي، وقصر بحثه على الصوت والتركيب، على أساس شكلي صرف. أما هاريس فقد سار على شكلانية بلومفيلد من خلال اتكائه على مبدأ التوزيع، الذي سعى من خلاله إلى تحييد المعنى.

ولما كان تشومسكي قد نشأ في إطار هذه المقاربة كان من الطبيعي أن يتأثر بها، ومن ثمَّ يُقصي المعنى، فعلى الرغم من أنَّه انتقد الأسس الأبستمولوجية التي قامت عليها اللسانيات البنيوية الأمريكية، إلا أنَّه ظلَّ على إيمانه – انطلاقاً من رؤية بلومفيلد وهاريس– بأنه يمكن((دراسة فنولوجيا أي لغة ونحوها بطريقة شكلية خالصة دون الرجوع إلى النواحي الدلالية؛ لأنَّه كان يرى أنَّ اللغة وسيلة للتعبير عن المعنى، ومن الممكن – بل ومن المرغوب فيه– وصف هذه الوسيلة ودراستها دون الاعتماد على الوظيفة التي تقوم بها، والدلالة جزء من وظيفة اللغة، بمعنى أنَّها مرحلة تعتمد أولاً على القواعد النحوية، كما أنَّها خارجة عن علم اللغة بالمعنى الدقيق لهذا المصطلح))[2]. وعليه يمكننا القول تأسيساً على ما تقدَّم أن كتاب(البنى النحوية)من حيث مادته العلمية ومنهجه اللغوي يقع في إطار التصور العام للدرس اللساني في الولايات المتحدة الأمريكية، فهو كتابٌ يعتمد ((التحليل بواسطة المؤلَّفات المباشرة، وهذا التحليل كان معمولاً به في إطار

(١) المصدر نفسه ٦٩.

(٢) نظرية تشومسكي اللغوية ٧٢.

الألسنية البنيانية الأمريكية (بلومفيلد هاريز) التي تحلّل الكلام من حيث الموقع والتوزيع ووفق الفئات المؤلّفة))[١].

❖ **النظرية المعيار ١٩٦٥م:** لقد كان أهمَّ مشكلٍ اعترض الأنموذج التوليدي الأول عام ١٩٥٧م هو تجاهله المكون الدلالي، وعدم عدِّه من مكونات النحو، فضلاً عن مشكلات أخرى لا تقلُّ أهمية عن مشكل الدلالة، منها عدم الاهتمام بالمشكل المعجمي، وكذلك مشكل التحويلات، وقد أدَّت تلكم الإشكالات إلى بروز دراسات ناقدة لهذا الأنموذج، الذي يعدُّ الجمل صحيحة نحوية، ما دامت عناصرها وأجزاؤها مرتبة صحيحاً، وأن كان ذلك على حساب المعنى[٢]. ونتيجة للانتقادات التي وُجِّهت إلى أنموذج ١٩٥٧م، قدَّم تشومسكي أُنموذجه الثاني في كتابه(جوانب من نظرية النحو) (Aspects of the theory of syntax)، وكان من أكثر التجديدات ثراء ضمُّ المكون الدلالي، وربطه بمكونات النحو الأخرى، فأصبحت مكونات النحو في هذا الأنموذج تتألَّف مما يأتي:

١- المكون التركيبي الذي يتضمن مكونين: الأول المكون التوليدي الأساس والثاني المكون التحويلي، ويشتمل على القواعد الوجوبية والجوازية.

٢- المكون الدلالي: وظيفته تحديد التأويل الدلالي للجمل، وربطه بالبنية العميقة.

٣- المكون الصوتي: وظيفته تحديد الصيغة الصوتية، وربطه بالبنية السطحية[٣].

انطلق تشومسكي في الأنموذج المعيار، كما يُسمَّى في الأدبيات التوليدية من الفرضية الأساس الآتية: إنَّ كلَّ جملة تتألَّف من بنيتين عميقة وسطحية، مرتبطتين آلياً بوساطة مجموعة من القواعد التحويلية، بحيث تؤوَّل البنية العميقة دلالياً، في حين تؤوَّل البنية السطحية صوتياً، وعلى الرغم من ضمِّ تشومسكي المكوّن الدلالي إلى مكونات النحو الأخرى إلا أنَّ المكون التركيبي

---

(١) مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة ١٠٣، وينظر: مناهج علم اللغة ٧٦، وموجز تاريخ علم اللغة ٣٥٨.

(٢) ينظر: المدرسة التوليدية التحويلية، ضمن كتاب أهم المدارس اللسانية ٨٦، ومناهج علم اللغة ٢٧٢.

(٣) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٩، واللسانيات المجال والوظيفة ١٨٣، والفكر اللساني عند الدكتور مازن الوعر ٣١ (رسالة ماجستير).

بقي مركزياً، بوصفه مستوى توليدياً، في حين كان دور المكونين الدلالي والصوتي دوراً ثانوياً، يقوم بتأويل ما يُنتجه المستوى التركيبي[١].

لقد كان السؤال ملحاً في السنوات التي سبقت كتاب(جوانب من نظرية النحو) بشأن كيفية ربط البنية التركيبية بالمعنى، وتأسيساً على اقتراحات قدَّمها كلٌّ من كاتز وفودور ١٩٦٣م، وكاتز وبوسطال ١٩٦٤م بلور تشومسكي فرضيته القائلة إنَّ تحديد المعنى مرتبط بالبنية العميقة((فعُقِدت آمالٌ كبيرةٌ على هذا الجزء من النحو التوليدي لدى الباحثين في مجالات العلوم المعرفية خاصة، على اعتبار أنَّ آليات النحو التوليدي إذا قادتنا إلى المعنى أمكنها أن تقودنا إلى الكشف عن خصائص الفكر والطبيعة البشريين))[٢].

إنَّ الإشكالات التي أثارها الأنموذج المعيار أدَّت إلى بروز نظريتين تقاربان المعنى في اللسانيات التوليدية، هما نظرية **الدلالة التأويلية أو التفسيرية، ونظرية الدلالة التوليدية**، وتكمن نقطة الخلاف بين النظريتين في المكون الذي تُسند إليه القدرة التوليدية، فالنظرية الأولى تُعطي للمكون التركيبي الدور التوليدي الأساس، في حين لا تُعطي للدلالة إلا دوراً تأويلياً، أما النظرية الثانية فترى أنَّ المكون الدلالي مكون توليدي، مسؤول عن توليد الجمل، واتخاذها الشكل الذي يظهر في التركيب[٣].

وقد تبنَّى كلٌّ من تشومسكي وكاتز وفودور النظرية التي تضع القدرة التوليدية في المكون التركيبي، في حين جعل كل من غروبر ومكّولي ولاكوف، وتشارلز فلمور وغيرهم القدرة التوليدية للقواعد في المكون الدلالي[٤]، وقد دار بين أنصار النظريتين صراعٌ طويلٌ، عُرِفَ في الأدبيات التوليدية بـ(حرب اللغة)[٥].

---

[١] ينظر: اللسانيات العربية الحديثة ٢٠٤.

[٢] ينظر: بعض مهام اللسانيات في السياق المعرفي ٦٩.

[٣] ينظر: دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة ٥٩، والنحو بين القديم والحديث ١٣-١٤ والدلالة والنحو ١٣١.

[٤] للإطلاع على جهود أصحاب الدلالة التوليدية، وتحديداً جهود غروبر وفلمور ومكّولي يمكن مراجعة المؤلفات الآتية: نظرية تشومسكي اللغوية ١٧٢-١٧٣، ومدخل إلى الدلالة الحديثة ٧٨-٧٩، والفعل العربي بين البنية الدلالية والبنية التصورية ٨٥-٨٦.

[٥] محمد غاليم، في لقاء خاص مع الباحث، الرباط ٢٧/٤/٢٠١٠.

❖ **(الأنموذج المعيار الموسع) عام ١٩٧٠م:** لقد أسفرت الانتقادات التي وجَّهها أنصار الدلالة التوليدية إلى الأنموذج المعيار عن عرض تشومسكي أنموذجه الثالث، الذي دعا فيه إلى تقليص القواعد التحويلية، من طريق وضع قيود صارمة على عدد من التحويلات، وإقصاء عدد آخر بشكل تدريجي، ثم أخيراً اختزالها في عام ١٩٧٨م في قاعدة تحويلية واحدة هي(انقل أ، move a)، بهدف تقليل أهمية الأثر الذي تؤديه داخل مكونات النحو، فعمد إلى التخلي عن فرضية كاتز وفودور التي تبنَّاها في أنموذج ١٩٦٥م، والتي ترى أن التحويلات لا تُحدِث أي تغيير في معنى الجملة، وأصبح جزء من التأويل الدلالي في النظرية المعيارية الموسعة وارداً في البنية السطحية، مثل النبر والتنغيم وغيرهما[١].

❖ **نظرية الربط العامليّ (المبادئ والوسائط) ١٩٨١م:** تشكل هذه النظرية منعطفا في مسار اللسانيات التوليدية، فقد ركز تشومسكي في هذه النظرية على فكرة مركزية هي فرضية(النحو الكلي)، التي تسعى الى تحديد السمات والخصائص التي تشترك فيها قواعد كل اللغات البشرية، على اعتبار أن القواعد جزء من الخصائص الفطرية والبيولوجية التي تشترك فيها لغات البشر كافة[٢]، أي إن القواعد الكلية هي مجموعة ***مبادئ*** عامة تكون جزءا من الجهاز البيولوجي الخاص بالجنس البشري، أما ***الوسائط*** فهي الطريقة الخاصة التي تصوغ بوساطتها اللغات قواعدها الخاصة.

❖ **برنامج الحد الأدنى (النظرية الأدنوية):** بدأت هذه النظرية وجودها مع بداية تسعينيات القرن الماضي(١٩٩٣-١٩٩٥)، وهي امتداد لنظرية الربط العاملي، من جهة الكشف عن المبادئ العامة التي تحكم الملكة اللغوية، لكن النظرية الأدنوية اتسمت بمجموعة خصائص لعل أهمها البساطة والتقليص والتنازل عن عدد كبير من الأفكار التي آمن بها تشومسكي في بداية مسيرته اللسانية، أي تقليص مستويات التمثيل الى حدها الأدنى، من بينها التخلي عن فكرة (البنية العميقة و البنية السطحية)، التي كانت فكرة مركزية في نظريته اللسانية؛ لأنَّ عدداً من

[١] ينظر: اللسانيات واللغة العربية ٧٤/١، والنحو في القديم والحديث ١٤.

[٢] ينظر: اللسانيات التوليدية١٩٧.

الأبحاث شخَّصت عدداً من المشكلات التجريبية المترتبة على افتراض وجود هذين المستويين[١].

أخيرًا نقول: لقد اغتنى البرنامج التوليدي عبر السنوات بعددٍ هائلٍ من النماذج والاتجاهات((جعلت البعض يشكِّك في إمكان التوفيق بين اقتراحات التوليديين المتباعدة، وجعلت بعضاً آخر يستدلُّ بهذا الغنى على حيوية البرنامج، وقدرته على احتواء أجود الاقتراحات وأقواها))[٢].

اللسانيات التوليدية في الدراسات العربية

عرفت النظرية التوليدية طريقها إلى الثقافة العربية في بداية سبعينيات القرن الماضي، إذ تبنَّى عددٌ من الباحثين العرب، وتحديداً الباحث عبد القادر الفاسي الفهري التعريف بأُصول هذه النظرية ومبادئها، مع تقديم تطبيقات مهمَّة على اللغة العربية، يقول الفهري: ((وحين عُدت الى المغرب في أواخر ١٩٧١م لم أجد أحدا يهتم بالنحو التوليدي ولابالنحو الوظيفي ولا التيارات الذريعية ...الخ وكل ما سمعته عن اللسانيات هو كلام عن مارتيني وكريماس))[٣].

إنَّ المتتبع لمسار الدرس التوليدي في الثقافة العربية، يلاحظ أنَّ الكتابة التوليدية العربية قد تمكَّنت((من تقديم جملة من الافتراضات الجديدة المتعلِّقة بطبيعة البنيات العربية صوتاً وصرفاً وتركيباً ودلالة ومعجماً. وجاءت بعض هذه الكتابات مضاهية شكلاً ومضموناً لنظيرتها الغربية أمريكية وأوربية من عدَّة أوجه، في مقدمتها تقيُّدها المطلق بشروط وقواعد البحث العلمي اللساني وخطابه))[٤].

ومن المعروف أنَّ اللسانيات التوليدية في الممارسة الغربية عرفت تطورات متلاحقة، وهو أمرٌ فرض على الباحثين التوليديين العرب متابعة المستجدات الطارئة ومواكبتها، فقد أصبحت دراسة العربية((محكومة بجملة من الأصول والمفاهيم النظرية والمنهجية المضبوطة، فبدون معرفة الإطار الذي تندرج فيه هذه الكتابة أو تلك لا يمكن بأيِّ حالٍ من الأحوال إدراك طبيعة تحليل

---

[١] للاطلاع على هذه الإشكالات والحلول المقترحة، ينظر: المقارنة والتخطيط في البحث اللساني ١٨-٢٢.

[٢] المقارنة والتخطيط في البحث اللساني ١٥.

[٣] اللسانيات واللغة العربية ٦٢/١، وينظر: اللسانيات في الثقافة العربية ٢٦١.

[٤] اللسانيات العربية الحديثة ٢٢٣.

المقدِّمة ونتائج النظرية، فلم يعد يُنظَر للغة العربية نظرة حرة اعتباطية قائمة على التأمل والانطباع، وإنَّما تتقيد المقاربة بالإطار الذي تشتغل فيه ومحاولة تطبيقه على اللغة العربية، مستعملة مجموعة من وسائل الاستدلال والبرهنة على ما تقوم به))[١].

إنَّ الناظر في الكتابة التوليدية العربية لا يجد إلا القليل من الدراسات التوليدية قدَّمت فعلاً افتراضاتٍ جديدة، بشأن دراسة بنى اللغة العربية من منظور توليدي، وتعكس مجهوداً عربياً فيه أصالةٌ وإبداعٌ يجعل الدرس اللساني العربي في إطار الدرس العلمي، وتكاد هذه المجهودات تنحصر في بعض الأسماء العربية[٢].

لقد تنوَّعت المستويات اللغوية التي كانت حقلاً تطبَّق عليه مبادئ النظرية التوليدية في الممارسة العربية، غير أنَّ التركيز كان على المستوى التركيبي، بوصفه المستوى الذي عُنِيَ به تشومسكي في أغلب دراساته اللسانية، وهو ما يتضح بجلاء في أعمال الباحث عبد القادر الفاسي الفهري التي تميَّزت بالمواكبة المستمرة((للتطورات المتلاحقة التي عرفتها النماذج التوليدية مع تحديث الآلة الواصفة لمعطيات اللغة العربية، والانخراط في مستجدات الأسئلة التي أفرزها الخطاب اللساني العربي المعاصر والتوليدي منه بشكل خاص))[٣].

ونجد من التوليديين العرب من كانت جهوده مقصورة على الجانب الصواتي من الدراسة اللغوية، بهدف تمكين((القارئ من التعرُّف على مختلف الاتجاهات الصِواتية في إطار الصِواتة التوليدية، التي تكون جزءاً من النحو التوليدي))[٤]، وقد أخذ اللسانيّ إدريس السغروشني على عاتقه التعريف بهذا الاتجاه، في حين تبنَّى الباحث محمد بلبول تطبيق النظرية التوليدية في بعدها الصرفي على اللغة العربية، وتحديداً نظرية برينس ومكّارثي في الصرف العروضيّ، وذلك في كتابه (بنية الكلمة في اللغة العربية).

ولا يلحظ الباحث تركيزًا من لدن التوليديين العرب في الجوانب الدلالية في العربية إلّا النزر القليل من المحاولات، وكأنَّ العربية غير معنية بهذا الجانب، في حين أنَّ كثيرًا من القضايا

---

[١] المصدر نفسه والصحيفة نفسها، وينظر: قضايا أبيستمولوجية في اللسانيات ٢٨٨–٢٨٩.

[٢] ينظر: قضايا أبستمولوجية في اللسانيات ٨٩، واللسانيات العربية الحديثة ٢٠٢.

[٣] اللسانيات في الثقافة العربية ٢٦٢.

[٤] مدخل للصواتة التوليدية ٦.

التركيبية في العربية مرتبطةٌ في جوانب متعددة منها بمستويات اللغة الأخرى، ولا يمكن معالجتها بمعزل عن بعضها بعضاً إلا لاعتبارات منهجية ليس إلا[١]. غير أنَّ ذلك لا ينفي وجود دراسات توليدية عربية معنية بالبعد الدلالي للغة العربية، فقد أصدر عددٌ من الباحثين العرب دراساتٍ دلاليةً، كان لها أثرٌ مهمٌ في تعميق البحث في المستوى الدلالي، من خلال تقديمهم أبحاثاً نظرية وتطبيقية جادة، سعت إلى تمثُّل الجانب الدلالي في النظرية التوليدية، وتطبيقه على اللغة العربية، وهو ما نلمسه بوضوح في دراسات الباحث محمد غاليم، الذي تبنَّى نظرية الدلالة التصورية التي أرسى دعائمها جاكندوف، والتي تفترض أن المكونات (التركيبية والصِواتية والدلالية) تمتلك القدرة على توليد الجمل في آنٍ واحد، وأعمال الباحث مازن الوعر المنطلقة من طروحات نظرية الدلالة التصنيفية، التي صاغها اللساني الأمريكي ولتر كوك، والتي عدَّت المكون الدلاليّ مكونًا توليديًا، فضلاً عما قدَّمه الباحث عبد القادر الفاسي الفهري من أبحاث دلالية، تبنَّى فيها النظرية الوظيفية المعجمية، التي أبقت المكون التركيبي الأساس في عملية توليد الجمل، واندرجت أبحاثه في إطار نظرية نحوية شاملة، بل في مشروع متكامل للسانيات العربية[٢]. وسنحاول هنا التركيز على محاولتي عبد القادر الفاسي الفهري ومازن الوعر، بوصفهما من أبرز المحاولات التي اتخذت من النظرية التوليدية اطارا نظريا اعتمدت عليه في جلِّ أبحاثهما اللغوية.

عبد القادر الفاسيّ الفهريّ:

انخرط الباحث عبد القادر الفاسيّ الفهريّ عبر مشاريعه العلمية في بناء صياغات دقيقة لجميع مستويات الدرس اللساني (صرفاً، وتركيباً، ومعجماً ودلالة)، ولم يكتفِ بذلك بل عمد إلى البحث في قضايا اللغة العربية، من قبيل التخطيط اللغويّ، والتوظيف الحاسوبيّ للغة العربية، فقد قدَّم الفهري بمعية ثلة من الباحثين باختصاصات مختلفة نظامَ محللٍ آليٍّ صرفيٍّ وتركيبيٍّ ودلاليٍّ، ونظامَ توليدٍ آليٍّ صرفيٍّ وتركيبيٍّ ودلاليٍّ[٣]، وأسهمت أعماله في الدفع بصياغة نماذج واصفة للغة العربية، على وفق الأسئلة الجوهرية التي عرضها، والمعطيات التي تصدَّى لها بالتحليل والتفسير،

---

[١] ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية ٣٢٦.

[٢] ينظر: عن البحث الدلالي العربي، ضمن كتاب (تقدم اللسانيات في الأقطار العربية) ١٣٤.

[٣] ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية ٢٨٢.

فكانت نتائج هذه الممارسة التنظيرية صرحاً واصفاً للغة العربية، يتجاوز التراكم الظاهر إلى استشراف الكشف عن النسق الثاوي خلفه[١].

لقد تمكَّن الفهري من مواكبة النظرية التوليدية في مختلف نماذجها، فهو من الباحثين العرب القلائل الذين يبحثون في اللسانيات العربية، ويؤلِّفون فيها باللغتين العربية والأجنبية، بموازاة ما يصل إليه البحث في اللسانيات التوليدية، فهو يقارب اللغة العربية في أحدث النماذج اللسانية التوليدية، وهو نموذج الحد الأدنى الذي صاغه تشومسكي في تسعينيات القرن الماضي[٢]. فالفهري – بحسب ما أعتقد – هو الباحث العربي الوحيد الذي ظلَّ مواكباً لكلِّ ما تفرزه النظرية التوليدية، فقد عالج المسائل المتعلِّقة بالرتبة، من خلال نموذج النظرية المعيار الموسَّعة التي صاغها تشومسكي في أواسط سبعينيات القرن الماضي[٣]، وفي العام ١٩٨١م اقترح تشومسكي نموذج المبادئ والوسائط (principlas and parameters) في إطار ما دُعِيَ بنظرية الربط العاملي، قدَّم فيه أجوبةً عن إشكاليات التعلُّم والحوسبة، وحاول الفهري استلهامه، وتطبيقه على العربية، وذلك في كتابه (البناء الموازي– نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة)، لأنَّه وجد فيه عدداً من المميزات، لعلَّ أبرزها ((طابعه القالبي (modular) فعلاوة على أُسسه الفلسفية، التصورية والمنهجية، وبرنامجه الأبستمولوجي يمتاز النموذج بمحتوى نظرياته الفرعية أو قوالبه، وهذه الأخيرة مرنة بما يكفي لصياغة المبادئ والضوابط الوصفية والنظرية، بل إنَّها تتسع لمقترحات مختلفة داخل نفس الأنموذج))[٤].

ولا يخفى على المتتبع لتطورات النظرية التوليدية أنَّها تشتغل حالياً على برنامج الحد الأدنى (minimalist program)، الذي يسعى إلى بلوغ التفسيرية من طريق الأدنوية، بوصفها نهجاً نظرياً يسعى إلى أن يقوم بتغطية أكبر عدد من الوقائع والتجارب عبر استنتاجات منطقية مرتبطة بعدد قليل من الافتراضات والمسلَّمات، بمعنى ((أنَّ أيَّ خطوات زائدة، أو إسقاطات، أو

---

[١] ينظر: الفعل العربي بين البنية الدلالية والبنية التصورية ٤.

[٢] ينظر: اللسانيات العربية الحديثة ٢١٥–٢١٦.

[٣] ينظر: اللسانيات واللغة العربية ١٠٥/١، واللسانيات في الثقافة العربية ٢٨٣–٢٨٥، ومن الجدير بالذكر أنَّ رأي الفاسي الفهري لم يكن واحداً بخصوص الرتبة، فقد عرف موقفه= =مراجعات مستمرة، عبَّر عنه في كتبه الثلاثة: اللسانيات واللغة العربية، والبناء الموازي، والمقارنة والتخطيط في البحث اللساني.

[٤] البناء الموازي ١٩–٢٠.

رموز، أو وظائف، أو تمثيلات ليست ذات ضرورة للربط الأمثل بين الصوت والمعنى تصبح غير مرغوب فيها))[١]، وسعى الفهري إلى استلهام مبادئ هذا البرنامج، والتعريف به ومحاولة تطبيقه على اللغة العربية، وذلك في كتابيه (المقارنة والتخطيط في البحث اللساني) و(ذرَّات اللغة العربية وهندستها– دراسة استكشافية أدنوية).

يقسِّم الفهري اللسانيات على قسمين يرى ضرورة الفصل بينهما: الأول سمَّاه (لسانيات ظواهر)، وهي التي تهدف إلى بناء نظريات وأنحاء ((ذات كفاية تفسيرية تستطيع إعطاء مضمون لمفهوم اللغة الطبيعية، وتتم المفاضلة بين الأنحاء على أساس الكفاية المذكورة))[٢]، وقد تجسَّد ذلك في محاولة بناء أنحاء للغة العربية الحالية أو اللهجات العربية الحالية، والثاني (لسانيات المحاور) التي تعمد إلى التأريخ ((لمنجزات الدرس النحوي القديم بتوظيف آليات نظرية وتحليلية ناضجة أبستمولوجيا، حتى إذا طُرِحت قضايا معيَّنة لا تُصاغ وفق مفاهيم واستدلالات القدماء، وإنَّما تُطرح بجهاز استدلالي يستوفي شروط المعايير العلمية الكامنة في التنظير اللساني الحديث))[٣].

وبتأثير من تشومسكي دافع الفهري عن الطبيعة المقارنة للسانيات، من خلال إيمانه بأنَّ فهم خصائص لغة معيَّنة لا يتأتَّى إلا من خلال فهم خصائص لغات أُخرى، للوقوف على المبادئ والأُصول التي تشترك فيها اللغات؛ لأنَّها كما يُقال خُلِقَت من طينٍ واحدٍ، وتأسيساً على هذه الرؤية ((قام النحو التوليدي بالبحث في مضمون الفرق بين الملكة اللغوية البشرية العامة، والملكة الخاصة بلغة معينة، فإذا كان النحو الكلي هو مجموع المبادئ الكلية العامة التي تحدِّد الملكة العامة للنحو، فإنَّ نحو لغة بعينها يعتمد على تثبيت قيم الوسائط (أو البرامترات) التي يفترض أنَّ هذه اللغة أو نحوها ناتجٌ عن تثبيتها بالتفاعل مع المحيط))[٤].

وحظي المعجم باهتمام خاصٍ من لدن الفاسي الفهري من خلال تأكيده على ضرورة البحث عن اطرادات في المعجم العربي، انطلاقاً من مسلَّمات نظرية تهدف إلى الدفاع عن كون المعجم ليس مجاله الخصائص الفرادية غير المُتنبأ بها، بل هو مجالٌ لصياغة تعميمات واكتشاف

---

[١] ذرات اللغة العربية وهندستها ٦، وينظر: المقارنة والتخطيط ١٢–١٧، ونظريات لسانية عَرفنية ٤٣.

[٢] لسانيات الظواهر وباب التعليق، ضمن كتاب البحث اللساني والسيميائي ٣٣.

[٣] اللسانيات في الثقافة العربية ٢٨٢، وينظر: اللسانيات واللغة العربية ١/٥٩–٦٠.

[٤] المعجمة والتوسيط، نظرات جديدة في قضايا اللغة العربية ٢٣٤.

اطرادات، تحتاج إلى نماذج نظرية واضحة. إنَّ إحدى النقلات الدالَّة في تصور البحث المعجمي الإقرار بأنَّ المعجم جزءٌ من النحو، وأنَّ الفصل بينهما فصلٌ غيرُ طبيعي، فالمعجم لا يأخذ دلالة إلا داخل التركيب، لأنَّ مبادئ التركيب وقيوده قادرة على تقييد المعجم والكشف عن الجانب الإطرادي فيه ((إنَّ تأصيل دراسات من هذا القبيل يجعل الدرس اللساني ينزاح عن المقاربات القاموسية للمعجم التي تكرِّس النظرة اللااطرادية له، بوصفه سجلاً للظواهر غير القياسية، لتأصيل منظور جديد يجعل قضايا المعجميات مندمجة في قضايا التركيب والصرف والدلالة، فالاهتمام ينبغي أن ينصبَّ على المعجم الذهني، لأنَّ فهم آليات اشتغال المعرفة المعجمية جزء من فهم اشتغال المعرفة اللغوية في الذهن البشري))(١).

تلكم هي الخطوط العامة والملامح الرئيسة للمشروع اللساني الذي صاغه الباحث عبد القادر الفاسي الفهري، والذي يكشف عن متابعة دقيقة لمعظم القضايا والمسائل التي أفرزها الخطاب اللسانيّ التوليديّ.

مازن الوعر:

اعتمد اللسانيّ السوريّ مازن الوعر مبادئ النظرية الدلالية التصنيفية التي صاغ معالمها اللساني الأمريكي ولتر كوك عام ١٩٧٩م، في كتابه case grammar: Development of the matrix model، وتعدُّ هذه النظرية امتداداً للطروحات الدلالية التي صاغها الدلاليون التوليديون، أمثال: كروبر وفيلمور وتالمي وغيرهم، ممن يسعون إلى التركيز على البعد الدلالي في معالجة الظواهر اللغوية.

لقد تبنَّى الباحث مازن الوعر في كتاباته الموقف الذي يحاول التوفيق بين مبادئ اللسانيات التوليدية ومعطيات النحو العربي، مؤكِّداً ضرورة انفتاح البحث اللساني العربي الحديث على البحوث اللغوية التراثية، مع تجاوز تلك المجادلات العقيمة بين أنصار القديم والحديث، يقول في هذا الصدد: ((إنَّ أية نظرية لسانية عربية حديثة تطمح لأن تكون علمية فاعلة ومتفاعلة في حقل التكوين اللساني المعاصر لابدَّ لها من أن تتجاوز المشكلات والمجادلات الزائفة التي تعوق البحث اللساني في الثقافة العربية المعاصرة، تلك المشكلات الناتجة عن الصراع الذي مازال مستمراً بين

(١) اللسانيات واللغة العربية ١/٣٤ وينظر: عن البحث الدلالي العربي ١٤٨.

أنصار القديم وأنصار الحديث، بين أنصار القديم المتعلِّق بالبحوث اللغوية العربية، التي وضعها العرب القدماء، وبين أنصار الحديث المتعلِّق بالبحوث اللسانية الغربية التي وضعها علماء الغرب المحدثون، وأسَّسوا من خلالها علماً قائماً برأسه دعوه علم اللسانيات))[١]، إنَّ محاولة الوعر الجمع بين القديم والحديث لا تعني جهله بالمنطلقات الفلسفية والعلمية للسانيات والمنطلقات الإنسانية للتراث اللغوي العربي، فهو يقرُّ بوجود هذه الاختلافات، لكنَّه يرى أنَّ النظرية اللسانية لا تكتمل ولا تتبلور إلا من خلال روافد متعددة[٢]. انطلاقا من هذه الرؤية سعى المؤلِّف في أبحاثه اللسانية إلى دمج النظرية المعيارية الموسعة التي صاغها تشومسكي ١٩٧٠م–١٩٨١م بالنظرية الدلالية التصنيفية التي وضعها ولتر كوك، بهدف الوصول إلى ((نظرية تحليلية وتوليدية واقعية لتحليل الجملة العربية نحوياً ودلالياً والاستفادة منها في النواحي التطبيقية))[٣].

وقدَّم الباحث مازن الوعر مشروعاً بحثياً نال من خلاله الدكتوراه من جامعة جورج تاون في الولايات المتحدة الأمريكية، حاول فيه تقديم نظرية لسانية جديدة تعمد إلى تحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، مستمدَّاً إطاره النظري من ثلاثة مصادر هي ((نظرية القواعد التوليدية والتحويلية التي وضعها عالم اللسانيات نوم تشومسكي، والمصدر الثاني النظرية الدلالية التصنيفية التي وضعها عالم اللسانيات الأمريكي ولتر كوك، والمصدر الثالث النظرية العربية اللغوية التي وضعها العرب القدامى))[٤]. وعمد إلى تطبيق نظريته اللسانية على التراكيب العربية الآتية:

– التراكيب الفعلية.

– التراكيب الاسمية.

– التراكيب الاستفهامية.

---

(١) قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ٥١٤، وينظر: اللسانيات في الثقافة العربية ٣١٩.

(٢) ينظر: دراسات لسانية وتطبيقية ٣٦–٣٧، واللسانيات في الثقافة العربية ٣١٩.

(٣) النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التوليدية (٢٣)، (بحث).

(٤) نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية ١٣.

ويرمي المنهج الدلالي التصنيفي إلى وصف المضمون الدلالي للتراكيب اللغوية، ويرجع السبب في اعتماد الوعر على هذا المنهج إلى كونه منهجاً ((أعمق من المنهج المعياري الموسَّع من الناحية الدلالية، وذلك لأنَّ الظاهرة الدلالية من وجهة نظر أصحاب هذا المنهج هي أعمقُ وأدقُّ من البنية العميقة في المنهج المعياري الموسع))(١).

وانتقد المؤلِّف معالجة النحاة العرب القدماء وتحليلاتهم للتراكيب العربية، لأنَّهم اعتمدوا – بحسب رأيه– على الجانب الشكلي البنيوي للغة العربية، أمَّا المعالجات الدلالية الوظيفية للتراكيب فأُنيطَت بالبلاغيين((الذين شرحوا بشكل مستفيض وموسَّع الوجوه الدلالية والوظيفية للتراكيب الأساسية في اللغة العربية))(٢)، فقد قدَّم الجرجاني شرحاً مفصَّلاً لمرونة التراكيب في العربية، من خلال وقوفه على قضية التقديم والتأخير للأركان اللغوية، سواء أكان ذلك على يمين الفعل أم على يساره(٣).

لقد حاول الباحث مازن الوعر مزج النظرية التوليدية التحويلية والنظرية الدلالية التصنيفية بالدرس اللغوي عند العرب من أجل وصف الظواهر اللغوية في العربية وتفسيرها، وهي محاولة على الرغم من أهميتها تعرَّضت إلى نقد من لدن عدد من الباحثين الذين سجَّلوا عليها بعض الملاحظات، لعلَّ أهمها أنَّ عناصر التحويل الأخرى المتمثِّلة بالحذف والزيادة وغيرهما لا نجد لها صدى في تحليلاته اللغوية، فضلاً عن أنَّ الدارس((لا يجد كثيراً من العناء في ملاحظة مقدار جزئية التطبيق على اللغة العربية، إذ لم يشمل التطبيق مجمل الأفعال والأسماء الواردة في التراكيب الأساسية في اللغة العربية التي قام بتحليلها، وإنما اكتفى الدارس بتقديم بعض الأمثلة))(٤).

رابعا: الاتجاه الوظيفي:

أولا: اللسانيات الوظيفية، الأصول:

(١) نحو نظرية لسانية ٧٥.

(٢) المصدر نفسه ٤٣.

(٣) ينظر: نحو نظرية لسانية ٤٣.

(٤) اللسانيات العربية الحديثة ٢٢٠، وينظر: اللسانيات في الثقافة العربية ٢٨١.

يميِّز مؤرِّخو الدرس اللساني داخل النظريات اللغوية المعاصرة بين قطبين رئيسين في البحث اللساني هما:

الأول: القطب الشكليّ، وهو الذي يقدِّم في تحليلاته اللغوية البنيةَ على الوظيفة، ويقف في مقاربته عند حدوده بنية اللغة (الصوتية، والصرفية والتركيبية) لا يكاد يتعداها، وهو ما لاحظناه في مدرسة بلومفيلد التوزيعية، ومدرسة تشومسكي التوليدية[١]، فهاتان المدرستان نظرتا إلى اللغة بوصفها أنساقاً مجردة.

الثاني: القطب الوظيفيّ، ويشدِّد هذا القطب على وظيفة الأشكال اللغوية، التي تكون شرطاً أساسياً في فهم الظاهرة اللغوية، فيكون وصف اللغات قائماً على أساس ربطها بما تؤدِّيه من وظائف داخل المجتمعات البشرية، انطلاقاً من تبعية البنية إلى الوظيفة، ويدخل في إطار هذا التوجّه عددٌ من المدارس اللسانية، منها مدرسة براغ، ومدرسة لندن وغيرهما[٢].

وتعدُّ الوظيفيةُ الاتجاه اللساني الثالث بعد الوصفية والتوليدية، وهي نظريةٌ لغويةٌ تركِّز على وظائف الوحدات اللسانية لا على أشكالها، مستندة إلى البعد التداولي للغة، وقد سادت حقل الدراسات اللغوية لغرض سدّ الثغرات التي لم ينتبه إليها الوصفيون والتوليديون، وتتمثَّل هذه الثغرات في أنَّ اللسانيات الوصفية والتوليدية تتخلّف إذا تجاوز الباحثُ حدودَ المادة اللغوية إلى العناصر الخارجية المحيطة بالحدث اللغوي، مثل موقف المتكلِّم وحال المخاطَب، وغيرهما من الأمور الحافّة بالخطاب[٣].

وتوجد ضمن الاتجاه الوظيفيّ العامِّ مدارسُ متعددة، تختلف من حيث نوعية التحليل والتركيز على التفاصيل المتعلِّقة بالظاهرة اللغوية، لكن وعلى الرغم من هذا الاختلاف، فضلا عن التباعد الزماني والثقافي بين هذه المدارس الا انه يجمعها تصورٌ واحدٌ تجاه طبيعة اللغة قوامه: أنَّ اللغة وسيلة اتصال اجتماعية، يستعملها الفرد لأداء وظائف مختلفة[٤].

---

[١] ينظر: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري ١٠-١١، وأسئلة اللغة أسئلة اللسانيات ٣٣.

[٢] ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي ٤٩، واللسانيات الوظيفية، مدخل نظري ١٥-١٦.

[٣] ينظر: نظرية النحو العربي ٨٢، ومناهج الدرس النحوي في العالم العربي ٣٠٠-٣٠١.

[٤] ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٧٣ (بحث).

وترتكز أُصول الوظيفية على جملة من الأعمال التي أسهم في بلورتها كلٌّ من مدرسة براغ ومدرسة لندن، وأعمال اللسانيين التشيكيين المعروفة بالوجهة الوظيفية للجملة(١)، فقد أعطت مدرسة براغ منذ نشأتها عام ١٩٢٦م زخماً ملحوظاً لمفهوم التواصل، بوصفه وظيفةً أساسيةً في النشاط اللغوي عند الإنسان، ذلك أنَّ((وصف لسان معين في نظر لغويي براك يعني بالدرجة الأولى الكشف عن العوامل الأساس التي يلجأ إليها المتكلِّم لتحقيق التواصل اللغوي))(٢)، وكان ظهور هذه المدرسة مرتبطاً بجيل من اللسانيين الروس المهاجرين، وهم كلٌّ من رومان ياكبسون وكارسيفسكي وتروبتسكوي(٣).

لقد اهتمَّ الوظيفيون– أول الأمر – بدراسة الأصوات وأولوها عناية فائقة، فقد تصوَّروا اللغة نسقاً يشتمل على أنظمة فرعية متعددة، لذلك يجب أن تنقسم دراستها على علوم فرعية، فدراسة الصوت مثلاً ترتبط بجانب الدوال اللغوية بوصفه فرعاً مستقلاً عن دراسة المدلولات، ولمَّا كان الدال في النظام اللغوي شيئاً مختلفاً عن الدال في الفعل الكلامي أصبح لزاماً على الباحث التمييز بين دراستين، تتجه إحداهما إلى دراسة النظام اللغوي وتتجه الأخرى إلى دراسة الأحداث الكلامية، من هنا ظهر التمييز بين دراسة الصوت التي تختص باللغة بوصفها نظاماً، ودراسة الصوت في الفعل الكلامي، وأطلقوا على الأولى مصطلح Phonatics، وعلى الثانية مصطلح Phonology، أي إنَّهم دعوا متأثرين بدي سوسير إلى ضرورة تمييز أصوات اللغة من أصوات الكلام، ومن هنا ظهر مفهوم الفونيم(٤).

لقد أقام تروبتسكوي نظريته الصوتية على عقيدة فحواها أنَّ الفونيم ينبغي أن يُنظر إليه على أنَّه علامةٌ لغوية مهمتها حمل معنى الكلمة، وعليه إنَّ إحلال فونيم مكان فونيم آخر سيؤدِّي إلى إحداث تغيير في معنى الكلمة(٥).

وعرفت الدراسات الصوتية تطوراً ملحوظاً على يد رومان ياكبسون، الذي يُعدُّ المنظر الحقيقيّ لمفهوم (السمات المائزة) Distindive Features، وهو مصطلحٌ يطلق على الخصائص

(١) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٧١.

(٢) اللسانيات العربية الحديثة ٢٥٢.

(٣) ينظر: اتجاهات البحث اللساني ٢٤٧، والاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٧٣.

(٤) ينظر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ٤٩، واتجاهات الشعرية ٤١، وأصول تراثية في علم اللغة ٥٧.

(٥) ينظر: اتجاهات البحث اللساني ٢٣٦.

التي تميِّز فونيماً من فونيم آخر، ويعرّف ياكبسون الفونيم بأنَّه حزمةٌ مؤلَّفة من السمات المائزة، وهذه السمات عبارة عن ملامح وصفية تتصل بنطق الفونيم، وتتمثَّل في الجهر والهمس واللثوية والأسنانية والانفجارية والاحتكاكية، وغير ذلك من السمات التي تميِّز الفونيمات من بعضها البعض، وبناءً على ذلك يكون تنوع الفونيمات واختلافها بمقدار ما تحمله من هذه الملامح التي يعتمد عليها التحليل الفونولوجيّ للأصوات[١].

وتدين اللسانيات الوظيفية في نشأتها إلى ما قدَّمته مدرسةُ لندن من أفكارٍ وطروحات، فقد لاحظنا أنَّ مدرسة لندن نظرت إلى اللغة بوصفها ظاهرةً بشرية متكاملة، وأنَّ دراستها في مستوياتها الجزئية (الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية) تفقدها طابعها التواصلي الذي يميِّزها، فضلاً عن أنَّ مثل هذه الدراسة لا تقدِّمها في صورتها المتكاملة؛ لذلك دعت إلى الأخذ بالحسبان الأبعاد الثقافية والاجتماعية والنفسية التي تحيط بالحدث اللغوي، مطوِّرة في هذا الشأن مفهوم (سياق الحال) الذي تُدرس اللغة من خلاله في سياقها المادي والمعنوي[٢].

وحاول عددٌ من اللسانيين منذ منتصف ستينيات القرن الماضي استثمار المفاهيم اللسانية الوظيفية التي بلورتها مدرسةُ براغ وطوَّرتها – فيما بعد – مدرسة لندن بقيادة فيرث، مؤكِّدين على مفهوم مركزي يتمثَّل فيما أسموه (ديناميكية التواصل)، فقد سعى هاليداي إلى تعميق طروحات أُستاذه فيرث من خلال تركيب جملة من الأفكار اللغوية وإعادة صياغتها في شكل متماسك، وهي أفكارٌ مأخوذةٌ من((سوسير، وهلمسليف، وماتيزوس، ومدرسة براغ، وفيرث ... ومن أفكار معاصرين أمثال: لايبوف، وبرنشنتين، وبازل))[٣]، مؤسِّسا ما أسماه النحو النظاميّ، وهو من أكثر الاتجاهات اللسانية تكاملا مع مدرسة لندن، ويرِّكز على مبدأ تعدُّد وظائف اللغة، الذي ينعكس على بنيتها[٤].

واهتمَّ عددٌ من الفلاسفة في إطار التيار الفلسفي المسمَّى بـ(فلسفة اللغة العادية) بالجوانب التداولية للغة، إذ عالجوا عدداً من الظواهر التداولية من قبيل (الإحالة) و(الأفعال اللغوية)

---

[١] ينظر: معجم اللسانيات الحديثة ٤١، واتجاهات البحث اللساني ٢٥٥، ومدخل إلى اللسانيات ٩٤–٩٥.

[٢] ينظر: اللسانيات العربية الحديثة ٢٥٧، وتلقي المنهج التداولي في اللسانيات العربية ٣ (بحث).

[٣] اللسانيات العربية الحديثة ٢٥٧، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٨٣.

[٤] ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٨٩.

و(الاستلزام الحواريّ)، وانتقلت المفاهيم المرتبطة بهذه الزمرة من الظواهر من طريق الاقتراض إلى حقل الدراسات اللغوية، إذ عمد عددٌ من اللسانيين إلى توظيف هذه المفاهيم في وصفهم للغات الطبيعية(Natural (Languages[1].

لقد اعتنى فلاسفة اللغة العادية (أوستين، وسيرل، وغرايس) بدراسة الجوانب الدلالية والتداولية للغات الطبيعية، مؤكِّدين ضرورة الاعتماد على التداول والاستعمال في عملية التحليل اللساني، ويُطلق الدارسون على هؤلاء الفلاسفة مصطلح (الوظيفيون الجدد)؛ لأنَّهم حقَّقوا بمراعاتهم مقامات القول البعد الوظيفي للغة[2]، من هنا نعلم أنَّ مصطلح (التداولية) لا يختلف عن مصطلح (الوظيفية) من ناحية الاجراء؛ لأنَّ كليهما يُراد به دراسة اللغة في التواصل أو الاستعمال، حتى إنَّ الباحث أحمد المتوكل أكَّد أنَّه يستعمل في أبحاثه مصطلحي (تداوليّ) و(وظيفيّ) بمعنى واحد، ويقصد باللفظين حين يوردهما عند وصف نموذج لغوي ما((أنَّ هذا النموذج يعتمد ضمن أُسسه المنهجية أنَّ اللسانَ الطبيعي بنيةٌ تؤدِّي وظيفة أساسية في إتاحة التواصل داخل المجتمعات، وأنَّ بين البنية والوظيفة علاقةَ تبعية، بحيث تتحدَّد السماتُ البنيوية للعبارات اللغوية(صرف، تركيب، تنغيم) حسب الأغراض التواصلية التي تُستعمل هذه العبارات وسائل لتحقيقها))[3].

وفي أواخر السبعينيات شهد الاتجاه الوظيفيّ تطوراً واضحاً على يد اللسانيّ الهولنديّ سيمون دِكْ، الذي قدّم الصياغات الأولى والعامة للنحو الوظيفي في كتابه الصادر في العام ١٩٧٨م "Functional Grammar"، إذ أرسى فيه أُسس النحو الذي اقترحه، وقدَّم الخطوط العامة لتنظيم مكوناته، وقِيمَ منذ سنة نشر الكتاب، في إطار النحو المُقترح بعدّة دراسات تناولت ظواهر لغوية تعود للغات متباينة الأنماط، مكَّنت من تطوير النحو الوظيفيّ وإغنائه[4]، غير أنَّ النحو الوظيفيّ الذي اقترحه سيمون دك ((يمتاز على غيره من النظريات الوظيفية التداولية بنوعيَّة مصادره، فهو

[1] يُطلق هذا المصطلح على اللغات التي يستعملها البشرُ في التخاطب، تمييزا لها من اللغات المصطنعة، مثل لغة المنطق الصوري أو لغة الحاسوب أو الرياضيات، ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٣٥، واللسانيات الوظيفية، مدخل نظري ١٥-١٦.

[2] ينظر: نحو علاقة جديدة بين اللسانيات ومناهج تحليل النص الأدبي ٨٩ (بحث)، ومناهج الدرس النحوي في العالم العربي٣٠٧ -٣٠٨، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد٢٤٧-٢٤٨.

[3] آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي ٢١ (الهامش).

[4] ينظر: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري ١٢٦، واللسانيات والبيداغوجيا ٤٢.

محاولةٌ لصهر بعض مقترحات نظريات لغوية (النحو العلاقيّ Relation Grammar، نحو الأحوال Case Grammar، الوظيفية Functionalism)، ونظريات فلسفية (نظرية الأفعال اللغوية Speech Acts theory خاصة) أثبتت قيمتها في نموذج صوري مصوغ حسب مقتضيات النمذجة في التنظير اللساني))[١]، فنموذج النحو الوظيفي–كما سيتضح لنا–يختلف عن المدارس الوظيفية السابقة من جهة إيمانه بإمكانية إبراز الوظيفة من خلال الاعتماد على المنطق، في حين أنَّ المدارس الوظيفية الأخرى تُحلِّل اللغة بالاعتماد على مصطلحات دلالية تدلُّ دلالة واضحة على وظيفة الجملة.

ويمكن القول أخير إنَّه قد أُقترِحَ في إطار اللسانيات الوظيفية عددٌ من النماذج اللغوية التي تختلف فيما بينها بشأن بنية النحو وتنظيم العلاقة بين مكوناته، لكنَّها على الرغم من هذا الاختلاف تؤمن بمشروعية الوظيفة، فضلاً عن أنَّها تقول بتأثير المستعملين وسياق الاستعمال في نسق اللغة[٢].

ثانياً: اللسانيات الوظيفية، المبادئ المنهجية العامة:

ترتكز المقاربة الوظيفية – شأنها في ذلك شأن جميع النظريات اللسانية – على أُسس معينة ومبادئ عامة تشكِّل النواة النظرية الصلبة لتوجُّهها اللساني، ويمكن تلخيص المبادئ المنهجية الأساسية للنحو الوظيفي فيما يأتي[٣]:

١. **أداتية اللغة:** يُنظر إلى اللغة في المقاربة الشكلية على أنَّها أنساقٌ مجرَّدة، يمكن أن تُدرس خصائصها في ذاتها بمعزل عما يمكن أن تستعمل من أجله، في حين ينظر النحو الوظيفي والمقاربة الوظيفية بصورة عامة إلى اللغة على أنَّها أداة تسخَّر لتحقيق التواصل داخل المجتمعات البشرية، وينظر إلى الجملة على أنَّها وسيلةٌ تُستعمل لتأدية أغراض تواصلية، وتُدرس خصائصها البنيوية على هذا الأساس.

---

[١] الوظائف التداولية في اللغة العربية ٩.

[٢] ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي القديم ٤٩، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٩٧، ومن البنية الحملية إلى البنية المكونية، الوظيفة المفعول في اللغة العربية٥.

[٣] ينظر في كل هذه المبادئ: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ودراسات في نظرية النحو الوظيفي، واللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، والاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٧٢.

٢. **وظيفة اللغة:** تؤدِّي اللغة في نظر الوظيفيين وظائف متعددة لا وظيفة واحدة، كما ذهب إلى ذلك تشومسكي الذي رأى أن الوظيفة الأساسية للغة هي التعبير عن الفكر[١]، فرومان ياكبسون من خلال مخططه يحصر وظائف اللغة في ست بعد أن جعل العملية الاتصالية متكوِّنة من ستة عناصر، ووضع بإزاء كل عنصر من عناصر الاتصال وظيفة لغوية، ووظائف اللغة عند ياكبسون هي:

١. الوظيفة التعبيرية، وترتبط هذه الوظيفة بالمرسِل/المتكلِّم، وتعبِّر بصفة مباشرة عن موقفه تجاه ما يتحدث عنه.

٢. الوظيفة المرجعية أوالإحالية، وهي الوظيفة المتجهة نحو السياق، التي تحدد العلاقات بين الرسالة والشيء الذي تُحيل عليه.

٣. الوظيفة التأثيرية أو الإفهامية، وتتجه نحو المرسَل إليه، وتوجد في الجمل التي ينادي فيها المرسلُ المرسلَ إليه لإثارة انتباهه، أو الطلب منه القيام بعمل، وبوساطتها يأخذ النص قيمته التداولية.

٤. الوظيفة الميتالغوية، وتظهر هذه الوظيفة في الكتابات التي تكون اللغة مادة دراستها، أي التي تقوم بوصف اللغة، وذكر عناصرها وبيان مفرداتها، وتتجلى هذه الوظيفة في اللغة الواصفة كلغة النحاة العرب مثلاً.

٥. الوظيفة الانتباهية أو اللغوية (بفتح اللام)، وتهدف إلى إقامة التواصل وتمديده أو فسخه، وتوظّف للتأكد مما إذا كانت دورة الكلام تشتغل(ألو، تسمعني).

٦. الوظيفة الشعرية، وهي التي تتصل بالنص نفسه بوصفه رسالة، فاللغة تقوم بوظيفة شعرية أو جمالية في حال انتاج خطاب ذي دلالات داخلية، أي خطاب دال داخل نفسه[٢].

غير أن تصنيف ياكبسون تعرَّض إلى انتقادات من لدن الباحثين؛ لأنه تعامل مع عملية الاتصال اللغوي وكأنَّها شيء قارٌّ ثابت، على الرغم من أنَّ للتواصل حركية مستمرة تحمل بنيةُ اللغة آثارَها الواضحة ((إنَّ الجملة ليست كلمات فحسب، إنَّها فعل لغوي وموقف إزاء واقع معين،

---

[١] ينظر: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري ٤٩.

[٢] ينظر: دلالة السياق ٥٤٨-٥٥٠، واللسانيات والبيداغوجيا ١٨١، والألسنية علم اللغة الحديث قراءات تمهيدية ٨٥.

إنَّ الجملة تنقل تجارب الآخرين وتتموضع هذه التجارب في عملية التواصل بالقياس إلى التجارب الأخرى المعروفة لدى السامع أو التي يمكن إدراكها في إطار العلاقة التي تربط بين المتكلم والسامع))[١]. ومن الجدير بالتنويه هنا أنَّ ياكبسون أكمل في عمله هذا ما قدَّمه بوهلر في كتابه "نظرية اللغة"، الذي حلَّل فيه وظائف اللغة، وأرجعها الى ثلاث وظائف تختلف باختلاف ما يتعلَّق بها، فالرمز اللغوي يؤدِّي إحدى الوظائف الآتية: وظيفة تعبيرية تخصُّ المتكلِّم، ووظيفة استدعائية تخصُّ السامع، ووظيفة توضيحية تخصَّ الشيء المعبَّر عنه.

وأرجع هاليداي مختلف وظائف اللغة إلى ثلاث وظائف مترابطة، هي الوظيفة التمثيلية أو الفكرية أو التصورية التي تعبِّر عن تجربة المتكلِّم استناداً إلى الواقع، والوظيفة التعالقية أو التبادلية المعبِّرة عن الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلِّم بالنسبة إلى المخاطَب، كدور المخبر والسائل من جهة، والتعبير عن موقفه من فحوى خطابه كأن يكون متيقناً أو شاكاً من جهة أخرى، والوظيفة النصية التي تربط الخطاب بالطبقة المقامية التي ينجز فيها[٢].

ويرى الباحث أحمد المتوكل أنَّه مهما تعدَّدت وظائف اللغة وأغراضها فإنَّها آويةٌ إلى وظيفة مركزية واحدة هي تحقيق التواصل بين الأفراد[٣]، وفي هذا المعنى يقول جورج مونان: ((ومهما يكن واقع بعض هذه الوظائف المختلفة على الأقل، ألسنيا كان ذلك أو نفسياً، فإنَّ الجميع متفقون على هذه النقطة، الوظيفة الإبلاغية هي الوظيفة الأولى الأصلية الأساسية بالنسبة إلى الكلام، وما بقية الوظائف إلا مظاهر أو وضعيات غير ضرورية))[٤].

٣. اللغة والاستعمال: يرتبط نسق اللغة ارتباطاً وثيقاً باستعمالها، ويُراد بنسق الاستعمال مجموعة الأعراف والقواعد التي تحكم التعامل داخل مجتمع معين، ويتعالق هذان النسقان بحيث يحدِّد نسق الاستعمال بنية اللغة، ومن أيسر الأدلة على ذلك ((اختلاف خصائص العبارات اللغوية باختلاف

---

(١) اللسانيات العربية الحديثة ٢٥٣، وينظر: اللسانيات في الثقافة العربية ٣٤٣.

(٢) ينظر: التركيبات الوظيفية ٢٥، واللسانيات الوظيفية: مدخل نظري ٤٨.

(٣) ينظر: المنحى الوظيفي ٢١.

(٤) مفاتيح الألسنية ٧٠، وينظر: دلالة السياق ٥٥٩.

الوسائط الاجتماعية، كجنس المخاطَب وسنه وطبقته المجتمعية والمنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها))[١].

٤. القدرة اللغوية، يميِّز الدارسون في اللسانيات التوليدية بين ما يشكِّل معرفة المتكلم/السامع للغته وما يشكِّل التحقُّق الفعلي لهذه المعرفة اللغوية، وقد ركَّز التوليديون في دراستهم في الجانب الأول، الذي أسموه القدرة، تاركين الجانب الثاني الذي أسموه الإنجاز، أي إنَّهم أهملوا الجوانب الوظيفية أو التداولية في أبحاثهم، غير أنَّ تشومسكي قسّم في مراحل لاحقة من نظريته القدرة على قسمين: قدرة لغوية وقدرة تداولية، لكنَّه جعل القدرة الثانية مفصولة عن الأولى، على أساس أنَّ القدرة الأولى وحدها يمكن أن تُتخذ موضوعاً للدرس[٢]، أما اللسانيات الوظيفية فإنَّها كاللسانيات التوليدية تقول بثنائية القدرة والإنجاز، لكنَّها تعطي للقدرة تفسيرا يباين تفسير التوليديين قوامه ((أنَّ الجوانب التداولية (الوظيفية) للغة تشكِّل جزءاً من معرفة المتكلم- السامع المجردة للغته، أي قدرته اللغوية، وليست مجرد ظواهر إنجازية، بهذا المعنى تتضمن القدرة اللغوية بالإضافة إلى القواعد المرتبطة بالخصائص الصورية (القواعد الصوتية- الصرفية والتركيبية والدلالية) القواعد التداولية... فالقدرة اللغوية عند الوظيفيين إذن قدرة وظيفية- صورية، تشكِّل معرفة المتكلم- السامع للقواعد التي تؤهِّله لاستعمال اللغة وسيلة لتحقيق أهداف تواصلية معينة))[٣]، أي إنَّ القدرة في المقاربة الوظيفية هي قدرةٌ تواصلية تضمُّ فضلاً عن معرفة النسق اللغوي معارفَ أخرى يوفِّرها السياق الذي يحيط بالحدث اللغوي. ومفهوم القدرة التواصلية سبق أن اقترحه هايمز سنة ١٩٧١م في معرض نقده لفكرة تشومسكي بشأن القدرة اللغوية؛ لكونها -بحسب رأيه- قاصرة وضيِّقة، ولا تناسب الطبيعة الاجتماعية للغة، ومن ثم فإنَّ أيَّ حديث عن قدرة المرء على اللغة يجب أن يُربط باستعمال اللغة في بيئة حضارية وثقافية محددة؛ لأنَّ اللغة بها حاجة الى معالجة الكفاءة التواصلية[٤]، في حين استعمل راي جاكندوف مصطلح المعرفة الوظيفية مقابلا للقدرة التواصلية.

---

[١] اللسانيات العربية الحديثة ٢١.

[٢] ينظر: المنحى الوظيفي ٢٧، واللسانيات الوظيفية، مدخل نظري ٧٤-٧٥.

[٣] اللسانيات الوظيفية- مدخل نظري ٧٦، وينظر: التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات ٤٨، والمنحى الوظيفي ٢٧.

[٤] ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٢١، والاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٩٣.

تلكم هي الخطوط العامة والمبادئ الرئيسة التي سارت عليها اللسانيات الوظيفية بصورة عامة والنحو الوظيفي بشكل خاص، وهي مبادئ توضِّح الفروق المنهجية بينها وبين غيرها من النظريات اللسانية التي سبق أن وقفنا على خصائصها.

ثالثا: اللسانيات الوظيفية في الدراسات العربية

تهيَّأ لعدد من الدارسين العرب الذين درسوا في الجامعات الأوروبية، وتحديداً البريطانية التعرف على الآراء الوظيفية التي قال بها اللساني البريطاني فيرث، فكانت نظريته من أهمِّ النظريات الوظيفية التي أطَّرت البحث اللساني العربي، إذ اتضحت آراؤه في كتابات عدد من الباحثين العرب المحدثين، منهم إبراهيم أنيس وتمام حسان ومحمود السعران وكمال بشر، وعلى الرغم من تلمذة هؤلاء الدارسين على يد فيرث وتأثُّرهم الواضح بنظريته الوظيفية نجد أنَّهم لم يصرِّحوا بأنَّ المنهج الذي يسلكونه هو منهج وظيفي، بل عرضوا نتاجاتهم اللغوية وقدَّموها على أنهم وصفيون، فهذا الباحث تمام حسان يصف عمله في كتابه(اللغة العربية معناها ومبناها) بأنَّه يهدف إلى إلقاء ضوء كاشف على التراث العربي من خلال المنهج الوصفي[(١)]، على الرغم من أنَّه جعل المعنى غاية الدرس اللغوي، معتمداً في ذلك على نظرية سياق الحال التي قال بها فيرث، ولاشكَّ في أنَّ هذا التأثُّر يُسبغ على عمله جانباً وظيفياً مهماً، ويمكن القول إنّ جهد تمام حسان اللساني هو في حقيقته جهد يزاوج بين الوصفية والوظيفية، فهو لم يكن وصفياً خالصاً ولا وظيفياً محضاً، وانما يمثل((مرحلة من مراحل تطور الوصفية لدى جانب من النحاة العرب المحدثين نحو الوظيفية الجديدة التي بلورها في وقت لاحق أحمد المتوكل))[(٢)].

وفي إطار لسانيات التراث عُنِيَ باحثون عرب بالبحث عن أصول المنهج الوظيفي في الدراسات العربية القديمة، محاولين الكشف عن نقاط الالتقاء بينهما، فقد درسوا آراء المدرسة المعروفة بالوجهة الوظيفية لدراسة الجملة ((مقارنين بين مبادئها في تحليل الجملة وآراء الجرجاني النحوية والبلاغية))[(٣)].

وأولى اللسانيون التونسيون اهتماماً ملحوظاً بوظيفية أندري مارتيني، من خلال ترجمة أعماله، والتعريف بأفكاره، ومحاولة تطبيقها على بعض المظاهر التركيبية في الجملة العربية؛ لأنَّهم آمنوا ((أنَّ النظرية الوظيفية لم تتبلور في كل مظاهرها مع حلقة براك، فقد تواصل بناؤها وصقلت

---

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٠، ومناهج الدرس النحوي ٣١٤.

(٢) مناهج الدرس النحوي ٣١٤.

(٣) نظرية النحو العربي في ضوء وجهة النظر اللغوي الحديث وينظر: اللسانيات العربية الحديثة ٢٤٣-٢٤٤.

مفاهيمها في فرنسا عن طريق أندري مارتيني))[1]، غير أنَّ عدداً من الباحثين يرون أن الكتابات الوظيفية في الثقافة العربية لم تقدِّم للقارئ العربي الإطار العام للسانيات الوظيفية منذ نشأتها مع مدرسة براغ إلى يومنا هذا، يستثنى من ذلك الكتابات الوظيفية التي سطَّرها باحثون مغاربة، يقف في مقدمتهم الباحث أحمد المتوكل الذي قدَّم في مؤلفاته وصفاً للكثير من ظواهر اللغة العربية، من وجهة نظر النحو الوظيفي الذي اتخذه إطاراً نظرياً، عالج في ضوئه ظواهر معجمية وصرفية – تركيبية ودلالية وتداولية.

إنَّ المتتبع لكتابات المتوكل منذ العام ١٩٨٢م إلى يومنا هذا يجد أنَّ المؤلف يسعى إلى تأسيس نحو وظيفي للغة العربية، يمكنه رصد كل القضايا النظرية والتطبيقية المتعلِّقة بهذه اللغة، يقول عن أهداف هذا المشروع: ((حاولنا جهدنا في هذه المجموعة من الدراسات أن نشارف هدفين اثنين: إغناء لسانيات اللغة العربية بتقديم أوصاف وظيفية لظواهر نعدُّها مركزية بالنسبة لدلاليات وتركيبات وتداوليات هذه اللغة، وتطعيم النحو الوظيفي كلما مسَّت الحاجة إلى ذلك بمفاهيم يقتضيها الوصف الكافي لهذه الظاهرة أو تلك))[2]، وتكشف المتابعة الدقيقة لهذا المشروع عن أنَّ المتوكل لم تكن غايته دراسة اللغة العربية دراسة وظيفية حسب، من خلال تطبيق نظرية النحو الوظيفي، بل يتجاوز ذلك إلى محاولة تطعيم نظرية النحو الوظيفي بمجموعة من المعطيات الواردة في التراث اللغوي العربي، وزيادة ما يمكن زيادته من آليات تحليل تسهم في تطوير هذا النموذج[3]. كلُّ هذه الأمور وغيرها تجعل من هذا المشروع معتداً به، وعليه اتخذنا كتاباته أنموذجاً للدراسات اللسانية الوظيفية العربية.

لقد تبنَّى الباحث أحمد المتوكل فكرة (التوفيق المعرفي) في أُولى دراساته التي بدأها في العام ١٩٨٢م، وذلك في أُطروحته للدكتوراه (تأملات في نظرية المعنى في الفكر العربي القديم)[4]، التي سعى فيها الى البحث في التراث اللغوي العربي وتحديداً البلاغي منه عن نظرية اللغويين

---

[1] اللسانيات الوظيفية، ضمن مؤلف أهم المدارس اللسانية، وينظر: اللسانيات العربية الحديثة ٢٤٤.

[2] الوظائف التداولية في اللغة العربية ١٤، وينظر: اللسانيات في الثقافة العربية ٣٤٨.

[3] ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية ٣٤٨.

[4] كُتبت هذه الأطروحة بالفرنسية، ونُشرت ضمن منشورات كلية الآداب، في الرباط، وكانت بإشراف غريماس، وهو لساني من أصول ليتوانية، درس في السوربون، وتولى ادارة الدراسات الدلالية في المدرسة التطبيقية العليا في باريس، من مؤلفاته(علم الدلالات البنيوي)، و(في المعنى)، ينظر: الأسلوبية والأسلوب ١٩٩–٢٠٠.

العرب في المعنى ومقارنتها بالنظريات اللسانية المعاصرة، مع دمج تحليلات الأولى بالخطاب اللساني المعاصر، وكانت فكرة التوفيق المعرفي هاجسه في جميع مؤلفاته التي قاربت العشرين مؤلَّفاً، وعليه لم يكن دقيقاً رأي الباحث محمد الأوراغي، الذي أكَّد فيه أنَّ المتوكل تخلَّى عن فكرة التوفيق المعرفي في العام ١٩٨٥م بتبنيه نظرية النحو الوظيفي التي صاغها اللساني الهولندي سيمون دك[(١)]؛ لأنَّ المتوكل على الرغم من تبنيه هذه النظرية بقي مؤمناً بضرورة مدِّ الجسور بين مقولات هذه النظرية والفكر اللغوي العربي القديم، يقول في هذا الشأن: إنَّ لسانيي المنحى الوظيفي يسعون في دراساتهم إلى ((إضاءة نسق اللغة العربية صرفاً وتركيباً واستعمالها فصحى ودوارج في مختلف القطاعات الاجتماعية – الاقتصادية من منظور مبدأ تبعية البنية لوظيفة التواصل، ومدِّ الجسور لوصل البحث اللساني الوظيفي بالتنظير العربي للدلالة، منظوراً إليه في جملته نحواً وبلاغة وفقه لغة وأصول فقه وتفسيراً))[(٢)]، ولعلَّ العنوان الذي اختاره المتوكل لأحد كتبه: (المنحى الوظيفيّ في الفكر اللغويّ العربيّ – الأصول والامتداد) خيرُ دليلٍ على عدم تخلِّيه عن فكرة : (التوفيق المعرفيّ) التي آمن بها.

إنَّ القراءة المتأنية لأبحاث المتوكل تكشف بما لا يدع مجالاً للشك عن أنَّ إشكالية التراث والحداثة غير واردة في دراساته، وهو ما سيظهر لنا بجلاء، عندما نعمد إلى قراءة تحليل المتوكل لقضايا الدلالة.

---

(١) نظرية اللسانيات النسبية – دواعي النشأة ٦٨.

(٢) المنحى الوظيفي ١٥.

المصادر والمراجع

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجديدة، مصر، ٢٠٠٢م.
- آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، د.أحمد المتوكل، ط١، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم ٥، ١٩٩٣م.
- أئمة النحاة في التاريخ، د. محمد محمود غالي، دار الشروق، جدة، ط١ . ١٩٧٦.
- اتجاهات البحث اللساني، ميلكا افيتش، ترجمه عن الانكليزية د. سعد عبد العزيز مصلوح ود. وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، د.ت.
- اتجاهات التحليل الزمنيّ في الدراسات اللغوية، محمد عبد الرحمن الريحانيّ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،١٩٩٨م.
- الاتجاه الفكريّ عند الإمام (ع)، د. رحيم محمد سالم، ط١، مركز دراسات الشهيدين الصدرين ، بغداد ،٢٠٠٧ م.
- الإتقان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م.
- إحصاء العلوم، الفارابيّ، تحقيق: علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٦م.
- الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد الملقب بابن حزم الأندلسيّ، بعناية محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجيّ.
- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ.
- أرسطو، ماجد فخري، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

- إرشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد(تـ١٢٥٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩م.
- استراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م.
- أسس علم اللغة العربية، د. محمود فهمي حجازيّ، سلسلة علم اللغة العربية، رقم/١، دار الثقافة للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- الأصول، دراسة إيبستمولوجية للفكر اللغويّ العربيّ، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨١م.
- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.
- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيديّ، تحقيق: خليل المنصور، مكتبة عباس الباز، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ.
- الأمر والنهي في الفكر اللغوي العربي القديم، د. نعيمة الزهري، دار المعارف ، الرباط، ١٩٩٨م.
- أهم المدارس اللسانية، مجموعة مؤلفين، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ١٩٨٦م.
- البحث الدلالي عند ابن سينا، دراسة أسلوبية في ضوء اللسانيات، د. مشكور كاظم العواديّ، ط١، مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠٠٣م.
- البحث الدلالي في تفسير الميزان- دراسة في تحليل النص، د. مشكور كاظم العواديّ، ط١، مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠٠٣م.
- البحث العلميّ في الدراسات الإعلامية، د. محمد عبد الحميد، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

- البحث اللغويّ عند العرب، د. أحمد مختار عمر، دار المعارف بمصر،١٩٧١م.
- البناء الموازي، نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، د.عبد القادر الفاسيّ الفهريّ، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٠م.
- البنى النحوية، نعوم تشومسكي، ترجمة: د.يوئيل يوسف عزيز، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧م.
- بنية الكلمة في اللغة العربية، تمثيلات ومبادئ، د. محمد بلبول، ط١، منشورات فكر، الرباط، ٢٠٠٨م.
- البنيوية في اللسانيات، الحلقة الأولى، محمد الحناش، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٨٠م.
- البنيوية وما بعدها، د. محمد علي أبو حمده، دار عمار، الأردن، ٢٠٠٥م.
- تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد والجوهريّ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربيّ،(ب. ت).
- تاريخ علم اللغة في القرن العشرين، جورج مونان، ترجمة: نجيب غزاوي، وزارة التعليم العاليّ، سوريا، ١٩٨٢م.
- التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح اسماعيل عبد الحق، ط١، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣م.
- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د. محمود عكاشة، ط١، دار النشر للجامعات، مصر، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.
- التداولية والحجاج– مداخل ونصوص، صابر الحباشة، ط١، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٨م.
- التركيبات الوظيفية– قضايا ومقاربات، د. أحمد المتوكل، ط١، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٥م.

- التفكير الدلالي عند المعتزلة، د. علي حاتم الحسن، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٢م.
- التفكير العلميّ، د. فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطنيّ للثقافة، ١٩٧٨م.
- التفكير اللغوي بين القديم والجديد، د. كمال محمد بشر، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- التفكير اللغويّ عند العرب، مصادرُه مراحلُه، د. عبد الرحمن أيوب، مجلة مجمع اللغة العربيّة، ج٢٤، القاهرة، ١٩٦٩م.
- التمدن والحضارة والعمران، رفاعة رافع الطهطاوي، دراسة وتحقيق محمد عمارة، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣م.
- التوليد الدلاليّ في البلاغة والمعجم، د. محمد غاليم، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٧م.
- تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال، ترجمة: جورج طعمة، بيروت، دار الثقافة بالاشتراك مع فرانكلين للطباعة والنشر،١٩٥٨م.
- الثنائيات اللسانية، د. التهامي الراجي الهاشمي، طبع ونشر دار النشر المغربية، الرباط، د.ت.
- الجذور الفلسفية للبنائية، فؤاد زكريا، حوليات كلية الآداب، الحولية الأولى، الكويت، ١٩٨٠م.
- الجملة المركبة في اللغة العربية، د. أحمد المتوكل، ط١، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٨٨م.
- جوانب من نظرية النحو، نعوم تشومسكي، ترجمة د. مرتضى جواد باقر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة البصرة، د.ت.

- جومسكي، جون لاينز، ترجمة بيداء علي العلكاوي ونغم قحطان العزاوي، مراجعة د.سلمان داود الواسطي، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠١م.
- حروف المعاني بين المناطقة والنحاة من القرن الثالث الى القرن التاسع للهجرة، فاطمة الحمياني، ط١، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، ٢٠٠٦م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني الموصليّ، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.
- الخطاب وخصائص اللغة العربية- دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، د. أحمد المتوكل، ط١، منشورات الاختلاف ولبنان ناشرون ، بيروت، ٢٠١٠م.
- دراسات في علم اللغة / القسم الثاني، د. كمال محمد بشر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م.
- دراسات في اللسانيات التطبيقية، د.حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية،٢٠١٠م.
- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، د.أحمد المتوكل، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.
- دراسات لسانية تطبيقية، د.مازن الوعر، ط١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٩م.
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د. حسام سعيد النعيميّ، مطبعة دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت،١٩٨٠م، منشورات وزارة الثقافة والإعلام – الجمهورية العراقية، سلسلة دراسات ٢٣٤، دار الرشيد للنشر.
- دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة، د. مازن الوعر، ط١، دار المتنبي للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠١م.
- دراسات نقدية في النحو العربي، د. عبد الرحمن أيوب، الجزء الأول، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م.

- دراسة الصوت اللغويّ، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ٣٨ عبد الخالق ثروت، (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجانيّ النحويّ (ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط٣، (١٤١٣هـ – ١٩٩٢م).
- دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د.ت.
- دلالة السياق، ردة الله بن ردة بن ضيف الطلحي، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ.
- دلالة السياق في القصص القرآني، د. محمد عبد الله علي العبيدي، اصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء- اليمن، ٢٠٠٤م.
- الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى، د. حامد كاظم عباس، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٤م.
- الدلالة القرآنية في فكر محمد حسين الطباطبائيّ (الميزان أنموذجا)، د. الشيخ شبر الفقيه، ط١، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٨م.
- دلالة اللغة وتصميمها، مجموعة مؤلفين، ترجمة: محمد غاليم وزميليه، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ٢٠٠٧م.
- الدلالة اللغوية عند العرب، د. عبد الكريم مجاهد، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٥م.
- الدلالة والتقعيد النحوي- دراسة في فكر سيبويه، د. محمد سالم صالح، ط١، دار غريب، القاهرة،٢٠٠٦م.
- الدلالة والنحو، د. صلاح الدين صالح حسنين، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت.

- دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويليّ وسعد البازعيّ، ط٤، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م.
- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمه وقدَّم له وعلَّق عليه: د. كمال بشر، ط١٢، دار غريب، القاهرة، د.ت.
- ذرَّات اللغة وهندستها، دراسة استكشافية أدنوية، د. عبد القادر الفاسيّ الفهريّ، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١٠م.
- سيكولوجية اللغة والمرض العقليّ، د. جمعة سيد يوسف، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠م.
- السيميائية – الأصول، القواعد، والتاريخ، مجموعة مؤلفين، ترجمة رشيد بن مالك، مراجعة وتقديم عز الدين المناصرة، ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨م.
- شظايا لسانية، د. مجيد الماشطة، ط١، مطبعة السلام، البصرة، ٢٠٠٧م.
- شرح المُفصَّل، موفق الدين يعيش بن يعيش النحويّ (ت٦٤٣هـ)، عُنيت بطبعه ونشره ادارة الطباعة المنيرية، مصر، د.ت.
- الصاحبيّ، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: السيد صقر، وعيسى البابيّ الحلبيّ.
- الصوتيات والفونولوجيا، مصطفى حركات، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٩٨م.
- الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجريّ، د.صلاح الدين زرال، ط١، منشورات الاختلاف ولبنان ناشرون، بيروت ٢٠٠٨م.
- العربية وعلم اللغة البنيوي– دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٨م.

- العربيـة وعلـم اللغـة الحـديث، د. محمـد محمـد داود، دار غريـب للطباعـة والنشـر، القاهرة، ٢٠٠١م.
- علم الاشـارة – السيميولوجيا، بيير جيرو، ترجمـة د. منـذر عياشـي، تقديم د. مـازن الوعر، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٢م.
- علـم الدلالـة، د. أحمـد مختـار عمـر، مكتبـة دار العروبـة للنشـر والتوزيـع الكويـت، ١٩٨٢م.
- علـم الدلالـة، أف. آر. بـالمر، ترجمـة د. مجيد عبـد الحلـيم الماشـطة، وزارة التعلـيم العالي والبحث العلمي، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٥م.
- علـم الدلالـة، بيير جيرو، ترجمه عن الفرنسية د. منذر عياشي، قدَّم لـه: د. مـازن الوعر، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٢م.
- علم الدلالة، جون لاينز، ترجمة: د. مجيد الماشطة وزميليه، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٠م.
- علـم الدلالـة، كلـود جرمـان، ريمـون لـوبلان، ترجمـة: د. نـور الهـدى لوشـن، دار الفاضل، دمشق، ١٩٩٤م.
- علـم الدلالـة – دراسـة نظريـة تطبيقيـة، د.فريـد عـوض حيـدر، ط١، مكتبـة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- علـم الدلالـة السـلوكيّ، جـون لاينـز، ترجمـة: مجيـد الماشـطة، دار الشـؤون الثقافيـة، بغداد، ١٩٨٦م، (سلسلة الموسوعة الصغيرة).
- علم الدلالـة العربـيّ – النظريـة والتطبيق، دراسـة تأصـيلية نقديـة، د.فـايز الدايـة، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.
- علـم الدلالـة عنـد العـرب – فخـر الـدين الـرازيّ نموذجًـا، محيـي الـدين محسـب، دار الهدى للنشر والتوزيع، المنيا،٢٠٠١م.

- علم الدلالة – دراسةً وتطبيقًا، د.نور الهدى لوشن، ط١، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٥م.
- علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة، د. حسام البهنساوي، ط١، زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ط٦، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.
- علم اللغة الاجتماعيّ (المدخل)، د. كمال محمد بشر، دار غريب للطباعة والنشر، (ب. ت).
- علم اللغة الاجتماعيّ، د.هدسن، ترجمة:د.محمود عياد، تقديم: عبد الأمير الأعسم، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م .
- علم اللغة الحديث، د. محمد حسن عبد العزيز، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١،(١٤٣٢هـ –٢٠١١م).
- علم اللغة العام، فردينان دي سوسور، ترجمة د.يوئيل يوسف عزيز، مراجعة د.مالك يوسف المطلبي، آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م.
- علم اللغة– مقدمة للقارئ العربي، د.محمود السعران، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت.
- علم اللغة المعاصر، مقدمات وتطبيقات، د. يحيى عبابنة ود. آمنة الزعبيّ، دار الكتاب الثقافيّ، الأردن –أربد، ٢٠٠٥م.
- علم اللغة وفقه اللغة، تجديد وتوضيح: د. عبد العزيز مطر، قطر، ط١، ١٩٨٥م.
- علم النص ونظرية الترجمة، د. يوسف نور عوض، ط١، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٢هـ.
- علم النفس اللغوي، د.نوال محمد عطية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م.

- فقه اللغة في الكتب العربية، د. عبده الراجحيّ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.
- فلسفة العلم، فيليب فرانك، ترجمة: علي علي ناصف، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ١٩٨٣م.
- في علم اللغة العام، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، ط٦، بيروت – لبنان (١٤١٣هـ-١٩٩٣م).
- قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث- مدخل، د. مازن الوعر، ط١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٨م.
- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية- بنية الخطاب من الجملة الى النص، د. أحمد المتوكل، ط١، دار الأمان، الرباط، د.ت.
- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية- بنية المكونات أو التمثيل الصرفي – التركيبي، د. أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، د.ت.
- قضايا معجمية، المحمولات الفعلية المشتقة في اللغة العربية، د. أحمد المتوكل، ط١، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، ١٩٨٨م.
- قواعد المنهج في علم الاجتماع، أميل دوركايم، ترجمة: أ.د. محمود قاسم وأ.د. السيد محمد بدوي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٨م.
- الكلمة، دراسة لغوية معجمية، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣م.
- لسان العرب، محمد بن جلال الدين ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، د. ت، مادة (صوغ).
- اللسانيات العامة وقضايا العربية، مصطفى حركات، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، ط١، (١٤١٨هـ- ١٩٩٨م).

- اللسانيات(المجال والوظيفة والمنهج)، د.سمير شريف استيتة،عالم الكتب الحديث، عمان الأردن، ٢٠٠٨.
- اللسانيات(النشأة والتطور)، أحمد مؤمن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ٢٠٠٢م.
- اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفيّ (الأسس المعرفية والديداكتيكية)، علي آيت أوشان، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٩٨م.
- اللسانيات والدلالة، د. منذر عياشي، ط٢، مركز الانماء الحضاري، ٢٠٠٧م.
- اللسانيات الوظيفية– مدخل نظريّ، د. أحمد المتوكل، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٨٩م.
- اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، عبد القادر الفاسيّ الفهريّ، عويدات للنشر والطباعة، ط١، ١٩٩٦م،.
- لغات البشر، ماريو باي، ترجمة: د. صلاح المغربيّ، قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة،١٩٧٠م.
- اللغة، ج. فندريس، ترجمة عبد الحميد القصاص ومحمد الدواخلي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.
- اللغة بين المعيارية والوصفية، د.تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٠م.
- اللغة العربية في اطارها الاجتماعي، مصطفى لطفي، بيروت، ١٩٨١
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمّام حسّان، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٣م.
- اللغة في المجتمع، م.م. لويس، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
- لغة القرآن الكريم في جزء عم، د. محمود أحمد نحلة، دار النهضة العربية للطباعة

والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

- اللغة والتطور، د. عبد الرحمن أيوب، معهد الدراسات العربية،١٩٦٩م.
- اللغة والخطاب، عمر أوركان، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠١م.
- اللغة والخطاب الأدبي،(مقالات مترجمة في الأدب)، اختيار وترجمة د. سعيد الغانميّ، ط١، المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت- الدار البيضاء، ١٩٩٣م.
- اللغة والدلالة- آراء ونظريات، د. عدنان بن ذريل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨١م.
- اللغة والمجتمع (رأيٌ ومنهجٌ)، د. محمود السعران، المطبعة الأهلية بنغازي، ط٢، الاسكندرية، ١٩٦٣م.
- اللغة والمجتمع، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة (١٩٧١).
- اللغة وعلوم المجتمع، د. عبده الراجحي، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٤م.
- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة د. عباس صادق الوهَّاب، مراجعة د- يوئيل يوسف عزيز، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧م.
- مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، الشارقة، ٢٠٠٨م.
- مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، د. ميشال زكريا، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٥م.
- مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط١، ١٩٩٩م.
- مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط٣، ٢٠٠٨م.

- مدارس اللسانيات، التسابق والتطوُّر، جفري سامسون، ترجمة محمد زياد كبة، الرياض، ١٩٩٤م.
- المدارس النحويّة، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٧، ١٩٦٨م.
- مدخل إلى الدلالة الحديثة، د. عبد المجيد جحفة، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،٢٠٠٠م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغويّ، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجيّ، ط٣، (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
- مدخل إلى اللسانيات، د. محمد محمد يونس علي، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م.
- مدخل في اللسانيات، صالح الكشو، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٥م.
- مدخل للسانيات سوسير، د. حنون مبارك، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٧م.
- معجم أعلام التربية والعلوم الإنسانية، عبد الكريم غريب، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، ٢٠٠٧م.
- المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) المجلد الأول، إعداد: محمد التونجيّ، وراجي الأسمر، مراجعة: أميل يعقوب، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، ١٩٩١م.
- المعجمة والتوسيط، نظرات جديدة في قضايا اللغة العربية، د. عبد القادر الفاسي الفهري، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٨م.
- المعجم العربي، نماذج تحليلية جديدة، د. عبد القادر الفاسي الفهري، ط٢، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٩م.

- معجم علم اللغة النظري، د. محمد علي الخولي، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكيّ (تـ٦٢٦هـ)، ط١، مطبعة البابيّ الحلبيّ، القاهرة، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧.
- المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، د. عبد القادر الفاسي الفهري، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٨م.
- مقالات في اللغة والأدب، د. تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- المقدمة، عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين ابن خلدون (ت١٤٠٤م)، دار الفكر بيروت، لبنان.
- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، د. محمد محمد يونس علي، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م.
- مقدمة في اللغويات المعاصرة، د. شحدة فارع وآخرون، ط٢، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣م.
- مناهج البحث الاجتماعيّ، د. عمر الشيبانيّ، طرابلس، الشركة العامة للتوزيع،١٩٧٥م.
- مناهج البحث اللغويّ بين التراث والمعاصرة ، د.نعمة رحيم العزاويّ ،منشورات المجمع العلميّ العراقيّ ،(١٤٢١هـ-٢٠٠١م).
- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مكتبة الانجلو المصرية، ط١٩٩٠،٢م.
- مناهج البحث في علوم المكتبات، د. ناهد أحمد، الرياض، دار المريخ، ١٩٧٩.
- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، بريجيته بارتشت، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ترجمة: أ.د. سعد حسن بحيريّ، القاهرة ،ط١، ٢٠٠٤م.

- مناهج وأساليب كتابة البحث العلميّ في الدراسات الإنسانية، د. كامل حسون القيم، مركز البحوث والدراسات الاستراتيجيّة، بيروت ط١، ٢١١٢م.
- من البنية المكونية الى البنية الحملية- الوظيفة المفعول في اللغة العربية، د. أحمد المتوكل، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٧م.
- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي- الأصول والامتداد، د. أحمد المتوكل، ط١، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٦م.
- منطق العرب من وجهة نظر المنطق الحديث، د. عادل فاخوري، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠م.
- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د.علي زوين، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.
- المنهجية في الأدب والعلوم الانسانية، مجموعة مؤلفين، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.
- المنوال النحوي- قراءة لسانية جديدة، عز الدين مجدوب، ط١، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، صفاقس، ١٩٩٨م.
- موجز تاريخ علم اللغة(في الغرب)، ر.هـ. روبنز، ترجمة أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤١٨هـ-١٩٨٧م.
- النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحيّ، دار النهضة العربية ،١٩٨٩م .
- نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، د.مازن الوعر، ط٢، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٢م.
- النص والخطاب والاجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

- النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م.
- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة، د. مصطفى حميدة، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ١٩٩٧م.
- نظريات لسانية عَرفنية، د. الأزهر الزناد، ط١، منشورات الاختلاف وناشرون، بيروت، ٢٠١٠م.
- نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، ط٣، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧م.
- نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د.حلمي خليل، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م.
- نظرية الفعل الكلاميّ بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربيّ والاسلاميّ، هشام عبد الله الخليفة، ط١، لبنان ناشرون والشركة المصرية العالمية للنشر، بيروت، ٢٠٠٧م.
- نظرية اللسانيات النسبية- دواعي النشأة، د. محمد الأوراغيّ، ط١، منشورات الاختلاف، بيروت، ٢٠١٠م.
- النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، مبادئ وتحاليل جديدة، د. محمد غاليم، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ٢٠٠٧م.
- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د. نهاد الموسى، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب(ع) ، ضبط نصّه: د.صبحي الصالح ، دار الحديث للطباعة والنشر، قم ،ط٣،(١٤٢٦ق-١٣٨٤ش) .
- الوسائط اللغوية، جزءان، د. محمد الأوراغيّ، ط١، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠١م.

- الوظـائف التداوليـة فـي اللغـة العربيـة، د.أ حمـد المتوكـل، ط١، دار الثقافـة، الـدار البيضاء، ١٩٨٥م.
- الوظيفيــة بــين الكليــة والنمطيــة، د. أحمــد المتوكــل، ط١، دار الأمــان، الربــاط، ٢٠٠٣م.

البحوث والدراسات

- الاشكالات الفلسفيه في فكر تشومسكي اللغوية، امطانيوس ميخائيل، مجلة: المعلم العربيّ، السنة الثالثة والأربعون، العدد/١٩٩٠،١م.
- الألفون من داخل اللسانيات الصوتية، الودغيري محمد، بحث منشور على شبكة الانترنيت، موقع: مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية.
- الدرس النحويّ في الخطاب اللسانيّ المعاصر، د.فؤاد بو علي، بحث منشور على شبكة الانترنيت، على موقع منتديات تخاطب.
- فونولوجيا اللغة العربية، أوديت بتي، مجلة (الفكر العربي) – العدد (٨–٩)، لعام ١٩٧٩.
- الفونيم والالفون، منتدى بلقاسم حسيني على شبكة الانترنيت.
- لغة الأطفال بين الفطرة والاكتساب، د. علي أسعد وظفة، كلية التربية جامعة الكويت، بحث منشور على شبكة الأنترنيت.
- اللغة بين فطرية تشومسكي وبنيوية بياجيه، د. فارس كمال نظمي، مجلة الحوار المتمدن، العدد/١٢٤٢، ٢٠٠٥م.
- اللغة، أ.الكلعيّ، بحث منشور على شبكة الانترنيت.
- محاضرات في اللسانيات وعلم النفس اللغويّ، د. مزوز بركو، بحث منشور على شيكة الانترنيت
- مستويات التحليل اللغويّ، ندى سعود عبد العزيز الدايل، جامعة الملك سعود، بحث منشور على شبكة الانترنيت.
- المظاهر الاقتصادية في صوائت العربية، حمزة بوجمل، جامعة سيدي بلعباس– الجزائر، بحث منشور على شبكة الأدب واللغة.
- مفهوم الفونيم، منتديات ستارتايمز، ارشيف لغة الضاد، على شبكة الانترنيت.

- المنحى الاجتماعيّ في لسان العرب، محمد صنكور، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، الجامعة المستنصريّة، (غير منشورة) .
- النحو التأليفيّ مدخل نظريّ وتطبيقيّ: محمد الحناش، مجلة دراسات أدبية ولسانية، العدد الأول، السنة الأولى، ١٩٨٥م.
- ويكيبديا الموسوعة الحرة، شبكة الانترنيت.

المصادر الأجنبية

1- Chase.stuart.power of words.harcourt brace and world.Inc.NEWYORK,1954.

2- dinneen,anintoroduction to general linguistics.

3- hartmann and stork, dictionary of language and linguistics.

4- robins. A short history of linguistics.

5- A Schleicher: La théorie de Darwin et la science du langage, Weimar, 1863.

6- Evolutionnisme et linguistique, Vrin, Paris,1980.

7- A.F Chalmers: Qu'estce la science:Récentsdéveloppementsphilosophiques, Editions de la Découverte, Paris, 1987/1976.

8- De Beaugrand, and Dressler, Introducation to Text linguistics.

9- Chomsky, Cartesian linguistics.

10- Todorov, Ency. Dict, ofsciences of lang.